القومية ليست مرحلة

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

قلنا ان الاسرة(١) هي الاطار المجتمعي الاول الذي يولد فيه الانسان، فتنشأ له به علاقة الوجه للوجه من الداخل والخارج. وتقوم هذه العلاقة على اساس رحمي يحفظ النوع البشري، من التخريب والتدمير، فيبقى ما دام الزمان باقياً. اذن الاسرة احد محاض لطيفتنا الانسانية، لا نقدر ان نلغيها من حياتنا، بعد ان تكون، الا بعلاقة ثانية هي بمثابة الاتجاه الى مثال روحي آخر، هو ايضاً اطار مجتمعي... الرهبنة مثلاً.

ثم قلنا ان النزوع المجتمعي يتسع، فاذا بنا في هيئة ارحب من الاسرة، نعني بها العائلة. ان العائلة تستند الى عصبية، تستمد قوتها هي ايضاً من الرحم، ولكن على نطاق اوسع من نطاق الاسرة. وقد لعبت هذه العصبية دوراً هاماً في تاريخ الشعوب، وما زالت عنصراً خطيراً في تكوين المجتمعات البشرية. هي التي قامت على اساسها، في الماضي، دول كبيرة وممالك عظيمة. وما فتئت عروة ذات شأن في التقارب بين الافراد، وربما بين الامم. هذان المجتمعان — الاسرة والعائلة — يمتازان بقوة العصبية الرحمية، بين الافراد، وبسطوة استمرارها عبر الزمان.

ويتسع النزوع المجتمعي، فاذا بنا في القرية، او المدينة، ثم الوطن. هذه المجتمعات يمكن اعتبارها ثانوية، بالنسبة الى منطيق الرحم، الذي يجعل الاسرة والعائلة مجتمعاً اولياً. اما في الثانية فمنطيق الرحم يضعف كثيراً، بل يمحى، لانها تقوم في الدرجة الاولى على المصالح... مصالح الافراد، بعضهم مع بعض، مهما كانت اسرهم وعائلاتهم. هذه المجتمعات تتكون من عدة اطر مجتمعية... مهني، وثقافي، وعسكري، وقضائي، واداري، وديني، وقومي. ادنى تلك الاطر هو الاطار المهني. واسمى تلك الاطر هو الاطار القومي، على صعيد المجتمع. وهنا تطارحنا السؤال التالي: هل يتسع النزوع المجتمعي الى ابعد من الامة؟ هل ثمة كيان فوقي يسمو على الامة، ويختلف عنها جوهراً، فيناصبها العداء؟ وكان الجواب كلا. ابنّا ان التدرج، من الاسفل، يصل بنا الى الامة، التي هي خاتمة السير صعداً، في الزمان المكان. هنا يقف المصعد، اذ لا فوق فوق الامة، يحيّز في دائرة عليا. لا شيء بعد الامة اطلاقاً. خارج اطارها، لا يمكن للانسان ان يتعافى ... ان يتأنسن. الواقع هو نزوع من الاسرة، الى العائلة، فالقرية او المدينة، واخيراً الامة كلها. ان مجرد التفكير بامكان وجود انسان، خارج هذه الاطر المجتمعية، هو افتراض ليس الا. ان التاريخ لم يعطنا، حتى الآن، مثلاً واحداً عن انسان لا ينتمي الى اسرة، ولا الى عائلة، ولا الى قرية او مدينة، ولا الى امة ... او عن انسان ينتمي الى كل الاسر، او الى كل العائلات، والقرى، والمدن، والامم. هذا الانسان اللاقومي كائن في الحكايات الوهمية، لا في الواقع المعيوش.

هذا ما قلناه. ويلاحظ اننا لم نستعمل كلمة «التطور» في ايضاحنا كيف يتسع «النزوع» المجتمعي. ذلك حتى لا يظنّ اننا نعني بالاسرة، والعائلة، والقرية او المدينة، والامة، مجرد مراحل يمر بها الانسان، وهو يتطور من الاسفل الى الاعلى، وهكذا تصبح القومية مرحلة نمر بها نحو الانسانية. لقد اخذت كلمة «التطور» هذا الفحوى... فحوى المرور، او العبور فقط، من سابق كان الى لاحق سيكون. وكثيرون هم الذين يعتبرون القومية مجرد مرحلة ستنتقل منها الشعوب الى الانسانية. هذا الاعتبار خاطىء. وقد سقط فيه امثال ارسطو، وابن خلدون، وداروين، واوغست كومت، وستالين، وبرغسون، من الذين آمنوا بالتطور. ونحن، على ايماننا بمبدأ التطور، لا نعتبر القومية مرحلة فقط. وهو ما سنوضحه، في ما يأتي، لنعطي مفهوماً جديداً لكلمة «التطور». وقد ارتكب التطوريون خطأين، في تفسير مبدأ التطور، يعودان الى جهل منا لحقيقة الوجود. الخطأ الاول يقوم على الاعتقاد ان التطور سير جبري صاعد من الوراء الى الامام. الخطأ الثاني يقوم على الاعتقاد ان هذا السير هو مرور، او عبور فقط، من سابق الى لاحق. وبذلك يصبح تغييراً نوعياً.

الخطأ الاول

من الاغلاط، التي تعودناها في نظرنا الى الحياة، والتي

(١) كتاب المؤلف «في القومية والانسانية» منشورات عويدات، بيروت، ١٩٥٨. والمقال هذا هو الفصل الاول من كتاب ثان سيصدر قريباً بعنوان «القومية ليست مرحلة». منشورات عويدات.

ساعدت على تحوير واقع الامور ، رصفنا ابعاد الزمان من الوراء الى الامـــام . لا شك في ان التطور ظاهرة اكيدة ، ينبغي لنا ان نركز التاريخ على مفهومها . لا شك في هذا . ولكننا اخطأنا ، بدافع منطق مغلوط ، رصف ابعاد الزمان . لقد اقمنا هذه الابعـاد الزمنية ، بعضـاً الى بعض ، في بدء من الماضي . الزمان ، الذي تعودنا تصوره ، يتسلسل من الماضي الى الحاضر ، الى المستقبل . هناك الماضي اولاً . هناك الحاضر ثانياً . هناك المستقبل ثالثاً . هكذا ربينا على سلسلة التاريخ . نقول بانه سير من الوراء الى الامام... من الماضي ، فالحاضر ، ثم المستقبل . وكم عدنا الى الماضي في سبيل فهم المستقبل ! على ضوء هذه السلسلة ، لابعاد الزمان ، يصير الماضي الدافع الاكبر . يصير المحرك الذي يدفش عجلة التطور الى الامام . يصير سبب الحاضر وعلة المستقبل .

المبرر الاول ، في خطئنا هذا ، ينبثق من تجميدنا الزمان خـــارج الانسان . لقد سلخنا الزمان عن النفس البشرية ، واعتبرناه كياناً قائماً بذاته ، يتسلسل بشكل حتمي صاعد من الماضي الى المستقبل . المبرر الثاني ، في خطئنا هذا ، ينبثق من ميلنا الى الجبرية العلمية التي لا تصح الا في الجامد . والماضي هو وحده جامد . الماضي وحده قابل للدرس . لذا فهمنا بالتاريخ الماضي فقط .

الحق ان الزمان يصدر عن الانسان . لا زمـان بدون الانسان . النفس البشرية هي التي ادخلت الزمان ، بوجودها ، على كائنات الطبيعة الجامدة . ومنطق النفس البشرية لا يعترف ، بتةً ، بهذا الرصف لابعاد الزمان . انه رصف سكوني . انه وليد تحوير جاءنا من القواعد الصرفية — النحوية ، حيث نبدأ درس الازمنة بالماضي ، فالحاضر ، فالمستقبل . ولكن منطق النفس غير منطق القواعد الصرفية — النحوية . منطقها دينامي ، يُري بوضوح ان التطور لا يبدأ من الوراء ، متجهاً الى الامام . ان التطور يحصل بموجب قوة جاذبة من المستقبل ، لا بموجب قوة دافعة من الماضي . الماضي ليس قوة . الماضي شيء جامد .

١ — الماضي (وصيغته تدل على حقيقته) هو اسم فـاعل . وهذا يعني ان هناك من قام بفعل المضي ، ولذا هو ماض . والفعل لا يكون الا في الحاضر . فحواه ان الحاضر هو الذي مضى . لولا الحاضر ما كان فعل المضي . ما كان الماضي . اذن الماضي هو حاضر قد مضى . الحاضر وحده واقع . المـــاضي استذكار . يقع الحاضر اولاً ثم يمضي ثانياً . لذا كان الحاضر سابقاً للماضي ، لان الواقع سابق للاستذكار . مثلاً على ذلك . ان الساعة التي اعيشها ، الآن ، هي واقعة في الحاضر . غداً تصبح ماضياً فاتذكرها . لو لم يكن الحاضر ما كان الماضي . الحاضر اذن علة الماضي . هو الذي يحدث اولاً ، حتى اذا عبر ، صار ماضيـاً . الماضي لا يبدأ في الماضي . المـاضي يباشر من الحاضر الذي يمرّ . هو حاضر قد مضى ولن يرجع . ذلك مـا يقوله لنا منطق النفس البشرية .

٢ — الحاضر (وصيغته تدل على حقيقته) هو اسم فاعل . وهذا يعني ان هناك من قام بفعل الحضور . ولذا هو حاضر . والحضور لا يأتي من المـاضي ، لان التاريخ لا يعيد نفسه . الحضور يأتي من المستقبل . المستقبل هو الذي يحضر . لولا المستقبل ما كان الحضور ... ما كان الحاضر . اذن الحاضر هو مستقبل قد حضر . والمستقبل آمال ، والآمال غاية . الانسان يأمل اولاً ، ثم يحقق ثانياً . والامل هو في المستقبل ، امـا التحقيق فهو في الحاضر . لذا كان المستقبل سابقاً للحاضر ، لان الامل سابق للواقع . مثلاً على ذلك . ان المشروع الذي احققه اليوم كان أملاً من قبل . لولا الامل ما كان الواقع . الامل هو الذي يتحقق ، ولا تحقيق الا في الآن ، اي في الحاضر . المـاضي لا يتحقق . انه شيء جامد . المستقبل اذن علة الحاضر . الحاضر يباشر من المستقبل الذي يحضر . ذلك ما يقوله لنا منطق النفس البشرية .

٣ — المستقبل (وصيغته تدل على حقيقته) هو اسم مفعول . هو ما يُستقبل في الحاضر . هو الامل الذي يحققه الانسان في الحاضر . لذا ما كان للحاضر كيان الا باعتبار من المستقبل . والمستقبل هو الغاية . عندما يدافع الانسان عن الماضي ، يكون قد جعل منه غاية مستقبَلية ، اي هدفاً مقدساً يجب ان يتحقق في الحاضر . هذا الهدف المقدس هو الغاية . ولا غاية الا وهي امل . ولا امل الا وهو في المستقبل اولاً . اضف الى ذلك ان الماضي الذي جعلنا منه مستقبلاً ، اي هدفاً لنا نحققه في الحاضر ، قد عاشه الغابرون من وجه انه مستقبـل ، يومذاك ، عملوا في سبيل تحقيقه ، فتحقق ، وصار ماضياً بالنسبة الينا . ذلك مـــا يقوله لنا منطق النفس البشرية .

ماذا نستنتج من هذا ؟ نستنتج ان التطور يقوم ايضـاً على مبدأ الغائية . ولا نقصد بذلك نكران مبدأ السببية . لا غائية

بدون سببية . ولكن التطوريين غالوا كثيراً في تركيز التطور على مبدأ السببية فقط . ومعروف ان السبب هو دائماً في الماضي ... السبب يدفع من الوراء لانه في الوراء .

الواقع ان الغائية تلعب دوراً خطيراً في تكوين التطور . ومعلوم ان الغاية هي دائماً في المستقبل ... الغاية تجذب من الامام . معنى هذا ان التطور هو ، اولاً ، جذب من الامام . ومن هنا مبدأ الحرية . اجل ان الانسان سيد الغاية ، اي سيد المستقبل ، يصممه كما يريده عامراً او خاوياً . الانسان اب المستقبل . لذا كان النـــاس يتفاوتون من حيث الماضي ، ويتساوون من حيث المستقبل . النـاس كلهم احرار . والا كيف اجاز برغسون لذاته القول بان التطور خلاق ؟ والحق ان التطور خلاق ، لان الانسان حر . ولا يمكن اعتباره خلاقاً ، حراً ، الا اذا وضعنا السبب في الامامية ، فانقلب غايةً مستقبلَةً . ان كل ماض عظيم كان ، في حينه ، حاضراً عظيماً بطموحه الى مستقبل عظيم . هو عظيم ، لأن رجالاته عاشوه تحقيقاً عظيماً ، في الحاضر ، لغاية عظيمة . هذه العظمة الماضية ليست ملكنا . نحن لم نعد قادرين على التصرف بها كما نشاء . الماضي جامد . والجامد لا يكون في متناول الارادة البشرية . لذا كان الماضي جبرية . ولكن بامكاننا ان نجعل من هذا الماضي ، الذي لن يرجع ، مهمازاً لنا ... يعني غاية لنا في المستقبل ، فنرمي بدورنا كالاسلاف الى امل عظيم . القوة هي في الجذب ، والجذب لا يأتي الا من المستقبل ، اي من الهدف الذي يرمي اليه الانسان . فاذا كان الهدف عظيماً ، كانت الحركة الى فوق . واذا كان الهدف سقيماً ، كانت الحركة الى تحت . الحاضر اتجاه . والاتجاه لا يحدد الا وفقاً للغاية ، التي يتجه نحوها . ان حياة الشعوب والافراد لا تقاس بالماضي ، ولا بالحاضر ، ولكن بآمالها ، وآمالها كائنة في المستقبل . فاذا كنا نريد حاضراً عظيماً ، وجب علينا ان نرمي الى مستقبل عظيم . ان الانسان هو بما يحصل عليه ، لا بما ينتسب اليه ، كما قال الشاعر :

لا تقل اصلي وفصلي ابداً   انما اصل الفتى ما قد حصل
لا تقل قد ذهبت اربابه   كل من سار على الدرب وصل

اجل ، ان الانسان امل في المستقبل ، يحققه في حاضره ، لتتذكره الاجيال ماضياً فيما بعد . الماضي استذكار . الحاضر عمل . المستقبل امل . والامل هو اكسير الحياة . ما اضيق العيش لولا فسحة الامل . هـــذا هو منطق النفس البشرية الصحيح . ولكن الجبرية راسخة فينا . وهي التي تفسد واقع الامور . فنحن نميل دائماً الى ان نتمثل حياتنا كتراكم من الحالات النفسية يؤثر السابق فيهـــا من الوراء على اللاحق . وهكذا يصبح التطور سوقاً منخلف . تصبح الحالة الوجدانية الحاضرة مسببة عن الحالة الوجدانية السابقة . ويصبح الاجتياز واقعاً من حالة اولى الى حالة ثانية ، يُعلَّل دائماً بباعث جبري من البواعث الخلفية ، فتأثر اللاحقة بالسابقة الى حد ما .

لنضرب مثلاً كي نُري ان هـذه الصورة لمبدأ التطور ، في الزمان ، هي صورة خاطئة لانها لا تفي بحق ناموس الحرية . كي نُري ان الباعث الى الحركة هو جذب من الامام . ما من احد يجهل ان هناك علماً اسمه علم التنويم المغناطيسي . هذا العلم يقوم باشياء كثيرة عجيبة تؤكد لنا بجلاء ان علة المعلوم هي في الامام . لنفرض ان المنوِّم امر الوسيط انجاز عمل من الاعمال (سرقة مثلاً) في يوم معين وساعة معينة . ثم استيقظ الوسيط بعد ذلك . ماذا يحدث ؟ يحدث ان الوسيط ينجز ، في اليوم المعين والساعة المعينة ، ما فرضه عليه المنوِّم . ثمة غـــاية يجب تحقيقها . ولكن الوسيط ، الذي يجهل مـا فُرض عليه وقت النوم ، يظن ان ما قـــام به ناتج عن السلسلة السابقة لحالاته الوجدانية . في حين اننا لسنا حيال دفع من الوراء ، بل حيال جذب من الامام . لقد وضعت الغاية ، اولاً ، كمستقبل يجب تحقيقه . وهكذا راح الوسيط يعيش مراحل وجوده على ضوء هذه الغاية الجاذبة . تلك المراحل هي بالحقيقة معلولات لا علل . هي تحقيق لما وضع في الامامية ، والذي حدَّد بطريق الجذب ، لا الدفع ، تلك السلسلة الصاعدة .

ولسنا بحاجة الى علم التنويم لنتأكد من صحة زعمنا هذا . ما لنا الا ان ننعم النظر بعض الامعـان ، في حياتنا اليومية ، لنرى اننا نعيش على ضوء ما لنـا من آمال في المستقبل . اننـا نتطور بموجب ما يجذبنا من الامام . ولا يعسر علينـا ، اذا حصرنا الفكر قليلاً ، ان نكشف الغائية في حياة الانسان ، فرداً او مجموعاً . الغائية هي المحرك الجاذب ، كما في حـــادثة الوسيط المنوَّم . وهكذا نطل الى قلب المفاهيم الخاطئة ، التي اعتدنا الايمان بهـــا ، والتي تقول بان العلة تسوق المعلول من الوراء . ان منطق الحياة الدينامية ، الخلاقة ، يضع الباعث في الامام بموجب ناموس الجاذبية . نحن نحقق دائماً غايات . الا

اننا كثيراً ما نجهل تلك الغايات . نحققهـــا بلا وعي ، كما في حادثة الوسيط ، ثم نهرع الى تفسير ما نقوم به كشيء ناتج عن السلاسل السابقة .

الخطأ الثاني

يقوم الخطأ الثاني ، كنتيجة للخطأ الاول ، على القول بان التطور مرور (او عبور فقط) من مرحلة سابقة الى مرحلة لاحقة . التطور تغيير نوعي . ومن هنا اعتبار الكون حركة يُنتَقل بها من المادة، الى النبات، الى الحيوان، الى الانسان... واعتبار المجتمع البشري حركة يُنتَقل بهـــا من الاسرة ، الى العائلة ، الى القرية او المدنية ، الى القومية ، فالانسانية اخيراً. وقد استُنِد ، في كل هذا ، الى الترتيب الصاعد لتبويب الممالك الاربع ، وتطورات المجتمع البشري. لنبحثْ في كل من هذين التطورين ... تطور الكون عامة ، وتطور المجتمع خاصة .

١ – تطور الكون عامة

ان القول بتطور الكون عامـــة من المادة الى المجتمع الانساني (عبر النبات والحيوان) يعني عند التطوريين ان اصل الانسان هو في الحيوان ، وان اصـــل الحيوان هو في النبات ، وان اصل النبات هو في المادة . فيحوي هذا ان كل مرحلة لاحقة هي الغـــاء للمرحلة السابقة ... هي عبور ، او مرور فقط ، الى ما هو اسمى . هذا المبدأ التطوري نجده عند ابن خلدون . قال ما فحواه .. نشاهد هذا العـــالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام ، وربط الاسباب بالمسببات ، واتصال الاكوان بالاكوان ، واستحالة بعض الموجودات الى بعض ، بحيث لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غاياته . ابدأ ، في ذلك ، بالعالم المحسوس الجثماني ، واولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الارض الى المـــاء ، ثم الى الهواء ، ثم الى النار ، متصلاً بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد الى ان يستحيل الى ما يليه صاعداً وهابطاً . ويستحيل بعض الاوقات . والصاعد منها الطف مما قبله ، الى ان ينتهي الى عالم الافلاك ، وهو الطف من الكل على طبقات ، اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط ، وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها واوضاعها ، ومـــا بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيهـــا ... ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعـــادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، على هيئة بديعة من التدريج . آخر افق المعـــادن متصل باول افق النبات، مثل الحشائش وما لا بذر له . وآخر افق النبات (مثل النخل والكرم) متصل باول افق الحيوان (مثل الحلزون والصدف) . ومعنى الاتصال ، في هـــذه المكوَّنات، ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد الغريب لان يصير اول افق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان ، وتعددت انواعه ، وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان ، صاحب الفكر والروية . (١)

هنا نجد انفسنا حيـــال قانون الوراثة . الى اي حد تذهب الوراثة في مداها ؟ نحن لا نشك في ان الوراثة قائمة على اساس واقعي. لقد اصبح ثابتاً ان في اجيال البشر نوعاً من القابليات، هي استعدادات وراثية ، يتناولها الابناء من الآباء، والآباء من الاجداد . هذه الاستعدادات تكوِّن العمران الذي ينتقل بالوراثة من جيل الى جيل . هناك مراسيم سابقة لخلق الطفل ، تحدد فيه درجة استعـــداده من تصورات غريزية ، وقوى حدسية، ومواهب خلقية. هناك فيض خفي، هو ذاته العمران البشري ، الذي نتوارثه . وقد مالت بعض الابحاث النفسية الى القول بان النبوغ يجري وراثة في بعض الاسر ... كاسرة باخ الموسيقية مثلاً . واننا نعثر على دراسات كثيرة اجريت على اقارب العظماء ، من قضاة ، ومحـــامين ، وادباء ، وفنانين ، واطباء ، وغيرهم. وكان يبين في الاغلب ان للعظماء اباء عظماء، او اجداداً عظماء ، او احفاداً عظماء .

ولكن هذا الاساس الواقعي لا يعني ان الوراثة تتحقق بشكل تام . الصفات الاصلية وحدهـــا تنتقل جبراً من السلف الى الخلف . الصفات الاكتسابية ما زالت واقعاً لعوباً ، لانها من بنات الظروف ، ولذا بقيت لاجبرية . ان العلم لم يستطع، حتى الآن ، اثبات انتقالها بصورة حتمية. ولا يعقل ان يصبح توارث الصفات المكتسبة عملية جبرية، اذ يفقد الانسان حريته، وتفقد الحياة غنى تنوعهـــا ، وتنتهي المجموعة الآدمية بالافلاس المخيف . ابن الاعور يجيء اعوراً. وابن الاعرج يجيء اعرجاً. وابن الشاعر يجيء شاعراً . ان الذي ينتقل حتماً من السلف الى الخلف هو النوع البشري. الا ان هذا الانتقال لا يتجاوز

١ – راجع « المقدمة » المقدمة السادسة من الكتاب الاول من الباب الاول .

النوع . الانسان يلد بالضرورة انساناً . الانسان لا يلد كلباً . وهكذا في انواع الكائنات الاخرى . النبتة لا تلد الا نبتة ، والحيوان لا يلد الا حيواناً . ان النوع لا يمكن تغييره .

التطور لا يحدث من نوع الى نوع ... اي من مملكة الى مملكة . التطور يحصل بين فصائل المملكة الواحدة ، التي لا تتبدل خصائصها النوعية . وليست بخافية تلك الجهود القوية ، التي قام بها شارل داروين ، في سبيل التمكن من الانتقال بصورة علمية ايجابية من مملكة الحيوان الى مملكة الانسان . وقد كانت النتيجة اخفاقاً نهائياً . ومن هنا قوله المشهور بوجود قطيعة ، بين النوعين ، اسماها الحلقة المفقودة . اجل ثمة حلقة مفقودة لم يستطع داروين ايجادها . لقد تراءى له فقط ان هناك تدرجاً من الادنى الى الاعلى فيما بين الكائنات . تراءى له ذلك استناداً الى الترتيب الذي اعتقده صاعداً . بناء عليه ظن ان الانواع متواصلة ، لا فجوات فيها ، كما ظن قبله ابن خلدون .

هذا التطور الصاعد الذي تراءى لداروين بقي ظناً . بقي اعتباراً . لم ينقلب واقعاً. لقد ظلت الفجوات كائنة ، اذ عندما جاء داروين يتلمسها، لم يعثر على شيء فيها موجود ، او يمكن ايجاده بين الحيوان والانسان. التدرج لا يحصل الا في المملكة ذاتها فقط ... في مملكة الحيوان او في مملكة الانسان ، كل على حدة . وقد كان هم داروين ان يحصل عليه في الشق القائم بين المملكتين ، كي يثبت نظريته المادية القائلة بان الانسان يتحدر من القرد . ولما فشل في محاولته اعلن ان هناك حلقة مفقودة . اجل هي مفقودة فقداناً نوعياً لا يمكن القضاء عليه. ستظل الحلقة مفقودة . وقد تنبه الماركسيون الى هذه العقبة ، فاحتالوا عليها بما اسموه التطور بالقفزات . قال ستالين ما فحواه ... ان الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزية، لا يعتبر حركة التطور حركة نمو بسيطة ، لا تؤدي التغيرات الكمية فيها الى تغيرات كيفية ، بل يعتبرها تطوراً ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية الى تغيرات ظاهرة واساسية ، اي الى تغيرات كيفية . وهذه التغيرات الكيفية ليست تدريجية ، بل هي سريعة ، فجائية ، وتحدث بقفزات من حالة الى حالة اخرى . وليست هذه التغيرات جائزة الوقوع، بل هي ضرورية، وهي نتيجة تراكم تغيرات كمية غير محسوسة وتدريجية . لذا تعتبر الطريقة الديالكتيكية ان من الواجب فهم حركة التطور ، لا من حيث هي حركة دائرية ، او تكرار بسيط للطريق ذاته ، بل من حيث هي حركة تقدمية صاعدة ، وانتقال من الحالة الكيفية القديمة الى حالة كيفية جديدة ، وتطور ينتقل من البسيط الى المركب ، من الادنى الى الاعلى .(١)

هذا هو حل الماركسيين. ولكنه حل غير علمي. هو مجرد اعتبار . هو افتراض لا ايجابية فيه ، اذ كيف نستطيع ان نتأكد علمياً من صحة القفزات ؟ من يؤكد لنا ان الممالك الاربع هي قفزات لتطور ؟ ولماذا اختار هذا التطور القفز من نوع الى نوع؟ العلم الايجابي يرينا فقط كيف يحصل التطور ضمن النوع ذاته . اما القول بان التطور يحدث بقفزات فجائية، من نوع الى نوع . فهذا افتراض لم يتخذ شكلاً ايجابياً صارماً . ان التطور الصحيح ، الذي يمكن اختباره علمياً ، يتحرك صعداً بممالكه الاربع جنباً الى جنب . لا تتطور الانواع الواحد تلو الآخر . هي تزحف معاً الى الامام . منذ ان كان الكون والممالك الاربع موجودة دفعة . كل نوع يتحرك في مداه النوعي . نحن اذن حيال تطور ذي اربعة رؤوس في الوقت نفسه . يعني ان المادة ليست مرحلة . والنبات ليس مرحلة . والحيوان ليس مرحلة . والانسان ليس مرحلة . والا لماذا لم تضمحل المادة بعد ظهور النبات؟ والنبات بعد ظهور الحيوان؟ والحيوان بعد ظهور الانسان ؟ ولماذا يقف التطور عند الانسان؟ واذا لم يقف ، ماذا يمكن ان يكون بعد الانسان؟

ان مجرد القول بان التطور قد حصل بشكل معين (اي بهذا الترتيب الصاعد من المادة ، الى النبات ، الى الحيوان ، الى الانسان) هو اعتراف بوجود نظام ثابت يتحقق . والا لماذا اتخذ التطور هذا الشكل ؟ لماذا لم يتطور من الانسان ، الى الحيوان ، الى النبات ، الى المادة ؟ لماذا لم يتخذ شكلاً آخر ، ايضاً ، يختلف كل الاختلاف عن هذا الشكل ؟ اذن هناك تصميم وقف . والتصميم معناه غاية . الكون ، والحالة هذه ، يحقق غاية . التطور هو تحقيق لغاية . اذ يجب علينا ان نعلل وجود السببية في التطور ... اي ان نجد لها معنى . لم هي كائنة في الشكل الذي هي فيه . وتعليل السببية الموجودة هو في انها تحقق غاية مرسومة . لا سببية بدون غائية . من السخف ان يكون عبثاً هذا النظام الهائل في الكون . ثمة غائية تسدد نحوها السببية . ولا عجب . ان كل تطور هو تطور نحو غاية . قد لا نعي هذه الغاية ، كما في حادثة المنوم .

(١) راجع كتابه «النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع» ص ١٢ ترجمة خالد بكداش .

لكن هذا لا يعني انها غير كائنة . التطور لا يحصل بصورة عشوائية والا ما كان تطوراً كان الفوضى بعينها . اجل، هناك غائية . هناك غاية . والغاية قوة جاذبة لانها موضوعة في الامام . قد تكون غاية هذا الكون موجودة في نفسه . لا مانع . المهم ان الغاية موجودة . ووجودها يقتضي ان تكون فوقية ، وفي الامام ، والا تلغى غائيتها وهذا محال .

نحن لا ننكر واقع التطور . نحن ننكر ان يكون قد حصل على خط واحد وبدفع من الوراء فقط . ان مثل هذا التصور للتطور هو نتيجة جهل منا لحقيقة الزمان . التطور الذي نؤمن به ، والذي هو غير قضية عبور او مرور ، يحدث في الممالك الاربع دفعة ، وجنباً الى جنب ، دون ان يتجاوز النوع . على ضوء هذا المفهوم للتطور ، الذي اسميناه توسعاً ، يحتفظ كل نوع بخصائصه الابدية . المادة تظل مادة . النبات يظل نباتاً . الحيوان يظل حيواناً . والانسان يظل انساناً . وهكذا يحصل التطور في مجالات كل نوع على حدة ، لا فيما بين النوع والنوع ، تحقيقاً لغاية موضوعة .

٢ — تطور المجتمع خاصة

ننتقل الآن الى النوع البشري ... الى الانسان . غلطة التطوريين ، هنا ، انهم لم يأخذوا الانسان الا من الناحية التاريخية . والتاريخ ، في مفهومه الضيق ، مرور زمان . والمرور تغيير . ان حصرهم النظر الى الانسان ، في الناحية التاريخية ، هو الذي حوّر الواقع البشري . نسوا ان هناك اسانيد نفسية لا تتغير . واذا تغيرت ابطلت انسانية الانسان . من هذه الاسانيد ، اي المعطيات البديهية الثابتة ، معطى القومية .

قلنا باننا لا ننكر التطور . ولكن التطور هو وجود يقتضي جوهراً لا يتطور . هذا الجوهر غاية صامدة يحققها التطور . الذي يتطور في وجوده يقوم على جوهر لا يقبل التطور. التطور يستلزم الذي لا يتطور . هذا الذي يتطور في وجوده ، لا يتطور في جوهره، والا الغي التطور عنه، اذ لا يعود ثمة شيء ثابت ، كي يحصل التطور . والانسان ، باعتبار نفسه ، قد ركز على معطيات بديهية ثابتة ، لا يمكن البتة ان تتغير . من هذه المعطيات معطى الاسرة ، اي غريزة الابوة والامومة . لقد خلق الرجل والمرأة لينسلا . وهذا يعني ان الحب هو من اكثر المعطيات البديهية رسوخاً في لطيفتنا البشرية.

اما ان يكون نظام الاسرة قد تطور ، على مر العصور ، من حيث الحقوق والواجبات (اي من حيث العلاقة ، التي تربط علاقة الزوج ، والزوجة ، والاولاد) فهذا لا يعني مطلقاً ان البشرية ستستغني عن الاسرة . لقد وجد الانسان لينسل ، وهو ينسل منذ ان سوّي انساناً ، وسيظل ينسل الى الابد .

اجل ، لقد كانت السلطة العليا للاسرة، في عهد الصيد، بين يدي الام . وكان الاطفال ينتسبون الى الوالدة ، والزوج ينتقل الى منزل زوجته . ثم تغير نظام الاسرة، عندما بدأ الانسان زراعة الارض، فاصبحت السلطة العليا بين يدي الاب. وتبدل نظام النسب ، فصار الاطفال ينتسبون الى الاب . اجل ، لقد حصل هذا التطور . ولكن اين هذا التطور من القول بان الاسرة اضمحلت من حياة الانسان؟ اما نرى الاسرة ، كمعطى نفسي بديهي، في ازدياد مستمر؟ ان الكيان العائلي من اقوى الركائز ، التي لاتستطيع الهيئة البشرية ان تقوم بمعزل عنها. ان المذاهب الداعية الى القضاء على العائلة لهي من المذاهب الهدامة للانسانية ذاتها . اذ لو نزعنا من تاريخ البشرية كل ما استفاد ، عن طريق العائلة، لما بقي من الحضارة شيء اسمه التمدن ... لانحطت الانسانية الى الحيوانية . من العائلة ، وفي العائلة ، يتعلم الانسان اصول الانسانية . اما أُخذت الرحمة من الرحم الذي معناه القرابة؟ من منا لا ينتمي الى اسرة معينة، وعائلة معينة، ويرغب دائماً في المحافظة عليهما؟ اين هو ذلك الانسان الذي لا ينتمي الى اسرة ما ، والى عائلة ما ، او الذي ينتمي الى كل الاسر ، وكل العائلات ؟

ويتسع فلك الانسان ذاهباً من الاسرة ، والعائلة ، الى مجتمع ارحب تقوم الروابط فيه على المصالح المشتركة، والمنافع المتبادلة ، المستندة الى وحدة العوامل الاربعة الآتية ... الارض ، الاقتصاد ، التاريخ ، اللغة . هذا هو المجتمع القومي في اسمى بياناته ... مجتمع يثير عاطفة شعبية واحدة ، تجعل الافراد كتلة متماسكة ، يخلصون لها لانها تجسد آمالهم احسن تجسيد . هذه العاطفة احد ارسخ المعطيات البديهية في لطيفتنا البشرية . اما ان يكون نظام المجتمع القومي قد تطور ، على مر العصور ، من حيث وعي الانسان لحقيقة العوامل الاربعة المشتركة ، فهذا لا يعني ان البشرية مرت في مرحلة لم تكن قومية ، ثم حدثت القومية ، وسياتي يوم ينتقل فيه المجتمع الى

(البقية في الصفحة ٧٥)

دمعة الاخاء

القيت في الحفلة التذكارية التي اقيمت في نابلس لفقيد الادب عادل زعيتر

لعادل الغضبان

القاهرة

قضى سيد الفصحى فتلك منابره ... صوامت خرساً بعد أن فض سامره
وعطلت الاقلام بعد اميرها ... وجفت أسى يوم الوداع محابره
ومالت موازين العدالة حسرة ... على ناصر للحق والحق ناصره
ونكست الاعلام بعد مجاهد ... فدى الوطن المغصوب سلت بواتره
فوا كهف نفسي كلما لاح شارق ... بأفق المعالي غيبته مقابره
كواكب مجد حولت رقعة الثرى ... الى فلك تشأى النجوم زواهره

بكى وطن الأحرار حراً قضى أسى ... على وطن جارت عليه جوائره
أميناً على عهد الحمى لو درى الحمى ... وفياً يراعي مهبط الوحي ناظره
حمى لا يزال البغي يجتاح ارضه ... وتعثو به ذؤبانه وكواسره
ويعشو اليه كل علج وآبق ... ويطرد منه اهله وعشائره
تحكم فيه من تنكر للهدى ... ومن مزقت قلب المسيح خناجره
فلولا يقين النفس بالله لم يعش ... يغالب جبار الأسى ويصابره

أعادل اعزز ان تموت ولا ترى ... زماناً على الباغين دارت دوائره
اذا جئت رب العرش والعرش حافل ... تحف به اجناده وعساكره
فسبح وألمم بالحمى واذكر الحمى ... وصف نكبتيه في الذي انت ذاكره
وقل خاشعاً يا باعث النور والدجى ... حنانيك ليل الظلم طالت دياجره
بكى «المسجد الأقصى» وماجت بشجوها ... محاريبه ملتاعة ومنابره
وناح بأنحاء «القيامة» هيكل ... حزين ولاحت بالحداد ستائره
ودقت نواقيس الهدى نغم الأسى ... وبثته في سمع السماء منائره
على كل بيت للعلي مقدس ... غدا الدين فيه لا تقام شعائره
على كل كرم ذل في قبضة العدى ... وأصبح مقصياً عن الكرم عاصره
على شجر الزيتون وشحه الاسى ... وأينع مغبراً من الحزن ثامره
ولو انصف الزيتون كانت ثماره ... رصاصاً وأشواك القتاد غدائره
فيا وطني صبراً على البغي إنه ... يزول وإن الله لا بد قاهره
غداً تتهادى راية العدل في الورى ... فينصر موتور ويخذل واتره
وتضرب أسد العرب ضربة غالب ... تهيج لها من كل غاب قساوره
وتزهى بنصر كالربيع ملألىء ... تكلل هامات الرجال ازاهره
ويهنأ من ولى ولم يشهد الحمى ... محررة أرباضه وجزائره

أعادل لم ترحل فكل أخي علا ... إذا ما طواه الموت فالذكر ناشره
ستذكر ساحات القضاء بك الفتى ... تولى ولكن خلدته مفاخره
يخوض بسيف العدل معترك الظبى ... ويتركه والزور قدت اظافره
يرق فيجري كالحرير بيانه ... ويقسو فتطغى كالهدير زماجره

مزامير رفّ الحقُّ في نغماتها ... وغنّت بها احكامه ومحاضرُه

أطاح الردى من هيكل العلم عالماً ... قرابينُه آيُ النهى ونذائره
أفاء اليه خاشعاً متنسكاً ... يلازمه رأدَ الضحى ويساهره
مكبّاً على الاسفار يفنى بآيها ... ويبعثها في كل ما راع باهره
إذا سمعتْ في هجعة الليل همسةً ... فوقّف مأخوذاً على الدرب عابره
وهبّت نؤوم الطير من وُكُناتها ... ينافرها حلو الكرى وتنافره
ومالت غصون الدوح ترهف سمعها ... وتحسبُ أن الزهر صاتت أساوره
تبين أن الصوتَ صوتُ يراعةٍ ... ترنُّ بها فوق الطُّروس خناصره
جرى عربيّاً سحرُهُ ولو انّه ... على وتر للغرب شُدّت مزاهره
ترثُّ أواخي كل عهد وموثقٍ ... سوى العلم لا تبلى الغداة أواصره
فلو وصل الله النبوة في الورى ... لأخلف فيها الانبياء عباقرُه
تبارك مَن أهدى كريم يَراعه ... إلى العُرْب كنزاً لا تعد ذخائره
أأذكرُ منها «النيل» وهْوَ مرقرقٌ ... أم «البحرَ» جاشت باللآلي زواخره(١)
أم السيرة الزهراء من كلّ نابغٍ ... تشع بلألاء السماء خواطره(٢)
أم الباقيات الصالحات وكلها ... نفيسٌ إلى الإبداع متّت عناصره
تعزُّ على الفرسان إلّا على فتى ... جرت وجياد المنشئينَ ضوامره
إذا نسجتْ ثوب الفخار يراعةٌ ... فمن نسج أقلام الخلود مآزرُهُ

مضى الموت بالخلّ الوفيّ فلوّعت ... بنار الشجى خلّانه ومعاشره
بكروا صاحباً لم يخلف العمر عهده ... ولا عرفت إلّا الوفاء سرائره
ترقّبْتُ أن ألقاه في مصرَ زائري ... ولم أدر أني فوق مثواه زائره
أسائلُ عنه كلَّ دارٍ وأنثني ... إلى كلّ قفرٍ لا تجيب حفائره
ولكن هدتني للثرى نفحةُ الثرى ... تضوّعَ منها ذكره ومآثره
وقفت به اسقي التراب بأدمعي ... وفي القلب وقْدُ الحزن تذكو مجامره
يناجي خيالي طيفه فإخاله ... يسامرني في لحدِهِ وأسامره
كأنّا استعدنا سالف العهد بيننا ... وعُدنا الى ركب البيان نسايره
كأني أراه تحملُ الدُّرَّ كفُّه ... ويَنثُرُهُ في الشرق والغرب ناثره
فيا ساجعَ الأُردُن هات رثاءه ... شجيّاً فإنّ النيل قد كلَّ شاعره
ويا بردَى والرافدانِ تدفّقا ... بموج الأسى فالأرزُ فاضت محاجره
فوا لهفاً أن يذويَ الزّهر في الربى ... ووا حزناً أن يهجرَ الأيكَ طائرُهُ

القاهرة ... عادل الغضبان

(١) إشارة الى كتاب « النيل » وكتاب « البحر الأبيض المتوسط » وهما من آثار الفقيد .
(٢) إشارة الى كتب السير والتراجم التي نقلها الى اللغة العربية من مثل كتاب « بسمارك » وغيره .

الامهات والبنون في شعر المهجر

بقلم عيسى الناعوري

الامهات

في مطالعاتي لبعض كتب الادب* الايطالي وصحفه ، كثيراً ما استوقفتني قطع روائع — نثرية وشعرية — من ادب الامومة، ومن ادب الطفولة. واذكر ان استاذ اللغة الايطالية اعطانا مرة في درس المحفوظات قطعة شعرية قصيرة لشاعر — لم اعد اذكر اسمه الآن ، ولعله ادموندو دي اميتشيس — يقول فيها ما ترجمته :

ان الزمان لا يقوى دائماً على محو الجمال
ولا تذبله الدموع والاحزان
فان لأمي من العمر ستين عاماً
وكلما ازددت تحديقاً في وجهها
ازدادت في عيني بهاء وجمالاً

وددت لو يعيرني رافائيل الاوربيني
ريشته الالهية الساحرة
لأتوج بالمجد جبينها البهيّ

ان مثل هذه القطع العاطفية الجميلة تجعل النفس تخشع امام عظمة الامهات، وتمتلىء بمعاني الجمال والحنان واللطف والبهجة. لذلك كثيراً ما بحثت في الشعر العربي عن مثل هذا الشعر الذي يبعثه حبّ الام ، ويوحي به جمال الطفولة وبراءتها . ومن المؤسف ان اذكر ان هاتين الناحيتين ضعيفتا الحظ في الادب العربي ، بمقدار ما هما كبيرتا الحظ في الآداب الاجنبية .

وفي دراساتي للشعر المهجري بحثت عن حظ الامهات وحظ الابناء ، فوقعت على اشياء منه ، فيها الكثير من الجمال ، والحنان ، واللطف ، والرقة . ولعلّ اشهر ما عني بشعر الامومـة من شعراء المهجر هو الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، فله في أمه عدة قصائد، كلها تعرب عن تعلقه الشديد بامه، وتقديسه لها، وخشوعه العميق امام مشاعر الام ورسالتها الشاقة في الحياة .

من قصائد القروي في الام قصيدة طويلة يروي فيها اسطورة ابتدعها خياله في جلسة له الى جانب امه ، اطال فيها التحديق بعينيها وتقاطيع وجهها ، فكأنما جعله ذلك التحديق يتغلغل الى اعماق نفسها ، فيختبر مشاعر الامومة المقدسة التي تعتلج فيها. وفي تلك القصيدة يروي ان شاعراً قد مات فحملته الملائكة الى السماء، فرق له الخالق العظيم وهيأ له مكاناً في حضن ابراهيم ابي الانبياء ، ولكن الشاعر لم يهدأ له بال ولم ترقأ له دمعة . فنقله الله الى حضنه هو نفسه، فلم يقنع ولم تهدأ دموعه. فسأله الله عما به ، فأجابه انه يتمنى لو نقله الله الى حضن امه ، لانه أحنى عليه من كل حضن آخر . فتعجب الخالق من هذا الطلب ، وادهشه ان يرى مخلوقاً غريباً يفضّل على احضـان الالهيـة حضن امرأة على الارض . وصمّم على ان يختبر بنفسه حضن الام .

ويختم الشاعر قصيدته بالبيت التالي :

وكانت ليلة ، واذا صبيّ   صغير نائم في حضن مريم

وقد عبّر الشاعر بهذا البيت اروع تعبير عن عقيدة المسيحيين بالوهية المسيح ، كما استطاع بالقصيدة كلها ان يرسم اروع صورة واجلّها لقداسة الام وعظم مكانتها .

وقبل ان تنتقل امه في عام ١٩٢٤ من لبنان الى البرازيل، حيث يقيم ، كانت قصائد حنينه تطفح باللهفة الى رؤيتها بعد غيابه الطويل عنها . ومن ذلك قصيدة له بعنوان (الى القمر)، يناجي فيها القمر قائلاً :

فان شِمتَ اميَ عند المغيب   توجهْ للبحر عني السؤالا
تؤم المواني بعـديَ تبغي   بمد معها - لا بهنّ - اغتسالا
وتنظر عنيَ تلك الرمـال   فتبكي وتلثم عني الرمالا
فقبـل بنورك ذاك الجبين   ليزداد نورك منه جمالا

ويقول في قصيدة حنين اخرى عنوانها (تحية مغترب) ، ذاكراً امه واخوته البعيدين عنه في ارض الوطن :

سلام الى حيث غادرت روحي   بلبنـان سابحـة هائمه
احنّ اليـه وأطواده   تزمجر قـاعدة قـائمه
الى اخوة كفراخ القطا   وامّ على امرهم قـائمه
اذا عبس الدهر في وجهها   تظـلّ لهم ابداً باسمه
فيا ربّ رفقاً بتلك الفراخ   وأبقِ لهم امهم سالمه

وله بيتان من الشعر بعنوان (فؤاد الام) هما :

فؤاد الام يالك من فؤاد   يضمّ من العواطف ما يضمّ
غلطنا حين صلينا « أبانا »   كما قالوا لنـا ، فالله امّ !

وهو يشير الى الصلاة التي يتلوها المسيحيون ، ومطلعها :

* اذيع من محطة القدس في حديثين مستقلين (ع.ن)

« ابانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ... »

وفي قصيدة له بعنوان (امي) يقول :

ولو ملئت لي الجامات صبرا ... ولو جرّعت حلو العيش مرّا
ففـي شفتيّ ينبوع عجيب ... يحوّل لي كؤوس الخل خمرا
فيسكرني ، وذلك صوت امي

ولو هجمت على قلبي البـلايا ... وهدّت سور آمالي الزرايا
فان بباب فردوسي ملاكاً ... يسل السيف في وجه المنايا
فيحرسني وذلك طيف امي

ولو ، يا رب ، في اليوم العظيم ... تلوت عليّ حكمك بالجحيم
فلي أمـل بأن ستعودُ يوماً ... فتصفحُ في جهنم عـن اثيم
وقلبك يستحي من قلب امي

وهذه ابيات من قصيدة اخرى :

علقت فوق سريري رسم والدتي ... تعويذة لي من اشباح أتراح
فان تبدى على بلوره غبش ... كما يغشي دخان وجه مصباح
وكلت اطراف منديلي به فجلا ... وشف عن باسم كالفجر وضاح
ورحت اغمض اجفاني وافتحها ... على رضى الام امسائي واصباحي

وليس هذا كل مـا نظمه الرشيد من شعر في الام ، فـله قصائد اخرى عديدة يذكر فيهـا امه ، ويعبّر عن تقديسه العميق لها . ولكنها حين توفيت عام ١٩٥٤ لم يستطع القروي ان يرثيها وحدها ، اذ كانت مأساة فلسطين تملأ افق نفسه ، فجعل رثاءها رثاء للشعب الذي تشرّد وتعذّب ، فقال :

كفى الميت منا ان يحس له فقد ... أبعد هلاك الجمع يفتقد الفرد
أبعد فلسطين ينـاح على فتى ... وهل بقيت في مقلة دمعة بعد ؟
بكائي على المليون أنضب ادمعي ... فما أنا الا النار والحجر الصلد

ثم يذكر امه في القسم الاخير فيقول :

الا دمعة من (لاجيء) استمدها ... فأبكي بالبحر الذي جزره مد
وأندب أمـاً لم يجد مثل حبها ... وحي لها لا الوالدات ولا الولد

والام في الشعر المهجري رفيقة الحنين الى الوطن ، فشعراء المهجر يحنّون الى اوطانهم حنيناً كله شوق ولهفة ، وفي حنينهم يتذكرون الاهل والاحبـاب وذكريات الهوى والشباب . وابرز ما يذكرونه ويحنّون اليه امهاتهم . ومن ذلك قول امين مشرّق من قصيدة له في الحنين ، نظمهـا ابان المجاعة الكبرى في لبنان على عهد جمال السفاح :

يا نسمة الصبح لامسيها ... وبرّدي قلبي الحـزين
يا نسمة الصبح قبليهـا ... في الخد ، عني ، وفي الجبين
أمـاه ! بالله ما دهاك ... وما دهى اخوتي الصغار
هـل أوقعتهم يد الهلاك ... ما بين نار وبين عـار ؟
وهل طغى فيكم الاعادي ... وطاردوكم الى البوادي

وحولكم خيم السكون ... وأغمضت في الدجى عيون
ومرّ في بالكم أمينُ ؟ ... أمـاه ردي أنا أمين !

ولشفيق المعلوف في شعر الحنين قصيدة ختم بها ديوانـه (نداء المجاذيف) وقد قال في المقطع الاخير منها ، وهو يمني النفس بالعودة الى الوطن :

اذ ذاك آلامي وذكراها ... تطوى على جرحي جناحيها
لان امي حين القاهـا ... ان طوقتني بذراعيهـا
لقيتُ في بؤبؤ عينيهـا ... ألذ أيامي وأحـلاها

ويصف شعور الام في شوقها الى ابنها المغترب، في قصيدة من ديوانه (لكل زهرة عبير) ، فيقول :

شراعٌ مدّ فوق الموج عنقا ... وراح يرود خلف الافق افقا
يقبِّل في تبدى الشط جها ... له فأشاح عنه الوجه طلقـا
وغادر عند صخر الشط أمّاً ... تذوب اليه تحناناً وشوقا
فـما نضبت لمقلتها دموع ... كأن لعينها في البحر عرقا
ترى هل آب من سفر شراع ... ولم تشبعه تقبيلاً ونشقا
وهل أشفى على الترحال الا ... رأيت فماً على الكتان ملقى
الى اذن الشراع يبث شيئاً ... ويعهد للرياح بمـا تبقى

وبهذا المعنى نفسه يقول الشاعر الياس فرحات من قصيدة له بعنوان (يا امي) يرثي بها امه :

انفقت عمرك ترقبين رجوعنـا ... وتجوس كل سفينة عينـاك
ما مرّت النسمات بي عند الضحى ... الا عرفت بطيبها ريّـاك
والبحر لم يظهر لعيني مرة ... الا قرأت بوجهه نجواك
وهواتف الروض الطروبة ما شدت ... الا سمعت بشدوها شكواك
أشقى النساء على الثرى أم قضت ... أيامها في وحـدة النساك
ترنو الى الافق البعيد بمقلة ... تبغي اختراق دوامس الاحلاك
وتسائل الاقمـار : اين محلهم ... ومتى يكون من الاسار فكاكي؟
ركبوا الخضم الى النضار فليتني ... ألقيت نفسي فيـه للأسلاك
وقضت ملوّعة الفؤاد وعينها ... تختـال بين الباب والشباك
أماه ! يا فخر البنينَ ! تحية ... منا عليك لها شذا ذكراك
حسب المهاجر لوعة ان الاسى ... يقضي عليه ولا يرى مثواك !

وللشاعر شكرالله الجر قصيدة طويلة ذات مئة وثمانية ابيات ، نظمها منذ اشهر قليلة يرثي بها والدته ، وهي من الشعر الذي يتفجر رقة ولوعة وحبّاً ، نقتطف منها الابيات التالية :

اماه ان غابت ملامحك الرضية في السحاب
سيظل من صلوات امك ما يقيني في الصعاب
ويظلّ من اضواء حبك ما يضيء دجى اغترابي

ولكم احس بان قلبك حول قلبي خافق
وبان طيفك حيث سرت مرافق ومعانق
متحدّيا حتى الفنـاء فلم تعقه عوائق

وللشاعر عقل الجرّ – اخي شكرالله الجرّ – قصيدة رائعة بعنوان (امي) تفيض حناناً ورقة وجمالاً، نقتطف منها ما يلي:

ذكرت ، ولكن كحلم الكرى   اموراً تقضت زمان الصغر
غــداة ادب دبيب النمال   وحولي تدب ظروف القدر
اتعتع لا مفصحــاً كلمة   فتحسب امي كلامي درر
وابكي فيضجر بي والدي   وليس يلمّ بــأمي الضجر
فتلهب خدي من لثمهــا   وتمسح من ادمعي ما انحدر

ويوم مرضتُ فجنّت وراحت   ترود الكنائس قبل السحر
تود لو ان الفدى ممكن   فتفدي حياتي بنور البصر
وتخلع ، ان تستطع عمرهــا   علي لآمن بطش القدر
أئنُ فتشعر في صدرهــا   كأن انيني وخزُ الابر

ودار الزمــان بأحداثه   ومرّ على عقدنا فــانتثر
وجرد امي مني كمــا   تجرد كفُ الخريف الشجر
ورحت اخوض غمــار الحياة   ودون الحيــاة زحام البشر
فأعثر بــالمكر والاحتيال   وأمنى على عفتي بالضرر
فأيقظ في النفس هـذا القنوطُ   اذّكارى امي وعهدا عبر
اذا مــا تمنى رجوع الشباب   أناس ، تمنيت عود الصغر

البنوة

كان البنون زينة الحياة الدنيــا ، وسلوة الوالدين ومجلى سعادتهم ، فالشعر الذي يوحي به البنون الى والديهم ليس سوى مجلى من مجالي الحب والحنان اللذين يحسهما الوالدون نحو ابنائهم ، والآمال التي يبنونها لمستقبلهم .

اذا

واذا كانت الطفولة أعذب فترة في الحياة ، والاطفال اجمل ما يمنح الحياة البهجة والحيوية والسعـــادة ، فان الشعر الذي يستوحي الطفولة ومرحها وعبثهــا وسذاجتها لا بد ان يجيء حلواً مثلها ، لانه شعر الاحساس الصادق ، والتجربة الحقيقية.

وفي شعر المهجر غير قليـل من شعر الطفولة والاطفــال ، وكله من الشعر الرفيـع في احاسيسه، الناعم في صياغته، والمبدع في تصوراته وخيالاته ، سواء أكان فرحاً وغبطة ، او المــاً واشفاقاً . وفي ما يلي نستعرض طائفة من شعراء المهجر الذين نظموا الشعر في ابنــائهم . ونبدأ بالشاعر جورج صيدح ، صاحب « النوافل » و « نبضات » .

لجورج صيدح ابنة وحيدة اسمهــا جاكلين ، كانت سلوى حياة ابويهــا ، وقد تزوجت اخيراً وانجبت له احفاداً زادوا في بهجة حياته ؛ وفي صغرهــا اضطرت مرة الى دخول المستشفى لتجرى لها عملية جراحية ، فكاد قلب ابيهــا يتمزق عليها ألمــاً وهي بين يدي الجراح يعمل فيهــا آلاته الحــادة . فنظم قلقه وخشيته والمه قصيدة من اروع مــا تجود به العاطفة الصــادقة الحارة ، فقال :

رفقاً بها يا مبضع الجراح   شرحت قلب الوالد الملتاح
والله لو أطلقت روحي لارتمت   تحت النصال تصدها بجراحي
ماذا جنت وهي الفطيمة في الربى   حتى تسام خسارة الاقداح
بالامس مدت عنقها من وكنها   واليوم تشهد مـــديه الذباح !
الياسمين الغض في اكمامه   غبن النضارة أخذه بالراح
أنا لا اخدشه بغير نواظري   وبغير شم عبيره الفواح
ما لي أراه على الخوان ممدداً   وأكاد ألثم انمــل الجراح
ويحي ! دفعت الى المشارط فلذة   كنت الضنين بها على الارياح
قالوا : غلوت بحبها ! فأجبتهم :   ويل الشجي من الخلي اللاحي
النوح ان يثقل على اسماعكم   صلوا لاجل نجاتها وصداحي
هي فرحة للوالدين وحيدة   يتآسيان بها على الاتراح
انالذي اشفى على خوض الدجى   مثلي ، ليقدر قيمة المصباح
آمنت في علم الطبيب ، وان في   جرح الجسوم سلامة الارواح
رباه ! سدد كفه وسلاحه   اني طرحت على يديه سلاحي

وليس من السهل ان نعلق بشيء على مثل هذا الشعر، الذي ينطق كل بيت منــه بالف معنى جميل حــار ، مليء بالصدق ، وعمق الاحساس .

ولقد تزوجت وحيدة الشاعر، وانجبت طفلها الاول فدعاه (جورج) على اسمه . ولمــا اتم الحول الاول نظم فيه قصيدة طويلة قال فيها :

نجواك نثرة حلوى   وقطرة من زلال
يا فرحتي اذ تناغي   على البساط حيالي
حتى أمطتيك ظهري   في غفلة من عيالي
أحبو وارهف سمعي   كاللص عند انسلال
كأنني حزت كنزاً   مخبأ في رحـــالي
حمّلي له حط عني   حمل السنين الثقال
بنيّ ، يا روح روحي   ويا خيــال خيالي
يا وصلة بين امسي   وحاضري ومآلي
انت الربيع المرجى   لدوحة في انحلال
تزكو غداً فتزكي   فضل الجذوع الاوالي
حوطت باسمك إسمي   من عاديات الزوال
يا رب اطلق سراحي   رأت عيوني مثالي

اما الشاعر ندره حداد فيحدثنــا عن مشاعره الرقيقة وهو يرى طفليه يهجعان بعد أمسية ازعجا بها البيت والجيران بلهوهما الصاخب المرح ، فيقول :

والله مــا ملك سليمان   قدماً ، وما في الكون من مال
عندي بأشهى مع حرماني   من حسن هـــذا المنظر الغالي

ثم ارتفع الشاعر بقلبه الى خالقه ، ليناجيه بهذه الصلاة ، فيقول :

لم يبق لي الا الصغيران — تعزية في عمري الآتي
ان عافني في الشيب خلاني — كانا رجائي في الملمات
فاجعلهما غصنين ، ان اثمرا — فليثمرا في الكون ما ينفع
وليكتبا في سفره اسطراً — تبقى مع الباقي الذي يجمع

واجعلهما نوراً به اهتدي — ان نفد الزيت وناس السراج
وقوة تحملني في غدي — انضعف الجسم وخاب العلاج

حتى اذا ما انصرمت مدتي — وأطلقت نفسي من الاسر
حلا ملاكين على تربتي — وانعشا روحي في القبر

اننا نلمس في هذه القصيدة شيئاً من بساطة الصياغة الشعرية، ولكننا لا نملك الا الاحساس بجمال العاطفة التي يعبر عنها الشاعر، ورقتها، وبصدق الانفعال الذي يستوحي منه القول.

وهذا الشاعر الياس فرحات يستقبل ابنته البكر (ليلى) بقصيدة يقول فيها :

هذي الرياض منابت الزهر — تلك البحار مصادر الدر
ذاك الفضاء نجومه تجري
بالله يا بنتي — من ايها انت ؟ — في ايها كنت
لا تخزني لابيك ان جهلا — خلي البكاء وحالفي الجذلا
ما انت من هذا التراب ، ولا — تلك المياه وذلك الجلد
بل انت من روحي ومن جسدي

واما ابنته « سعاد » فانه ما كاد يستقبلها قادمة الى الحياة ، حتى ودّعها راحلة الى الابدية ، فقال حين رآها تفارق الحياة :

يهنيك نومك يا سعاد كأنه — نوم الرضيع على ذراع المرضع
يهنيك يا ولدي السكون محركا — بجلال هيبته سواكن ادمعي
كم قبلة تهفو الى شفتي من — قلبي الحزين الواله المتفجع
حتى اذا وجدت سريرك خالياً — رجعت فصارت جمرة في اضلعي

وتزوجت ابنته ليلى ، وجاءت مرة تزوره ومعها بناتها الصغيرات ، فملأن البيت بهجة وحبوراً ، فلما عدن من عنده احسّ بالوحشة لخلو بيته منهن، فقال في ذلك من قصيدة بعنوان (حفيداتي) :

نأى الاحباب عن بيتي — فبيتي بعدهم قفر
وعيني من شخوصهم — اذا ما استيقظت صفر
فلا عين تراعيني — ولا يفتر لي ثغر

وفي دنيا النوى وادٍ — خيالي فوقه جسر
اسير عليه يحدوني — فؤاد ما له صبر
فألقاهنّ في وهمي — فيا وهمي لك الشكر
والثمهن ظمآنا — فيحلو في فمي المر
فراشات على شيي — تحوم وكلها طهر

وهذا رياض المعلوف ، اخو الشاعرين فوزي وشفيق معلوف ، المقيم الآن في لبنان ، يخاطب ابنتيه (نجوى — وحياة) خطاباً كله عذوبة ورقة ، فيقول في مقطوعة صغيرة:

أعز عليّ من المقلتين — حياة بعين ونجوى بعين
فان الصغار نعيم الحياة — فحمداً لربي على نعمتين
واصبحت مثل فراش الرياض — يرف جناحي على وردتين
أعزّ عليّ من المقلتين — حياة بعين ونجوى بعين

ولكن هذه المقطوعة القصيرة الطف ما تكون حين تلقيها الطفلتان انفسهما بلثغة الطفولة البريئة ، التي تتحول فيها السين ثاء ، والراء لاماً ، والجيم والزاي ذالاً والقاف همزة، فتلفظان البيت التالي هكذا :

أعد عليّ من المؤلتين — حياة بعين و (نذوى) بعين

اما الشاعر زكي قنصل ، المقيم الآن في الارجنتين ، فقد فجع بطفلته البكر « سعاد» وهي ابنة ثمانية اشهر فقط ، فنظم فيها ديواناً صغيراً من الشعر يحتوي على ثماني قصائد ، تعبر كلها عن فجيعته بتلك الفلذة العزيزة. ويتذكر فيها سريرها، ودماها، ولهوها ، ومناغاتها الحلوة ، ومن قصائده فيها قصيدة بعنوان (على ضريح سعاد) ، فيقول فيها :

رفت رفيف الاقحوانة وانطفت في عمرها
ماذا جنت حتى تصيدها الردى في فجرها ؟
يا رب لا تحبس فؤادي لحظة عن ذكرها
أنا قد عبدتك بسمة وضاءة في ثغرها
وشممت انفاس الجنان شذية في شعرها

أسعاد ! قد ضحك الصباح على الروابي والوهاد
قومي نغنِّ مع الطيور ونعد من واد لواد
كذب النعي وضاع دمع النائحين على سعاد
ما غبت عن عيني فكيف اغوص في ثوب الحداد؟
اني تحدّيت الردى وحملت شخصك في فؤادي.

وقال الشاعر عقل الجرّ في طفل له :

أعطيته كالصبح غرّته — ملكاً تقمص صورة الولد
ازهو بطلعته وأحسبه — الكون جمع كله بيدي
وأطل منه على غد لمت — آماله في مفرق الابد
تغفو عيون الناس هانئة — وهناءُ عيني فيه بالسهد
تهتاجني من فيه زقزقة — تزري بصوت البلبل الغرد
ويهف نحوي منشباً يده — في العين أو في النحر والعضد
فأزقه قبلي وأرهقه — وأكاد أرجعه الى كبدي
فكأنني وأنا أدغدغه — طفل ، وطفلي دمية بيدي

وبعد فهذا قليل من كثير مما نظمه شعراء المهجر في ابنائهم، في افراحهم معهم واحزانهم عليهم ، نكتفي منه بهذا المقدار لان المجال لا يتسع لأكثر منه .

عمان — عيسى الناعوري

شاعر وكوكب

غيهبٌ يسأل غيهبْ ما دهانا اي كوكبْ ؟
جـاء يغزونا وفي عينيه شـــوق يتلهّب !
أهو حقد الارض يغلي والينـــا يتـــوثّب
ام سنى فكر وضيء ام شذا حب مطيّبْ ؟
مـاردٌ ثار على القيـد عريض الخطو أشهب
صـاح بالارض انا الانسان لي في الغيب مطلب
انـــني ابحث عن اصـــلي وذاتي تتـــأهب
انا فكر مطلـق قد وزعوني الف مذهب
سوف اغزو كل مجهول وأجلو كل غيهب ...

١٩٥٧/١٠/١٥

لِمَ تمضي في دُجى الغيب وتتعبْ كل انسان على أرضيَ كوكبْ
عد الى نفسك واكشف سرها ودع الغيب فان النفس أقرب !
هـل تضيق الارض بالذات وفي صدرها متسع للذات ارحب !
واهِمٌ من ظنّها سجناً لنـــا فهي فكر وانطلاق يتوثّب
كذّبوا زعم الاساطير فمـــا هذه الارض جحيمـاً يتلهبْ
نحن منها وهي منا ومدىً لخُطانا وهي للوثبة ملعبْ
فاسبروا اغوارها واستوثقوا من خباياها فبرق الوهم خلّب
واجعلوهـــا جنّة خفـــاقةً بسنى الحب كفانا نتعذبْ.
أنقِذوا الانسان من عثرتـه واستجيبوا فنداء الحق اوجبْ
ايها الماضون بالأقمـــار في عالم المجهول لغز الارض أصعب !

١٩٥٧/١٠/٢٣

مصطفى محمود
من اسرة الجبل الملهم

فرص الاعلان ..

بقلم حسن السعران

كثيرة الاعلانات عندنا هذه الايام لا تحتاج الى دليل، فنحن نطالعها في الصحف وتعرضها علينا دور السينما ونرى بها في الشوارع والميادين .

ولا جدال في ان اعمالنا وصناعاتنا تتسع وتتنوع بازدياد الوان الحياة وحاجياتها . وهذه جميعاً لا بد لها من الاعلانات للتعريف بها او للترويج لها .

ومن الخطأ ان نظن الاعلان اداة تضليل او تمويه ، ترمي الى ايقاع الناس في حبائل سلع ومنتجات رديئة او خدمات كاذبة . فالاعلان في الواقع يهدف الى ١ – تعريف الجمهور بأشياء تهمه وتفيده . ٢ – حثه على تجربتها ومداومة الانتفاع بمزاياها.

وما اكثر طرق الاعلان الشائعة المعروفة ، التي تتزعمها الصحف والسينما واعلانات الحائط وواجهات المحلات والمطبوعات والملصقات... وما اكثر الحملات التي تسير كالساعة الدقيقة ، من حيث اتباع اصول فن الاعلان وأبجدياته : فمن مراعاة وضوح الاعلانات ودقة تسلسلها ، الى الحرص على « التشابه العائلي » فيما بينها ، والى تحري بساطتها وجمالها، والى غير ذلك من اعتبارات سيكلوجية وفنية ولغوية، تتعاون جميعها على تحقيق رسالة المعلق واذاعتها بين الجماهير بشكل قوي ومقبول.

غير انه توجد وسائل اخرى للاعلان – ليست شائعة – يستطيع المعلن ان يحقق من ورائها نجاحاً عظيماً لا سبيل الى تحقيقه بغيرها من الطرق المألوفة. كما انها تفتح امامه آفاقاً رحبة تزخر بنتائج مربحة وبسمعة طيبة وشهرة واسعة .

وهذه الطرق بإيجاز هي : الانتفاع بالمناسبات العامة . اي بعبارة اخرى انتهاز كل فرصة سانحة وكل مناسبة مواتية لذكر السلعة وترديد اسم الشركة التي تنتجها .

والانتفاع بالمناسبات بعد – من الناحية الاعلانية – خميرة قوية لها من الاثر والعمق ما يحفظها عالقة بأذهان الناس زمناً طويلاً . ولا خلاف في ان الانباء والاحداث التي تطالعنا بها الصحف والمجلات كل يوم، او تذيعها محطات الاذاعة بين الحين والحين ، هي مادة طيبة تزودنا بفيض من الفرص التي يمكن استغلالها في الاعلان عن السلعة بطريق مباشر او غير مباشر .

ومن الخير ان نستعد دائماً لمواجهة كل ما يجد في المحيط الاجتماعي عامة والرياضي خاصة من فرص ممكنة. وان نخصص لذلك مبالغ احتياطية ولو صغيرة تكفل لنا تحقيق مثل هذه الاغراض التي تحتاج الى سرعة البت والتنفيذ .

وعلينا ان ندخل في حسابنا فصول السنة وتغيرها، وخاصة اذا كانت السلعة موسمية ، او مما يتجدد الاقبال عليها قبيل الربيع مثلا او عند بداية الصيف ... وهناك غير فصول السنة اعياد البلاد وجميع الايام المجيدة التي نحتفل بها ، من قومية ودينية وشعبية . ومن السهل اعداد قائمة جامعة لها .

وللشباب ايامه الخاصة عند افتتاح المدارس والجامعات وله مبارياته الرياضية وحفلاته العامة وانديته الثقافية . وما يقال عن الشباب يقال عن الشيوخ . ويقال ايضاً عن الفتيات والسيدات فلكل من الجنسين اعياده ومجتمعاته . وجميعها هامة وجديرة بالدراسة والبحث لكي يمكن استغلالها في الترويج للسلعة او في الاعلان عن المؤسسة .

وكثيراً ما تبتكر بعض الشركات مناسبات لنشر اخبارها. كأن تسعى مثلاً الى تنظيم رحلات صغيرة لموظفيها وعمالها ، او اقامة حفلات تكريمية للشخصيات المعروفة او لاهل الفن وملكات الجمال. او التبرع بمبالغ سخية للمنشآت الخيرية مساهمة منها في شئون البر والخير والاصلاح. ففي هذا كله مجال واي مجال للاعلان ، وذكر السلعة واصحابها في اعمدة الاخبار الاجتماعية في الصحف والمجلات .

ومن هنا يحرص كبار المعلنين على توثيق علاقاتهم بادارات الصحف والمجلات، حتى لا يتأخر نشر اخبار شركاتهم والتعليق عليها بصورة مرضية .

والابواب ولا شك مفتوحة على مصاريعها : فهناك ايام المهرجانات والمعارض ومواسم السياحة الحافلة . وكذلك اسواق الصناعات الدولية ومطبوعاتها ونشراتها ، وتقارير المؤتمرات الكبرى . وفضلاً عن ذلك يمكن تنظيم المسابقات واصدار اليانصيب ومنح الجوائز والهدايا . وهذه جميعاً ينبغي استغلالها في شيء ما من الحذق والاقتصاد والمهارة والجرأة حتى تعود باحسن النتائج لقاء تكاليف زهيدة .

والتجديد والابتكار من العناصر اللازمة عند الاعلان بواسطة المطبوعات المكتبية كنتيجة الحائط او المكتب او مفكرة الجيب او ثقالة الورق او سكين الورق... وبالمثل في توزيع الهدايا الصغيرة كأقلام الكتابة والمرايا ومنافض السجائر والصواني وما اليها .

وهنا تحسن الاشارة الى ان مجرد كتابة الاسم التجاري والعنوان ورقم التليفون طريقة بدائية ساذجة لا تتناسب وروح النشاط التجاري والصناعي في هذه الآونة الحاضرة . ولذلك ينبغي ابتكار طرق جديدة يستعان فيها بالرسوم الفنية والعبارات الجذابة والمواد الجديدة (البلاستيك والنيلون والسلونكس . .) والافكار المناسبة وآراء الخبراء والاخصائيين .

والواقع ان الانتفاع بالمناسبات – وخاصة السعيدة – والكتابة عنها في الصحف والمجلات يحتاج الى صياغة الاعلانات في قالب صحفي خلاب بحيث تستوعي انتباه الناس واعجابهم ورضاهم .

وليست الحملة الاعلانية مجرد نشر سلسلة من الاعلانات في الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية على اختلافها وملئها بالحبر الاسود او بالالوان الزاهية ، وليست هي وضع اية صورة جميلة او رسم توضيحي للسلعة مع عنوان بارز ضخم وعدد من الكلمات الطنانة الساحرة .

ان الحملة السليمة هي التي تكون ذات منهاج واضح يحدد الغاية منها ، ويبين العناصر اللازم توافرها لتحقيق تلك الغاية ، ويعين مساحة كل اعلان فيها . والمجلة او الصحيفة التي سينشر بها وتواريخ النشر ، واختيار نوع الصور التي يمكن الانتفاع بها سواء كانت رمزية او توضيحية . وبعبارة اخرى تحليل الخطة التي تقوم عليها الحملة الاعلانية تحليلاً شاملاً وافياً ، ومعرفة الاسلوب التي تكتب به . اهو الاسلوب العاطفي ام الاخباري .

ولا جدال في ان مناقشة الآراء مسألة ضرورية لنجاح اية حملة اعلانية نجاحاً مالياً وعملياً ، حتى لا تكون الحملة خيالاً او حبراً على ورق . ومن هنا ينبغي ان يتشاور القائمون بأمر الحملة في وضع عناصرها الجوهرية ، وتقديم صورة مصغرة لها تلقي من الضوء قدراً يكشف عن النتائج المرتقبة .

وينبغي ان تكون فكرة الحملة الاعلانية واضحة ومحددة ومعقولة . وذلك كسباً للوقت والجهد والمال ، فتنظيم الحملة ووضع خطة محكمة لها بمثابة البوصلة للبحار يعرف بها اتجاه سيره حتى لا يضل طريقه . ولا يضير الابتكار في الاعلان ان يتم تنفيذه طبقاً للأسس المعروفة والقواعد العامة . وكثيراً ما تفشل الحملات ذات الافكار المبتكرة الرائعة لا لشيء الا لانه لم يراع عند تنفيذها اتباع اصول الاعلان بنصيب كبير من النجاح رغم افتقاره الى الابتكار .

ومعرفة مواطن الضعف لتحسينها ومواطن القوة للانتفاع بها يتطلب جمع المعلومات وتمحيصها . اذ يتحتم ايجاد صلة بين فكرة الحملة الاعلانية وبين الجمهور . وكذلك معالجة الفكرة بنزعة انسانية لا تقوم على المبالغة والتهويل ، وانما تعتمد على ترابط الخواطر وحسن الاختيار وتحكيم العقل والمنطق ومجاراة الذوق العام .

ان القارىء يتوقف عن مطالعة الاعلان اذ وجد به ما يعوقه من رسوم منفرة او خطوط معقدة او زخارف غامضة او رسوم يتعذر عليه فهمها . ويحسن الا يغرب عن بالنا ان صورة جذابة قوية توحي بما لا توحي به صفحة مكتوبة .

والصورة الملائمة هي التي تشرح نفسها بنفسها وتعبر عن نفسها بنفسها . كما ان الدقة في تنسيق الاعلانات ووضوحها تجعل مطالعتها امراً يسيراً ، وخاصة اذا روعي فيها انسجام حروف الطباعة او الخط مع عناصر الاعلان الاخرى . وبهذا تكون قراءة الاعلان سهلة وسريعة ومريحة فتكون بمثابة دعوة للعين .

والعقبة التي يقف القائمون بأمر الحملة الاعلانية امامها طويلاً هي دراسة الصحف والمجلات وقوتها الاعلانية ، الى جانب سياسة تحريرها ونزعتها واتجاهها وميولها . لقد مضت الى غير رجعة تلك الايام التي كان المعلنون يكتفون فيها بمعرفة كمية النسخ التي تقوم الجريدة او المجلة بطبعها وتوزيعها وتعريفة النشر بها ، فهذه الجديات في الاعلان لا تحتاج الى كبير عناء .

ويسعى المعلنون اليوم الى التعرف على « طبقة » قراء الصحيفة ومركزهم الاجتماعي واهمية كل صفحة على حدة . مثال ذلك ان عدد قراء صفحة الاجتماعيات يختلف عن عدد قراء صفحة الانباء الخارجية . والمجلات الضخمة يتصفحها القارىء ويقرؤها على عجل ، ولا يتوقف عادة الا عند صفحات معينة منها تلذ له موضوعاتها وتروق له مطالعتها .

وهناك ايضاً مسألة تحديد « مساحة » الاعلان المناسب ، ومن شروط اختيار المساحة مراعاة مكانة السلعة ومنزلة المنتج وعدم تجاهل مساحة اعلانات السلع المنافسة . وليس لنا ان ننكر اهمية مساحة الاعلان من حيث الكبر والصغر وما لها من اثر في جذب الانتباه ولفت الانظار .

وكل اعلان في الحملة الاعلانية جزء من كل وحلقة في سلسلة واحدة لا بد ان يؤدي وظيفته كاملة ، كما لو كان هو وحده الاعلان الاول والاخير . ومهما يكن من شيء فالاعلانات الصحفية ليست سوى وسيلة واحدة من وسائل الاعلان الحديثة . ولهذا ينبغي ان يكون التعاون بين الحملة الصحفية وغيرها من الحملات الاخرى تعاوناً صادقاً كتعاون الفريق الرياضي لبلوغ الهدف واصابة المرمى .

حسن السعران

انـــا

وحـــدي

للدكتور علي شلق

انا وحدي
في الدروب الزرق وحدي
رجفةٌ من الم
في وجودي معتم
شبقة الغصة لم تجرح قبابي الهائمات
منذ غنيت السنا للارض فجرت الحياة
فاذا المرج الذي غازلته مد الموات
تعصر الارض جحيماً في دمي
ذهب الاغلال جنت قدمي

انا وحدي
كل درب خضب الاشواك
محموم العراك
هاك عزمي جنح الانسان فيّا
فالردى يحطم بالرعد جناحي دويّا
وعلى اشلائه الحدّي
قمت وحدي

من ضلوعي اسكب النغمة للارض الشريده
وأمادي للغيوب الزرق اطيافاً مريده
عندما استسلمت للامواج للغيب البعيد
مسدلاً في عالم النسيان استار الحدود
قمت اسقي هذه الآفاق من شمع ترابي
واريق الكأس كي يزخر بالموج عبابي
عارماً في وجه دهري ارصف النجم قبابي
واهز الغيب وحدي
مارداً ارسم حدّي

صنعـــة الله

لرشاد دارغوث

تبارك الله ! هذا الكون صنعته ،
تنوّعت فيه ، أشكالاً وألوانا !
أزجته قدرته خلقاً بلا عوج ...
حتى أتاه رسول الشر ... انسانا !
ما مدّ حيناً يد الاصلاح يبذلها ،
الا ومد يد الافساد أحيانا !
وكلما نضجت يوماً حضارته ،
تنازعته طباع اللؤم كفرانا ...
وكيف يكفر بالله امرؤ فطن ،
تقوم فطنته لله عنوانا ؟
وهل تُرى العلم إلا بعض قدرته ،
تموج آياتها الغرّاء طوفانا ؟

ما أطلق العلم ... أقماراً بلا سبب
من اليقين ، وكان العلم سلطانا !
ان الألوهة ... فوق العلم طاقتها
تعلو سلاطينه ، في قدرها ، شانا .
جميع ما يُرى او لا يُرى ، نُتَف
مما برته ، على الخلاّق برهانا !
في كل يوم لنا من أمرنا نُذُر
تُنبي بان الله الكون مولانا !
وانه هو ذات الخير ، تعرفه
كل القلوب ، وتستهديه وجدانا !
وانه هو نور الحق ، ما انحرفت
عنه المقاصد الا ضلّ مسرانا .
في حين تابعه قوم على ثقة
من النجاح ، وكانوا فيه أعوانا !
تحرروا ، واستقاموا ، ثم واكبهم
ركب الفلاح ، وكانوا قبل عُبدانا !
لا يستنيم لأمجاد ، بلا سند
من الوقائع ، شعبٌ شاد اوطانا ...

وليس يُخذل شعب كان منفتحاً
على الحضارة ، ارواحاً واذهانا !
يلفّ ماضيه في ثوب حاضره ،
ويجبهُ الدهر ، احداثاً وأزمانا .

لو قام في شعبنا رأس يوجّهه ،
لما توالى عليه الذلُّ عدوانا :
فتارة أرضه نهب لذي طمع ،
وتارة ماله ، زوراً وبهتانا !
والشعب مفتقر للقوت ، ملتصق
بالأرض ، تسحقه الأدواء حرمانا :
داءُ الجهالة ، في عصر العلوم ، وما
يفتّق العلم ، ألوانا وأفنانا !
داءُ الغرور ، وما يوحي لمضطهدٍ ،
حتى يعود بروح الحقد بركانا ...
داءُ التواكل ، يقضي باليمين على
ما خلّفته شمال البؤس ، أركانا !
وشرُّ داءٍ توارثناه من قدم :
داءُ الزعامة ... في ما جَلّ أوهانا .

هلا أصختَ لصوت الله ، في وطن ،
ينافس الخيرُ فيه الحسنَ ، هتانا ؟
جباله الخضر آمالٌ معلقة ،
تدغدغ القلب ، عبر العين ، تحنانا !
وأرضه البكر ، أرض الحب ، مذ خُلقت ،
كأنها لوحة من غير دنيانا !
تفنّنت ريشة الخلاّق تصقلها ،
فأبدعتها جنان الخلد لبنانا !
قف حيث شئت ، ومدّ الطرف متئدا :
تلق الجمال مشاعاً ، حيثما بانا :
في الصخر، في البحر ، عند الافق تُلهبه
ذكاء ، وهيَ توارى عنه ، حزنانه !
في السحب ، كالعهن منفوش ومجتمع ،
تخاله من ثلوج الأرز أردانا ...
يروعها الضوء من خلف يفاجئها ،
فتنثني بروؤس منه خجلانه ...

جميلة

موعد المجد زها — انتِ — وهامْ
اي نصر ، لوعة العمر ، وقــد
يا انعطاف الآه ادماهـا الشذا ،
شئتِ عزّاً ، وعلى الساح ارتمى
كنت ... فالازمان في مفترق
وثبُكِ النورُ ، ومرمـاكِ ددٌ
وعلى توجيع مـا جئتِ ، رنت
يا مدى الحرية ، انهار العلى ،
ثارت الروعة ، ثارت أكؤسٌ
والرؤى افترت عن العصف ، وما
حلمٌ ايمـانٌ ، وفحتٌ نقمـةٌ
كيف يحلو الحق ان لم تعدمي ،
علّمي الباغين ايضـاً ... علمي
انتِ للعرب مصـيرٌ سؤددٌ ،
دونك الوصف ... ومهما ابدعت

فالوغى عيـد ، اذا حنَّ المرامْ
برد المطمحَ في البـذل ضرام
ودموع النبـل يُشجيه احتدام
نزق الطغيان ، يبغيهـا ركام
مـده لمحٌ وغشاه ظـلام
في اصطحـاب المبتغى يأبى السقام
امة تسخو ، وشعبٌ لا يضام
يوم يضنيك بنعـماه كلام
مذ شربتِ المرَّ في سكب المدام
في خيـال الحر للحر مقـام
وعلى الانشاد من فيك ارتسام
فيروزي حلمَهُ منك ابتسام ؟
إن يجرهم من البطش انهزام
شرقوا منه على الدنيـا السلام
فيك آيات ، تقل دوماً : حرام

جورج رجي

ويصطلي الكون بالنار التي انطفأت ،
وخلّفت بعدها الآفـاق مرجانا !

وتنبري من وراء السحب ، راقصة ،
عرائسٌ تتحـدى الموج عريانـه !
ويسبق الوهم منك الحسَّ ، تحسبها
ملك اليمين ، وكان المرء عجلانا !
فتبسط الكف ، تبغي لمس معصمها ،
تروع وجهاً ، وتندى العطر أبدانا !
تخال تلك الرؤى حقـاً يجسّده ،
ذاك الغموض ، يرين الكون اشجانا ...
فالشط منجذب ، والبحر مضطرب ،
والأفق تخضبه النيران ريحانا ...
زهر البنفسج يكسوه بصبغتـه ،
فيستحيـل هدير البحر الحـانا !

ويشبه الرمل درعـاً راح يزردهـا
ريح الشمال ، بوجه الماء غضبانا !
وراء كلّ خفيض من شواطئـه
تخـال شيطانة تخلو بشيطانـه ،
وكلّ مرتفـع من رمل ساحله
يبدو كجسم تعرَّى عنده الآنا !
حتى إذا نبعت من صوب منبتها ،
نسائم من صميم الشرق عطشانه ...
تلمل الرمـل بالأضواء ينشرهـا
بدرٌ أطـلَّ ، وراء الثلج هيمانا !
فليس في الارض من لوح يضارعه ...
الأ محبـة صنعِ الله إيمـانا !
وأرضُنا ، منذ كان الحب ، موطنه ،
فالخير والحبُّ أقنومان ، مذ كانا !

رشاد دارغوث

عمر الخيام ابو القلق الوجودي الحديث

بقلم الدكتور جميل جبر

منذ اقدم العصور ، ومعضلة الوجود والمصير تشغل الانسان فيتساءل فلسفة وشعرا لماذا حل في الارض وما ينتظره بعد الغروب ? فالعقل البشري يصبو دواماً الى يقين بديهي لينظم بوحيه حياة الكائن ويوجه اعماله واحلامه وامانيه عبر الوجود . فثمة من يرى في الحياة ممرا عابرا الى مقر يدوم فلا يقلقه السعي المحموم الى حل ولا يرهقه الاستقرار الهارب الرجراج . وثمة من يفتش عن معنى لوجوده فيتعب ولا يرضى عن نتيجة فيملأ العيش حتى الطفاف على غرار النواسي القائل :

وعيش الفتى في سكرة تلو سكرة   فان طال هذا عنده قصر العمر

الى هذه المدرسة المتهربة من واقعها الملح انتسب ابو الفلسفة الوجودية الحديثة الشاعر الفارسي عمر الخيام .

شك صاحب الرباعيات بالعلم بعد ان اوغل في جميع اجوائه وشك بالمعتقدات بعد ان افنى عمره تاملا وبحثا في سر الخليقة والمصدر والمآل وشك حتى بمعنى الوجود بعد ان خيبه الفكر وما كشف له الا القليل من الغاز الحياة .

لقد عزَّ على هذا الفيلسوف الشاعر ان يأتي الدنيا ويرحل عنها ولا يعرف لماذا جاء ثم مضى . لقد شجاه ان لا يكون مخيراً في تقرير مصيره او عارفا بما يخفيه السراب :

ما برأيي قدمت هذي الديارا   وسأمضي للرحيل اضطرارا

ويسأل المتمرد نفسه لماذا ابدع الخالق الكائنات ولماذا يقضي عليها من بعد ? وما الحكمة من هذا ? ومن المسؤول ? وترتسم علامة استفهام كبيرة وتقسو مأساة الظامىء الى المعرفة ، القلق الى اكتشاف سر الوجود .

الى ان هذا القلق لا يدفع بالخيام الى التفكير بالانتحار تخلصا من وضع ميتافيزيقي حرج ، بل على العكس ان الاعتقاد بلا معنى الوجود يحدوه الى العب من معينه قدر المستطاع .

بنت كرم صهباء تجلو الهموما   في حياة ملأى اسى وغموما
فأدرها سلافة واسقنيها   نعمة ، فالوجود كان سقاما

لا تدع للاسى اليك سبيلا   لا يك الهم في الفؤاد نزيلا
واغتنمها ، فالعمر ليس طويلا

ان هذا الحس بقصر الحياة وبالعدمية من بعدها هو ما دفع الخيام الى اتخاذ هذا الموقف الوجودي الذي يقوم على التفتيش عن النشوة للنشوة لان في مثل هذه الحالة يهدأ القلق الناحر الذي يساور المفكر الحائر امام مشكلة الوجود ولان هذه الحالة عينها مصدر غبطة اين منها النعيم المرتجى :

ايها الغافلون هبوا قياما   وارشفوها وودعوا الاياما
قبل ان تجرعوا كؤوس المنايا   وتعافوا والخمر عزت شرابا
عيشي نشوتي ، وعمري شبابي ،   وغداً يدمم المشيب الشبابا

انها النشوة العابرة عينها التي يدعو الشاعر العربي الى التملي منها قبل الفوات عندما يقول :

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار

وهذه النشوة تختلف عن نشوة الوجوديين لانها لا مبالية على كونها نتيجة الافلات من التشكك . انها رحبة لا تورث بعدها طعم رماد لان الشاعر لا يود ان تنقطع فتفسح للمرارة مجال التدخل .

ومقامي غصن ظليل بقفر   ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والاهل ديوان شعر

وطبيعي لمثل هذا المتمرد ان يزدري الشاردين عن صراطه وان يحملهم على اتباع مذهبه باسلوب نضر مشوق يغص بطراوة الربيع وحنان الوجد وروعة الحنين .

وطبيعي ايضا بان يذكر الناس بزوال ، في عرفة ، على غير عودة كزوال الورود في اعلى الرياض .

واذكر ... الورد امس ذاع شذاه   واغتدى اليوم في النعال ترابا
حيث تلقى الورد النضير الجميلا   فليك هناك خرّ قتيلا

فلماذا اذاً يصرف النفس عن التنعم بالجمال طالما انه لا يؤمن بغير هذه الحياة ولماذا لا يحثها على ان تستثمر ايامها الى اقصى الحدود ?

لك نفس ، لا شيء ان زلت عنها   فاصطحبها قبل الزوال اصطحابا

والحال ان وخزة ضمير عكرت عليه صفوه لقد جبهته علوية تعاليم الدين وما تمني به الصالحين من نعيم وثواب فاقشعر لكنه ما ارعوى . لقد آثر جنة الارض على جنة السماء :

وانا قانع ببنت الحان   ولك الحور في فسيح الجنان

تائهة

أفديك يا ليل الحيارى التائهينَ مع الزمانِ
بسكونك الموحي اثرت الحب في طي الجنان
ودناكَ كم تحوي من الالم المثير ، ومن اغاني
اسلمت روحي في الجوى ، ليديك يا كنز الحنان

يا ليل هل احسست بالألم المخيّم يوم أمسِ
هل تنفع الشكوى لدى المحزون ، يسعى بالتأسي
قلبي وروحي حائران ، ومثلها في التيهِ نفسي
افديك لو اصغيتَ لي ، افديك من قلبي وحسّي

قل لي : اذا مرَّ النهارُ الحلو عذباً لم أتيهْ
فابوحُ للأصداء والانجم عمّا اشتهيه
وأطير بالآمال احمل للسما ما ابتغيهْ
واخاف افقد ، إن رجعت الى الدنى ما احتويه

وتمرُّ ساعات السعادة في ضميري خاطفهْ
وتهبُّ ريحٌ اطفأتْ ، من شعلتي لي راجفهْ
وأغيبُ في حلمٍ ، لأحملَ ألف ذكرى سالفهْ
ماذا تُرى لي في غدٍ ، اني لمنهُ خائفهْ

دمشق — نريمان زكريا

الا انه ان احب النعيم الترابي فهو ما غفل عما يشوبه من شقاء وخيبة والم ولا نسي الحسرة المقيمة في وادي الدموع . لكنه وهو شاعر النشوة المستمرة التي تبدد كل هم لا يأبه للاجواء الحالكة . فخياله الرحب ينقله الى حيث يشاء من دنى الاحلام والامال والطيوب :

وحبيب يهواه قلبي المعنى — بشجي ، يذيبني ، يتغنى
هكذا اسكن القفار نعيا — وارى هذه القصور خرابا

وهكذا يستعيض الشاعر عن دنياه بدنيا من الهوى والنشوة ، شأنه شأن الجريح الذى يخدر ألمه بالمسكنات العابرة .

لقد تمرد عمر الخيام على الحياة لانه عجز عن اكتناه سر الحياة كما تمرد اليوم عليها سارتر وكامو ، فحاول ان يذهل عن عجزه لاجئا الى الفن ، الى السكرة المستمرة ، الى ذلك الافيون الذى تداوى به من قبل ابو نواس وادغار بو وبودلير ومن لف لفهم .

جميل جبر

رقصة الموت

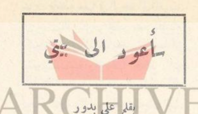
وسأمضي في كل مكان
أتحدى قدري وزماني
أتحدى العين البشريه
اتحدى الصور المرئيه
لن أجري كالطفل الاهوج
لن اقفز او اثب كأعرج
لن ازحف كالدود . كأفعى
لن اعثر في الدرب كأعمى
لن اقذف ناساً بحجاره
لن اعبأ بعيون الماره
لن اصغي لحديث جماعه
لن اقرب سوقاً او باعه
لن احكي للكون حكايه
فالوقت ثمين للغايه ...
وسأمضي

أتأمل ...؟ لا . لن أتأمل
سأكون الظمىء والمنهل
وأمدّ على دربي خطوى
وأراقص نفسي في زهو ...
وأدور ... ادور .. كدوامه
شماء القامة والهامه
وسأرقص للفجر الساري
للطل على بدني العاري
وأمرّ على الشط المغري
وأعانق امواج البحر

وسأرقص عبر سواعده
وسأرقص فوق وسائده
والموجة من رقصي سكرى
تغمرها العربدة الكبرى
لن اخشى اهوال مكاني
فالبحر له شط ثان
وسأمضي ....

أتأمل...؟ لا . لن أتأمل
فالوقت وان طال تململ
سأمر على الروض الحالم
وسأرقص للطير الهائم
وأحط على كتف الشجره
وأعانق اجوائي حره
وسأمسك فجري من رأسه
وسأملأ روحي من كأسه
وأسير مع السحب أثيرا
وأصاحب في السير النورا
وسأرقص والشمس بقلبي
ستموج باشعاع ذهبي .
وتفيض على الكون المظلم
وسأغرق في فرحي المفعم
فأنا ما زلت من الارض
وبأعراق ثراها نبضي
وسأمضي ....

القاهرة — جليلة رضا



بقلم علي بدور

من « الاصدقاء »

مهداة الى الصديق فاضل ضياء ذكرى رحلة لم تتم

كانت السماء مغمضة العين على النجوم.. وريح شمالية تتجمع في نهاية الشارع العريض ، والحارس يخطو خطوات موزونة رتيبة . والمصباح الوحيد المعلق بعمود الحديد ، يرسل نوره في ملل صامت . وكانت ثمة نوافذ تبدو مضاءة من الداخل خلف الستائر المسدلة ، حيث تتجمع العائلات حول المدافىء ، في هذا الشتاء الذي يطحن برده العظم. وكانت ثمة بناية قائمة في نهاية الشارع ، مضاءة النوافذ المطلة على الطريق الا نافذتين متجاورتين ، كانتا مطموستين في عين الحارس الذي رفع رأسه يتأملهما في هدوء ، بينما كان يملأ رئتيه بانفاس سيجارة ، كان سعاله المتصل ، يخبر عن مستوى الدخان الذي ستره الورق الشفيف والاحرف المطبوعة المزوقة .

وتمتم الحارس محمود وهو يضرب بعصاه جانب الرصيف :

— مسكين الاستاذ خالد .. لقد ترك هنا كل شيء.. سيسافر الى المغرب للعمل .. ولكنه ينتظر الطلب ..

وبينما كان الحارس ، يتم ما تبقى من سيجارته ، ويتذكر قصة الاستاذ خالد ، كان يبدو من اول الشارع العريض ، انسان يمشي بمحاذاة الرصيف وبجانبه سيدة ، وتبسم الحارس ، لعله الاستاذ خالد وزوجته .. انهما يعودان اذن ، منذ اسبوع لم يرهما ، لقد اغلق الاستاذ داره ومضى في انتظار السفر.. ولكن ماذا أتى به في هذه الليلة القارسة ؟

— مساء الخير يا عم محمود

— مساء الخير يا استاذ .. كيف حالك .. وحال الست

— بخير يا عم محمود

وشد الحارس قامته ، ومد عصاه الى الامام قليلاً وتساءل في لهجة حازمة :

— ولكن ماذا اتى بك في هذه الساعة يا استاذ ألم تسافر اذن ؟

— انني لن اسافر يا عم .. لن اسافر .. ساعود الى بيتي .

وتابع الاستاذ خالد تصحبه زوجه الطريق الى المنزل .. وتبسم الحارس من جديد مؤملاً ان تضاء الانوار في المنزل من جديد .. وان تعاود الحياة تينك النافذتين الصامتتين منذ اسبوع .

*

لم تكن سامية — وهي تعد طعام الافطار لزوجها الاستاذ خالد — تدرك ما يمكن ان يلقاه خالد اليوم في طريقه من اخبار جديدة عن موضوع السفر الى المغرب . لقد حدثها البارحة عن هذا الموضوع . سفرة تستغرق سنتين او ثلاث سنوات . راتب مناسب . حياة جديدة . واداء واجب قومي تجاه اخواننا استيقظوا مجدداً ، ومن واجبنا ان لا ندعهم ينامون مرة اخرى .

وصاح خالد وهو لا يزال في سريره :

— غداً لن تصنعي شيئاً هناك .. سننزل في الاشهر الاولى في فندق .. ونتناول الطعام فيه . سترتاحين من عبء اعداد الطعام .. وسيتاح لك العناية بالطفل .. الطفل يا سامية

اعادت كلمات خالد المتقطعة التي كانت تسمعها سامية ، ما فقدته من الشعور الحار تجاه هذه السفرة الطويلة.. هذه المغامرة التي لا يقدر على اتيانها الا انسان فنان . انسان ذو دم حار . فردت عليه مادة رأسها في دلال مستحب :

— ولكنك لن تنام الى هذا الوقت يا خالد .. فقد تكون المدرسة هناك بعيدة عن الفندق .. الا تنهض اذن ؟

كان خالد يحس ببهجة الحياة في منزله .. هذا المنزل الذي استأجره منذ عامين ، وبدأ بفرشه قطعة فقطعة . ان هذا المنزل ليس فيه ادوات صامتة. فيه قطع من كبده . البراد ... انه حلم السنوات العشر الماضية الى ان اشتراه . السرير العريض المريح ، لكم امضى من الايام على الاسرة الحديد، وهو يكدح ويجد من اجل هذه الساعة التي يحس فيها بامتلاء الحياة حتى تكاد تفيض .. الرسوم الجميلة التي تزين الجدران ، هذه القبل على الخدود ، هي ، سعي زوجه وتطريزها ساعات الشتاء الطويلة بجانب المدفأة . وهذه الانسانة الوفية التي تعد له فطوره .. والطفل المنتظر . كانت تشعره انه يفتح عينيه على كنز .. على بهجة متصلة الامتاع والسرور .

وقف خالد على باب غرفة الطعام.. كانت مائدة الافطار جاهزة ، وسامية



واقفة تنتظر اشبه بشمعة يستمد منها النهار نوره المتقد.. واغمض عينيه للحظات عليهما تغتسلان بهذا النور المائل امامه، ثم قعد الى جوار سامية، يتناول فطوره في تؤدة واناة.

عندما هبط الاستاذ خالد درج العمارة.. كان يشعر انه يوشك ان يستريح من عناء صعود هذا الدرج.. هذا الدرج العالي. انه يريد ان يغير حياته. سوف يذهب الى المغرب، هناك الجبال تلامس النجوم الحياة على مقربة من الاطلسي -بحر النور اليوم- حيث نافذة الافق الواسعة، والسماء الصافية، والغموض.. وصحراء القرون الخالية.. والسوربون على مبعدة خطوات منه. لسوف يتم دراسته.. لسوف يعيد سابق عهده بالرحلات وسيشهد العالم من جديد مع سامية.. وسيدع العالم كله يبتهج لمرآه وزوجه والطفل.. انه أب.. انه انسان يوشك ان يشعر بتجربة الحياة الحقة حين يكون أباً.

وفي البهو كانت سامية تعد بعض اللوازم.. انها ليست متشائمة.. وان كانت لم تتفاءل لهذه السفرة المفاجئة.. جاءها خالد منذ اسبوع فاتحاً ذراعيه:

- استعدي يا سامية لسفرة طويلة

- الى اين يا خالد

- الى المغرب يا سامية. سادرّس هناك.. سننزل في فندق فخم.. وسنتدبر المسكن المناسب فيما بعد. سأستريح من عناء العمل يا سامية.. وسيرى كل منا الآخر اكثر مما نحن عليه الآن.. سنسعد كثيراً يا سامية سنشهد العالم.. العالم الجميل يا سامية..

ومن خلال الضحكات البريئة اجابته:

- ولكن المنزل يا خالد.. وهذه الغرف التي ملأناها بصبرنا، وجهدنا، وانتظارنا ما فيها الشهور الطويلة.

- المنزل ليس شيئاً.. القطع الصماء ليست كقلوبنا يا سامية. اننا ما دمنا نعيش.. سندع كل ما حولنا يعيش.. وسيواصل الحياة ريثما نعود...

كان قد مضى على سامية ثلاثة ايام، وهي تجمع ما لا لزوم له، خلال الاسبوع المتبقي على السفر، وتبقي على الضروري، ريثما تنقل وخالد، كل هذه الادوات الى غرفة النوم.. لسوف توضع كل محتويات الغرف، في غرفة النوم... واخذت سامية تضع الادوية في ثنايا الفرش.. والسجاجيد، وتجمع ما سوف تأخذه معها في الرحلة الى المغرب.

ان خالد سوف يحضر معه حقيبتين كبيرتين، وكذلك بعض الالبسة التي اشترتها سامية واودعتها الخياط. انهما انفقا الكثير من اجل هذه السفرة. اشتريا ثياباً كثيرة ولوازم قد يحتاجان اليها هناك. وكانت سامية بين الفترة والفترة تراودها خيالات مبهمة عن هذه الرحلة.. وعن تشاؤمها من نتائجها، ولكنها وقد اسلمت قلبها لخالد.. فانها رغم كل شيء، تشعر بالطمأنينة والراحة تجاه كل ما يعزم عليه خالد ويقرره، ويدعوها ببساطته المحبوبة، لان تشاركه الحياة على هذا الاساس.

ودخل الاستاذ خالد المدرسة، فتلقاه المعلمون وكذلك فعل الطلاب بالتحية والاحترام. انه محبوب. يتقن مهنته، ويسكب عصارة فكره في عقول طلابه. انه بسيط ومتواضع ولكنه اذا تكلم فان هذه البساطة تضحى غير بسيطة، ويكون تواضعه من علامات الانسان الذي عرف الكثير واراد ان يقدم شيئاً ما للبشر كافة.

ان الاستاذ خالد يشعر بالحرج منذ اسبوع كلما دخل الصف. كان من دأب الطلاب ان يسألوه عن موعد السفر، فيحدثهم عن البرقية المنتظرة التي سوف تصله من دمشق. لسوف تصل هذه البرقية قريباً.. انه سافر ثلاث مرات الى العاصمة وقابل المسؤولين.. ولكنه لا يزال ينتظر تلك البرقية ليقرأ فيها كلمة السر الرائعة.

ظهر كل خميس يشعر الاستاذ خالد ان الراحة تبدأ تواً. انه منهمك من جراء العمل المتواصل في التدريس. ان بعد ظهر الخميس، ويوم الجمعة، له، لا يشاركه فيهما احد سوى سامية. لسوف يمر على بائع الحقائب.. وكذلك على الخياط.. وسيعاون سامية في حزم حقائب السفر.. وسينقل معها محتويات الغرف كلها الى غرفة النوم.. وسيغلق هذا المنزل، وسينام عند صديقه، بعد ان الح عليه، مخافة ان تصله البرقية دون ان يكون قد اعد نفسه للسفر السريع.

عندما بدأت سامية تملأ الحقائب، كان خالد ينقل محتويات الغرف.. لقد عاونه الحمال الذي حمل اليه الحقائب ينقل البراد.. والغسالة، وكل القطع الثقيلة. كان يشعر خلال ذلك كله انه يحطم كل شيء.. ولكنه مشوق لهذه التضحية.. حيث يهون كل شيء، تجاه الجبال التي تصافح النجوم.. والشعب الذي استيقظ وواجهنا اليوم حياله ان لا ندعه ينام مرة اخرى.. وكان كلما رمق سامية بنظرات عجلى.. كانت سامية تبتسم له من خلال حياتها السعيدة معه، فيحس ان طفلاً صغيراً آخر يبتسم له معها، طفلاً لا يزال حرفاً من نور في فم الله، فيحس خالد بالسعادة تعمر قلبه، وتدفعه لاتمام هذه الطريق الشاقة المفرحة، حيث

السوربون على مقربة منه ، حيث الحياة الجديدة .. حيث الاطلسي كنافذة مفتوحة على عالم غريب بهيج ، حافل بالاسرار والاساطير .

لم يشأ خالد ان يودع المنزل صباح الجمعة .. ولكنه فعل ذلك مع سامية .. ان البرقية لن تتأخر اكثر من ذلك .. وهبط الاثنان الدرج – الذي ضايق خالد كثيراً صعوده عدت مرات كل يوم – قاصدين منزل الصديق الذي سيستضيفهما عنده ريثما تصل البرقية ، حاملة كلمة السر .. حاملة السماح بالسفر .. الى حيث الفندق .. فلا تتعب سامية في البيت ولا في مطبخه . الى حيث كل شيء جديد في حياتهما السعيدة المشتركة .

مكثا ثلاثة ايام في منزل الصديق .

كانت هذه الايام الثلاثة ، ومعها الانتظار ، ومعها الخوف من سوء العاقبة ، مضافاً الى ذلك كله احساس سامية بان هذه السفرة لن تتم .. وكذلك التضحية بذلك الطفل الذي افتى الاطباء بضرورة بقاء امه لعدم استطاعتها تحمل مشاق السفر ، كان لذلك كله ، شعور بالانسحاق الكامل في نفس خالد .. لقد تجسم له العالم ، من خلال تضحياته : المنزل تركه تحت رحمة مالكه .. قد يؤجره فاذا عاد لا يعلم متى سوف يستطيع العودة الكاملة اليه .. ما اعده من سهر السنين وتعبها ، تكوم بعضه فوق بعض اشبه بميت هيل عليه التراب .. وما اشتراه لسامية وله .. حرصاً على عدم شراء اي شيء من هناك ، اربك ميزانيتهما التي لم تكن فضفاضة الثوب على اي حال .

عاد خالد من المدرسة عصراً .. كان يشعر بالدوار .. ليته لم يولد .. ليته لم يتزوج .. ليته لم يكن انساناً يحرص على اداء الواجب بمفرده حيال شعب بأسره . كانت البرقية قد وصلت . البرقية الصامتة .. قصاصة ورق .. ليس غير ، في قصاصة الورق البسيطة ، كانت تكمن رهافة حد المقصلة التي ابعدته عن احلامه .. لشد ما اختلج قلبه لهذه السفرة .. لشد ما حلم بمرأى النجوم وهي تسحب ذيلها على قمم الجبال .. ما اكثر ما احس بهواء الاطلسي يلفح وجهه .. وهذه السوربون القريبة منه كانت اشبه بفتاة تعبر الجسر سباحة اليه .. والحياة مع سامية في الفندق .. وساعات التدريس القليلة ، تتيح له بما تخلفه من اوقات الفراغ ، ان يملأ حياته بالمعاني السامية من الثقافة الرفيعة والاختبار العميق ، والعشرة الصادقة مع زوجة حنون .. وطفل كان يشجعه على السفر .. ولو اودى هذا السفر بحياته .. فداء لسعادة ذلك الاب الطيب ، في محبة هذه الام الملاك .

كانت السماء مغمضة العينين على النجوم .. وريح شمالية تتجمع في نهاية الشارع العريض .. وخالد يتأبط ذراع زوجه عائداً بها الى المنزل ، وفي راحته مفتاح العش الدافىء . ان سامية حزينة للجواب الذي حفلت به البرقية .. ولكنها وقد كانت غير مطمئنة لهذه السفرة ، قد بدت فرحة ، لتتيح لزوجها ان يملأ حياته المعذبة ببعض ما يصدر عن قلب سامية وروحها ، من سمو واشراق جليلين .

كان الحارس اول انسان تقع عليه عين خالد ، قبل ان يصعد درج البناية . انه اول انسان يراه بعد هذه السفرة التي اجراها في الخيال . ان الحارس قطعة من الحي .. والحي قطعة من حياة الاستاذ خالد . الحجارة البيضاء والمصابيح والمنعطف والدرج الطويل .. والناس الذين يلقاهم كل يوم .. والاصدقاء .. والاصحاب .. والالفة التي تنبع من نفوس هؤلاء جميعاً وقلوبهم .. كانت بعودة العائلة الصغيرة .. العائلة التي لم تسافر ولكنها كانت تبدو عائدة من سفر طويل امتد سنوات طويلة .

وسر خالد وزوجه بترحيب الحارس بهما .. لقد بعث فيهما ترحيب الحارس ، قوة نابعة من القلب ، اعانتهما على صعود الدرج .. هذا السلم المعلق في الفضاء .. وفيما كانا يتمان الصعود .. كانت سامية تحاول ان تنضوي تحت هذا الجناح من الامن الذي ييسره خالد لها .. اما خالد فكان يحاول ان يمسك العبرات ، دون ان يستطيع ادراك كنهها .. اهي رجع الالم والخيبة .. ام انها دموع الفرح ، بالعودة الى المنزل الذي خلفه ، فخلف فيه حياته كلها .. وذكرياته كلها ، في وحشة وكآبة عميقتين لا سبيل الى وصف تأثيرهما على قلبه الطيب ونفسه الصافية .

كان المنزل موحشاً .. غرفة فارغة .. وغرفة النوم وحدها تحس باقدام اشباح الذكريات المحبوسة ، في ثنايا كل قطعة .. وكل ما انفق عليه من تعب الايام ، والشهور المديدة . فلما اضاء خالد المصباح وجد زوجته سامية تحت المصباح ، تحدق في وجهه ، بعينين لم يفهم ما ترميان اليه لاول وهلة ، وان كان مسرعاً في رد الجواب .. لقد ضمها الى صدره .. كانت تبكي والابتسام يملأ وجهها الملائكي .

لقد عرف خالد لاول مرة في حياته ، من خلال دموعه ودموع زوجته . حقيقة الألم الذي يخلفه الفراق في قلب الانسان ، حتى ولو اقتصر هذا الفراق على غرفة مليئة بحاجات المنزل المتواضعة !!

حلب — علي بدور

المسيرة المقدسة

الى جميلة

فديت مقلتيك تسكبان ، يا جميلة ، السنى
وأنت تنهرين عن مسيرتي الضنى
وتفتحين نافذات قريتي للشمس ، للأشذاء ، للمنى
تولد والتاريخ في جزائري ، في كل منحنى
وقريتي « وهران » أسطورة الكفاح ، تنسج الظفر ،
إكليل غارٌ ،
ينهل من دماء إخوتي الصغارْ
كأنجم حمراء ، في عتمات مسرانا ، صغار
أو من عذارى موطني يلقمن ألوان الدمار ،
من يستبيح ، في بلادنا ، منابت الحياة والزهر

وصرخةٌ من فم « ميرابو » الحزين ، تعبر الزمان
تلقى على ثغرك ، يا جميلتي ، صدى أغر :
« من ها هنا شعبي ، كعملاق ، يسير ، يزدري العمر
كأنه إرادة الحياة ، لا تشلها القيود والزمان
عملاق أفريقيّة السوداء - ألون الرهيب ! - يستعر
يا ريس ، ألون الجريح يستعر
يا ريس ، في مثواه ، « ميرابو » الهيان يستعر
وإخوتي العصاة يكرهون ان نضام
وان تشاد ، في رحابنا ، معاقل الظلام
فينبتون ، في جبالنا ، « أسنّة الحراب »
في السهل ، في الصحراء ، في الهضاب
على أسنّة الحراب
وألف « ميرابو » يثور ، يستعر
ويزرع الضياء ، والحياة ، والغرام
في كل شبر من ثرى جزائري ، في كل منحنى
سخرية بظلمة الطغاة ، بالمنون ، بالعُمُر »

وأنتِ ، من كوى السجون ، تمنحيننا السنى
كأنها ، برغم جلاديك ، مورد السنى
هيهات ان ينضب ، في عينيك ، مورد السنى
وأنتِ تدفعين عن دروبنا الضنى
خرافة العصور !
كأن مقلتيك تحكيان لي خرافة العصور !
فكل عذراء تثور ،
في أرضنا نارٌ ونور
تحرق باستيل الطغاة او تفيء مرتقى النور
فديت مقلتيك ترعيان زحفنا القدسي والمنى
وأنت تحلمين بالجبال ، مرتقى النور

وتهزأين بالردى
بالنار ، بالقضبان ، بالأسياط ، بالمدى
ترتد خجلى عنك ، عن طهر البطولة والإباء
أو تسمعين صرخة الثوار تعبر العصُر :
« عدلٌ . مساواة . إخاء »
وجند يا ريس الغزاة يسخرون بالمبادىء الغرر :
« عدل . مساواة . إخاء »
الهاربون من « فيت مين » الوضيئة الصور ،
« لاكوست » ، والمجد الملوّث البريق والجنود يهربون
من ذكريات الامس ، من عار الهوان يهربون
في غابة الفرسان ، في أعماق آسيا الغضوب ، يهربون
ويحسبون أنهم سيلقمونك الردى
ويحرمون إخوتي الأباة نشوة الظفر
وفيك ، من عينيك ، يزأر الصدى :
« وهران » ، يا يا ريس ، أسخى بالردى
يطوي بقايا مجدك الموهوم عاراً أسودا
إنا رعيناه لنا إكليل غار ،
ينهل من دماء إخوتي الصغار
كأنجم حمراء ، في عتمات مسرانا ، صغار
أو من عذارى موطني يمنحن ألوان الدمار ،
مَن يستبيح أرضي المعطار ، أو منابع الندى »
فدىً لمقلتيك تزجران عن مسيرتي الردى
ينهار من إصرار عينيكِ الردى

وقريتي « وهران » ، أسطورة الكفاح تزرع الظفر
في كل شبر من ثرى جزائري ، في كل منحنى
وتفتح النوافذ الظماء الربيع أو أرائج المنى ،
تفوح في منابت الحياة والزهر ..

بغداد **صالح جواد الطعمة**

جميلــــة

للميعة عباس عماره

بغداد — العراق

جميله .. جميله ..
على هذه النغمات الحزينه
أُحِسُّ كأن خطاكِ الرزينه
تسير وحراسَك المجرمين
علوجَ فرنسا المهينه
تسير بلا سلسله
الى المقصله ..
وأصرخ مجنونةً : لن يكون
ولن يُسلموا جيدها للمنون
أتسبى حرائرنا الثائرات
وتقبع آسادنا في سكون
معاذ البطوله
ولبيكِ ألفاً جميله
بكل دمانا ، وثورة احقادنا
سنملأ قلب الحياة لأولادنا
سلاماً ولحناً وعطراً
ونوراً يضيء مسالك احفادنا
سنجتثُّ كل دخيله
ونهتف : ثأر جميله
ويصرخ شعب فرنسا : سئمنا الذنوب
وشعب فرنسا ككل الشعوب
يساق الى الظلم تحت الرصاص
حثالاته شغفت بالحروب
ويوقع بالابرياء القصاص
ولكن حذارِ
فخلف الجدارِ
أيادٍ نبيله
لانقاذ ألف جميله .

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي نسيب مكارم
ماجستير في الادب العربي

اسكندر العازار

أما اسكندر العازار ١٨٥٥ – ١٩١٦ فقد كان كاتباً شاعراً رقيق العاطفة كتب علاوة عن مقالاته الصحفية وشعره الكثير ، عدة مسرحيات كرواية « حرب البسوس » (١) ورواية « مَن رام معاندة الانثى فليأتِ لندمغ جبهته » وقد مثلت على المسرح الوطني لاسعد رعد، ورواية «مجاعة روميه» وتدور حوادثها على مجاعة حدثت في روميه وعقبتها ثورة عن الشعب وقد مثلت عدة مرات في بيروت .

كان اسكندر العازار ينحو في شعره منحى رومانتيكياً كأصحابه فاذا به عاطفي يطفح حنيناً وألماً . ولم يكن لاسكندر العازار قصائد كثيرة طوال وانما كانت مقطوعاته لا تتجاوز الابيات المعدودة. ومن شعره ابيات عنوانها : « شيء عن الخريف » يصف بها الخريف في تركيا عندما كان في بلدة ارناؤط كوي سنة ١٩٠١ وفيها يظهر وصفه الدقيق وحنينه الى وطنه ونزعته الرومانتيكية . قال :

تشرين جاء مضيقاً بغيومه   صدراً تطول الى الحمى أشواقه
الغاب والبسفور تبدر أنة   وأسا الغريب تبثه آماقه
والجو يقطر دمعه وأمامه   شجر الخريف دموعه واوراقه

ومن شعره الذي تتجلى فيه الرومانتيكية من حنين وألم وحب للطبيعة قصيدة غزِلة عنونها « الى ماري » قال :

ما حيرتي في صبوتي   والصب ولهان
في النار كانت جنتي   والحب رضوان
صاح وفيها سكرتي
لي من نعيمي شقوتي
هل من مقيل عثرتي
يا بنت عمران
كم تقت ان ابقى معك   حيناً واحيان
والنجم يحكي مطلعك   في غاب لبنان
الغاب كانت مربعك
أحشاء صدري مرتعك
بالله قل من روعك
يا ظبي عسفان
يا زائري تحت الحلك   نبهت سهران
لم يبغ الا منهلك   ظمآن حران
لا شأن لي ان أسألك
مَن عند فجرٍ قبلك
ما أنت إنسان
احببت بدراً مشرقا   والليل وسنان
احببت غصناً مورقا   والروض ريّان
احببت عصفوراً زقا
إني ورب خلقا
اهوى الجمال المطلقا
ابان ما كان

وقد كان اسكندر العازار الى ذلك ظريفاً حلو النكتة لطيف المعشر قال مرة في رجل كان يعتني بشاربيه الطويلين :

عندما يحمل شخص حقنة   يحجب الحقنة بين الكفتين
افما تلكون امرأ معجبا   رجل بالوجه يحوي حقنتين ؟

ومن قوله في احدى الحسان :

قل لمن الهتها في صبوتي   وهي بي من بعد هجري والهه
انني اصبحت من نحو النسا   خشناً كالعلم عند الالهه

ولاسكندر العازار بعض القصائد المترجمة عن الفرنسية . ومن ترجماته ابيات اربعة لفولتير : ترجمها كما يلي :

من ذا الذي بهداية من عنده   عرف الصحيح محققاً ببيانه
اذ روحنا انحلت وباد شعورنا   في جنح ليل لا انقضا لزمانه
هل نحن احيا واللحود تضمنا   او قوّض البنيان من اركانه (٢)

الياس فيّاض

ومن شعراء تلك الحقبة الذين تأثروا بالرومانتيكية ابعد التأثر الشاعر الياس فياض . ذلك الشاعر الذي ترك لنا شعراً ينم عن عاطفة ورقة وسلاسة وصدق صقلتها نزعته الرومانتيكية

---

(١) المعلومات الوارة والاشعار تفضل بها علي الاستاذ جرجي نقولا باز.

(٢) Quel homme a jamais su par sa propre lumière
Si, lorsque nous tombons dans l'éternelle nuit.
Notre âme avec nos sens se dissout tout entière.
Si nous vivons, ou si tout est détruit.

ولقد عني الياس فياض ، كما ذكرت من قبل ، بترجمة بعض الشعر الغربي وخصوصاً الفرنسي . وقد ظهرت نزعته الرومانتيكية من خلال اختياره لهذا الشعر الذي ترجمه او اقتبس عنه بعد ان احس به اشد الاحساس فصدر عنه وفيه من الاصالة في التعبير ومن الشعور الصادق والعاطفة الاصيلة الشيء الكثير ، ولم يكن مجرد ترجمة او اقتباس . اننا نحس انه في قصائده المترجمة او المقتبسة تلك شاعر اصيل مرهف الحس صادق الشعور لم يترجمها او لم يقتبس منها الا بعد ان اصبحت جزءاً من ذاته قد اندمج بها واندمجت به .

اما قصائده غير المترجمة فانها كأخواتها وكشعر رفاقه ، تزخر بالرومانتيكية، من تعبير عن الذات المتألمة الساخطة ومن نقمة على الاوضاع والمجتمع ، كما نرى في قصيدته « اما انا فسأبقى » (١) التي قالها عندما هاجر لبنان الرازح تحت نير الظلم والاستبداد في ذلك الوقت الى مصر اذ دعي لكي يحرر في الجرائد . قال :

رذلوني وصيروا البطل حقا   واروني البلاء غرباً وشرقا
فالى مَ هذي الشدائد نلقى   والى مَ بالظلم يا قوم نشقى
هاجروها فالله خير وابقى

ويسترسل بالتعبير عن بؤسه ونقمته وثورته فيقول :

تعست حالتي وساء مصيري   في بلاد قد قل فيها نصيري
واستحل الغني سلب الفقير   فبجري لهما اراني محقا
هاجروها فالله خير وابقى

ومن قصائده التي تمثل نقمته وثورته على المجتمع قصيدته « المشنوق »(٢) وهي قصة رجل فقير دفعه جوعه الى ارتكاب جريمة قتل فحوكم وشنق . ينقم الشاعر في هذه القصيدة على المجتمع وعلى الواقع فيقول :

كم شقي يساق للاعدام   كان اولى برحمة الاحكام
ولكم في القصور ناعم بالٍ   وهو احرى بالنار ذات الضرام
قاتل النفس دونه قاتل الجسم   فليس النفوس كالاجسام
ما لهذي الحبال تعفو عن العالي   ويعلو بها وضيع المقام
ما سمعنا بأنهم علقوا يوماً غنياً   بها ولا في المنام
افكل الانام اهل صلاحٍ   ما خلا ذا الفقير بين الانام
إن يقِ المال ربه الاثم   فالفقر يجر الفقير للآثام

ثم يقول بلسان الفقير :

يا ذوي المال انتم شركاء   لي ولكن بغير هذا الحمام
لو اردتم لما ارتكبت المعاصي   لو اردتم لكنت خدن سلام

وهكذا يمثل الياس فياض مع رفاقه الذين نحن بصددهم تلك الحقبة من الزمن التي كانت ترزح البلاد تحت اثقالها فيأتوننا بشعر يعبر عن نفسياتهم الساخطة الناقمة المتألمة احسن تعبير .

الدكتور نقولا فياض

اما الدكتور نقولا فياض فربما يكون اقرب اولئك الشعراء الى التجديد في الشعر ، فهو لم يتأثر بالشعر الغربي الرومانتيكي فحسب بل تأثر ايضاً بالشعر الرمزي ايما تأثر وكتب عن الرمزية كتاباً سماه « الرمزية والشعر الرمزي » لم يحظَ بالطبع حتى الآن .

اراد نقولا فياض التجديد في كل شيء ، في المبنى والمعنى على حد سواء . اما في المبنى فقد دعا الى الخروج بالمفردات « عن معانيها الظاهرة المألوفة(٣) كما يقول ان للكلمة معاني اعمق من معناها الظاهر المتعارف عليه ، ومدلولات اوسع من مدلولها الذي اعتادت ان تدل عليه : فالكلمة ، كما يقول ، « ذات" مستقلة لم نأخذ منها حتى الآن سوى الظاهر من معناها دون التعمق فيها . » (٤) انه لا يقصد ان تعطي الكلمة معناها بقدر ما يقصد ان تخلق في السامع والقارىء صورة جديدة . وهذا ما يريده الرمزيون بعينه . لقد شاخت الكلمة بالاستعمال وعلى الشاعر ان يفرغها من معانيها تلك التي تراكمت عليها على مر السنين ، ويعطيها شذى جديداً يعيد شبابها ويعيد اليها مقدرتها على خلق الجو الشعري الذي هو الغاية من الشعر .

يقول في ذلك نقولا فياض: « مثلًا تعودنا ان نقول نعومة الشعر الاشقر ، فلو جاءنا مجدد وقال نعومة الشعر الشقراء لقلنا هذا هذيان فكيف توصف النعومة باللون وهي لا تدرك بغير اللمس ، مع انه لو تعمقنا في الحقيقة لوجدنا ان هذا الذي ننعته بالهذيان هو في الواقع ابعد مدى في الوصف والبيان ، فان الباس النعومة لوناً اشقر يخلق في ذهن السامع صورة جديدة تريك النعومة في اقصى مداها . » (٥)

يريد نقولا فياض من قوله هذا ، وقد تأثر فيه بالرمزيين بأن وحّد بين اللون واللمس والذوق وغير ذلك من مظاهر الوجود وكما فعل بودلير ، ان يجعل الكلمة طيعة لينة تؤدي للانسان غير معناها ، انه يريد ان يطلقها من قيود المعنى

---

(١) فياض الياس : ديوان الياس فياض ، ص ١٤ . (٢) المصدر نفسه، ص ٢٢ . (٣) فياض ، نقولا : على المنبر ، الجزء الاول ، ص ١٧٩ . (٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ . (٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .

ويجعلها ، كما يقول ، « عبدة لنا لا ان نكون نحن عبيدها ، ولا يخفى مـا في هذا التوسع من خدمة البيـان ونجدة اللسان . »(١) فاسمعه يقول :

ان اكن قد بحت يوماً بالهوى فلأنفاس السحر
بحت الريح التي تضحك او تبكي بأوراق الشجر (٢)

او يقول من قصيدته « يا ليل » :

خفف الوطء عليا علني افهم شيا منك يا ليل
كلما اطلقت فكري . فيك يجري ، كنت كالخابط في امواج بحر
تحت عمق ، يتلوى مثل قيد حول عنقي
وباذني طنين لا يبين
من هدير الشر وصراع القدر
كلما انعمت فيك النظرا
لأرى ما لا يُرى
خلت اني بالغ تلك الحدود
والسدود
خلف غابات الظنون (٣)

فتعابير مثل « انفاس السحر» و « هدير الشر » و « غابات الظنون » وما شاكل ما هي الا تعابير رمزية .

ولم يكتف نقولا فياض بان يدعو الى التجديد في الكلمة نفسها بل دعا الى التجديد في التركيب وفي الاسلوب .

اما في التركيب فقد دعا الى نبذ التراكيب الشائعة والى استعمال القوالب المستحدثة التي يتمكن بها الشاعر من ان يفرغ فيها من المعاني ما يريد ، ويتوخى من هذه التراكيب الذوق الفني والايحاء فيقول في ذلك : « وحسب الشاعر الذوق هادياً فيما يحاول بناءه من جديد العبارات فيتوخى في اظهـار شعوره حاجة العصر من الاقتصاد في الوقت فضلاً عن ان الذهـاب بالتعبير الى اقصى مداه يضعف الصورة ، بخلاف الغموض الذي يلازم الايجاز فانه ينفع في تنبيه فكر السامع واعمال فكرته لرد المعنى المبرز في حلة من المجاز الى حقيقتـه ، وهي حركة ينطبع فيها الأثر بأشد من انطباعه لو بلغ المدركة دفعة واحدة ، ويعطي القـارىء لذة اكتشاف المعنى في قلب الشاعر كأنـه شريك له في النظم . » (٤) فاسمعه يقول :

لم أجد غير امرىء فيه يجول يحملُ المعول والفأس معـا
صحت ، والفكر تولاه ذهول يا زمان الوصل هلاّ رجعا
والصدى
ردّدا
يا زمان يا زمان (٥)

انه في ذلك يوحي بما يريد ولا يقوله قولاً واضحاً وهذا ما اراده الرمزيون .

اما في الاسلوب فقد دعـا الى التحرر من القافية والوزن عندمـا تدعو الحاجة الى ذلك . فالشاعر يحتـاج في كثير من الاحيـان ان ينتقل من عاطفـة الى اخرى في نفس القصيدة ، ومن البدهي ان لكل عاطفة وسيلة للتعبير تختلف عن غيرها ، فالشاعر كما يقول، « مدفوع بالبديهة الى التنقل من بحر الى بحر مع العواطف كما تنتقل انامل الضـارب على العود من وتر الى وتر . » (٦) ونقد بعض شعراء المهجر كجبران في«مواكبه». على ان نقولا فياض بالغ في ذلك في بعض الاحيـان حتى انه خلط بـين الابحر المتشابهـة كمجزوء الوافر والهزج ، وكأنه يتصنع ذلك تصنعاً . كما انه تحرر من وحدة البحر ولم يحافظ الا على التفعيـل كما نرى مثلاً في قصيدتـه « الارض تخـاطب الانسان » وقد تحرر فيها من القافية وجعلها تأتي بالبديهة دون اي تعمل او تكلف او نظام كما زاوج فيهـا بين عـدّة اوزان كالهزج ومجزوء الوافر والمتقارب والخفيف . يقول فيها :

لقد شبت وما شبت تقول الارض للناس
فمن شرق الى غرب ومن قطب الى قطب
ومن رأسي لأطرافي
يمر الدهر كالحلم
على جسمي
فلا يوهن من عزمي
ولا يرهق اعطافي

الى ان يقول :

صحبت ذنوب الزمان فلم اجد مثل يومي وآفاقه
جنون على رممي زحفه وفي اضلعي وقع ضرباته
يلذ ضرب المعولِ
يقول لي
انت الغذاء والمنى
يا امنا
لا تبخلي

الى ان يقول :

بالسحر حملتـه في جبيني من ربيع الآمال والايام

---

(١) المصدر نفسه. ص ٢٠٠ . (٢) فياض ، نقولا : رفيف الاقحوان، ص ٧٣ . (٣) المصدر نفسه : ص ١٢٦ . (٤) فياض ، نقولا : على المنبر ، الجزء الاول ، ص ٢٠٠ . (٥) فياض ، نقولا : رفيف الاقحوان ، ص ٦٢ . (٦) فياض ، نقولا ؛ على المنبر ، ص ٢٠٢ .

وعناق السماء في زرقة البحر وفي خفرة الشعاع النامي(١)

ثم يرجع الى النغم الاول وهكذا دواليك .

اما من حيث التجديد في المعنى فقد دعا كما دعا الرمزيون قبله ، الى التعبير عن العقل الباطن والشعور الداخلي الكامن عند الانسان . قال في تفسير ذلك: « لنفرض ان طائرة هوت من حالق وتحطمت امامك بمن فيها فحركت فيك عاطفة الشعر ، فاذا اتبعت الطريقة المألوفة فأول ما تصفه سقوطها وحالة المصابين مستعيناً بتشابيه واستعارات جارية على كل لسان .

« على ان لديك موارد جديدة غير هذه وهي ما يمر في نفسك عند رؤيتك الفاجعة مرور البرق فاذا انتبهت له واخذته فوراً كما يأخذ المصور الشمسي الصور السريعة فقد تزيد على ما عندك من المعاني ، ما يعبر عن شعورك الداخلي ، والهزة النفسية التي احدثها سقوط الطائرة ، فتضيف الى صورة الواقع صورة اخرى من اضطرابك الذاتي وما توارد على خاطرك في تلك اللحظة من شتى التذكارات والصور والالوان والاصوات . »(٢)

وكذلك دعا فياض الى الانتباه الى ما سماها مرئيات الوجود ، وهي ما توحيه الينا مظاهر الوجود كالالوان مثلاً . فاسمعه يقول :

فاذا بي حاسر الطرف كليل
دمك الاسود في عيني يسيل
حرقاً تحت الجفون (٣)

او يقول :

لم ابلغ العشرين بعد وهمتي ... ملّت بميدان الحياة جهادا
وسواد شعري ما تغير لونه ... وبياض آمالي استحال سوادا (٤)

وهكذا نرى ان الدكتور نقولا فياض قد تأثر في نظرته الى الشعر بالمدرسة الرمزية الغربية كل التأثر وكادت آراؤه التي اوردها تكون نقلاً حرفياً عن نظريات الرمزيين .

على انه يمكننا القول ان هذه النظريات التي اوردها الدكتور فياض لم تتعدّ كونها نظريات فقط ، فهو لم يستطع ان يطبقها على شعره كله ، فالقصائد التي تطابق ما اورده من نظريات قليلة بالنسبة الى شعره فهو لم يخرج في معظم شعره عن النهج التقليدي . على اننا يمكننا القول ان نقولا فياض بدأ بالتجديد في الشعر حين كان الشعر لا يزال يتخبط في دياجير التقليد ، فكان بعمله ذاك من اوائل المجددين في الشعر العربي الحديث .

سامي نسيب مكارم

(١) فياض ، نقولا : رفيف الاقحوان ، ص ٢١٤ – ٢١٦
(٢) فياض ، نقولا : على المنبر ، ص ٢٠٦ – ٢٠٨ (٣) فياض ، نقولا : رفيف الاقحوان ، ص ١٢٦ (٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

نجمة البحر

يا نجمةً في الغروبْ ... تنأى على غارب
جرحتِ حلمي الطروب ... بلحظك الهارب
مرآك لحن بهيجْ ... أقام في خاطري
يستل شعري وهيج ... من حسنك العاطر
مرآك سرٌّ رهيب ... كتمتُه في دمي
واجنحٌ من لهيب ... حنَتْ على أعظُمي
مرآك وحي هتونْ ... وهاتف من عَلِ
وبارق من فتونْ ... ينصب من مشعل
مرآك يسري معي ... في موكب من بدورْ
كالبوح بالادمع ... بما تكنّ الصدور
مرآك خمر رحيقْ ... وأنّة ساجعه

ويقظة تستفيق ... وحضرة راجعه
مرآك جوع شهيّ ... ورعشة من قلقْ
ولمح آتٍ بهي ... على ذراع الفلق
مرآك أخفى ضميرْ ... من سر ما لا يُرى
ونسمة من عبير ... ترف فوق الذرى
مرآك اشجى صدى ... من همسك المطرب
ونغمة في المدى ... من معزف المغرب
يا نجمة البحر في ... إيماضك الغاهب
لي نهلة المشتفي ... من حلمه الذاهب

نبيه صقر

المغيب في غاب الشومبرون

نثر المغيبُ قلائد الدر … من نوره المنهلّ كالقطر
ومضى يوشي كلّ رابيةٍ … من ذائب الأنوار بالتبر
أفوافه نشرت مطرزة … كالسطر خلف السطر بالدر
فالأرض تزخر منه في غمر … والأفق يعصف منه بالجمر
صور يطالعك المغيب بها … خلف الغمائم حيثما يسرى
صور كما شاء الخيال بها … من فتنة عصفت ومن سحر
نجد الربيع يطل متشحاً … من دونها بمطارق حمر
وترى أزاهره مفتحةً … عن كل عين بالندى تجري

خلع المغيبُ عليك فتنته … وجلاله في رفعة القدر
وكساك من أحلامه صوراً … ماجت بأفواف لها خفر
فكشفت للأنظار عن فتنٍ … وهتكت للأبصار عن سر
صور طلعت بها فحنّ لها … صدر وحن هوى الى صدر
وتشوفت مقل لها وصبا … من صبوة ثغر الى ثغر
فيدٌ اليك مشيرة وفم … شاد وقلب ضجّ من سكر
نشر السكون عليك مئزره … نشر الشراع يرف من ذعر
ومخرت بالارواح عاصفة … كالبحر يهدر أيما هدر

نشرت قيان الدوح من عجب … أفوافَ غانية لمغتر
وتمايلت تيهاً بزينتها … ان الشباب مكامن السحر
رفعت قيانُ الدوح أروقة … ضلت بها الأذهان عن حصر
سحب من الأغصان عن أمل … برقتْ وسحّ غمامها يجري
شام المحب خيالها صوراً … لهواجس تفتر من بشر
وأطلت الآمال عن كثب … صداحة نغمت بمفترّ
أيد من الاغصان قد بُسطت … بسط الكريم يديه في يسر
أيد تفيض ندى لسائلها … وتسحّ بالانداء والعطر

وافيتُ ربعكِ والمغيب له … عين تفيض بذائب التبر
عطفت على الدنيا مودعة … ورنت اليكِ تشير عن أمر
والطير في الآفاق من جزع … خوف الظلام عدت الى الوكر
ضربت جناحيها على ضجر … صدر الفضاء لغصةٍ تغري
وأطلت الأشباح عن كثب … تختال في حلل وفي أزر
ترمي بمكتحل لناظرها … عجباً وتسخر أيما سخر
والناس حولك عكف هتفوا … للحسن في سر وفي جهر
وبكل ناحية لديك فتى … يشدو بآمال له زهر

طالعت فيك جديد كل رؤى … ولمست فيك عجائب السحر
وقرأت ما سطر المغيب على … صفحات سفر الافق من شعر
لك من فتون الفجر ريّقه … خلف الغمام يطل من ستر
ومن الغروب عميق نظرته … في خاطر سمح وفي فكر
العاشقون بكل مرتبع … يتشوفون بمقلتي نسر
والعطر نمام بما كتمتْ … كبد عن الأبصار من سر
عبر الحياة بكل مندرج … بزغت دوين ثراك كالسطر
ووقفت أستجلي على مهلٍ … ما خطه الامساء من سطر

دمشق

عدنان مردم بك

انتظـــــار ..

للزهرة البيضـــاء

العراق – المقدادية

ألم وشوق وانتظارْ ..
وعلى الجدار
ستذوب اضواء النهار
وتموت آلاف الظلال
وتغور في افق رهيب الموج ، ملتهب الرمال
وتعود ومضاً ميّت الأوهام في كأس تراق
بين النجوم
خلف الغيوم
والكأس احلامٌ وشوق وانطلاقْ ..

في رفّة العطر المجنّح بالهوى أسرارُ
تغفو على اندائها النارُ
في بسمة البدر الموشح بالضبابْ
حلمٌ يهيم على شفاهٍ من تراب
ظمأى الى الوهم المقنّع بالسراب
وعلى الجفون ..
رقصت شياطين الأسى والكبرياء على الجفونْ
وتمرّد السر الحبيس .. وهام في تيه الظنونْ

ألمٌ وشوق وانتظارْ..
والليل يصخب في القفار
والريحُ تعوي في المقابر والطلول
وتخطّ في سفر الكفاح المرّ ملحمة الأفول
والعالَمُ الموعود يرقدُ وادعاً خلف البحارْ
في بسمة الانوار .. في شفة الندى ..
في ومضة المجهول من خلف المدى ..

الكون يأسٌ واحتضارْ ..
وأنا ..
املٌ وشوقٌ وانتظارْ ..
للعالَمِ الموعود يرقد وادعاً خلف البحارْ



بقلم سليمان موسى

الى الاستاذ محمد اديب العامري تقديراً لأدبه وفضله

قضى الليل وهو يتقلب على فراشه، تارة على جانبه الايمن واخرى على جانبه الايسر ، كان يغمض عينيه ويحاول ان يقسر نفسه على النوم ، ويكرر الارقام من واحد الى مئة مرة بعد اخرى . ولكن عبثاً يحاول وافكاره تتفلت من اسوار ارادته كما يتفلت الماء من بين اصابع اليد .

هي تجربة جديدة يريد ان يمر بها ، مغامرة واحدة صغيرة من بين الاف المغامرات التي طالما داعبت خياله الفتي ، ومتى يبدأ الانسان مغامراته اذا لم يبدأها وهو في السادسة عشرة من عمره ، ومتى يجد المرء تبريراً وعذراً لافعاله اذا لم تمنحها له ذاته في هذه السن المبكرة ؟

ولكنه لم يكن يحس انه ما يزال فتى . لم يكن يشعر ان شاربه لم يطر بعد وان عذاره لم يخضوضر . لقد بلغ مبلغ الرجال منذ ان بدأ يكسب أجراً على عمله . الا يقوم مقام ذلك المعلم ... خلف .. الذي ذهب قبل بضعة اشهر لكي ينخرط في سلك الشرطة ؟ بلى ، وهو موقن انه يعلم الصبيان في الكتاب على وجه افضل ، ولكن ذلك صار اليوم تاريخاً قديماً . لقد ذهب طعم الحلاوة اللذيذة التي احسها في حنايا نفسه يوم قبض الدينار والنصف اجرة الشهر الاول من عمله . كانت تلك اول مرة في حياته يرى نفسه مالكاً لمبلغ كبير من النقود كهذا . وهو لن ينسى طيلة عمره السعادة التي غمرت كيانه كله يوم عاد الى امه ووضع النقود في راحة يدها ، لقد ترقرقت عيناها بالدموع وهي تتجه ببصرها الى السماء وتغمغم بكلمات الدعاء التي خنقها التأثر واحتدام العواطف .

ومضى يتقلب على فراشه الذي كان يمتد الى جانب فراش امه واخته . لقد كان قبلاً ينام الى جانب امه في فراش واحد فوق « اللبادة » ، اما الان فهو لم يعد صبياً بعد ان صار يكسب اجراً شهرياً ويقوم على تعليم الاولاد ، وهو ينام على فراش مستقل به ، وفي هذا ما فيه من اعتراف ضمني من قبل امه واخته بانه اصبح الان رب البيت .

ورفع بصره الى سقف البيت الكبير الذي بناه جده ، واخذ يتأمل القناطر الثلاث التي تدعمه ، واخشاب البلوط ذات الشعب التي يقوم عليها السقف فوق القناطر . كان الاجداد يبنون بيوتهم كبيرة واسعة لكي تتسع لهم ولابقارهم ، وما كانوا اقل سعادة من هؤلاء الذين يعيشون في منازل ضخمة ذات حجرات كثيرة . لقد مضى ابوه وجده ومضت جدته وردة التي كانت تحكي له حكايات طويلة ممتعة في ليالي الشتاء حول موقدة النار . يا للاقدار اللعينة التي سلبته ابوه وجدته في صباه الباكر ، لقد كانت امه تقول له دائماً انه ورث حب هذه الكتب عن ابيه ، وكان ابوه يرجو ان يراه شاباً متعلماً ولكنه مات ولم يترك في محفظة نقوده غير مجيدي واحد . وماذا ينفع المجيدي ؟

كان قبلاً يرى ان عمله في تعليم الصبيان هو غاية من الغايات التي تطمح اليها القلوب ، وانه يمكن ان يعوض فيه شيئاً من اطماع نفسه ، ولكنه صار لا يرى فيه الان اكثر من مقبرة تفغر فاها كي تدفن في جوفها شبابه واحلامه ومستقبله كله . وقد لا تمر عليه عشرة اعوام في مهمته هذه حتى يرى بعض هؤلاء الصبيان يتوافدون من الخارج وهم يحملون الشهادات العالية في حقائبهم بينا يظل هو قابعاً في مكانه كالوعاء الصديء الذي لا تزيده الايام الا تشويهاً وقبحاً .

واخذته سنة من النوم وهو يجيل النظر بين القناطر وخشبات البلوط ، ولا يدري اطالت غفوته تلك ام قصرت . ولكنه مد بصره نحو الباب عندما افاق ، فرأى ضوء القمر يتسلل من بين شقوق الباب ، والتفت نحو امه واخته فرآهما مستغرقتين في نوم عميق ، فانسل من فراشه بخفة ، وفتح صندوق امه الخشبي واخذ منه نصف جنيه ، ثم ارتدى ملابسه على مهل وهو يحاذر ان تبدر منه حركة توقظ امه . ولكن الله سلم ، ومضت امه واخته في نومهما بينا انتهى هو من اعداد نفسه ، وهم بمغادرة البيت ، ثم فطن الى ان الطريق طويل فاخذ رغيفاً من الخبز وضعه في جيبه وتناول قليلاً من حبات الزيتون لفها في ورقة ووضعها في جيبه الاخرى . واخيراً سار نحو الباب بحذر وادار



المفتاح في القفل بحرص شديد ، وفتح الباب .

وفي تلك اللحظة فطن الى ما كان غائباً عن ذهنه . ماذا سيحدث عندما تستيقظ امه في الصباح وترى فراشه خالياً ولا تدري الى اين اتجه او ماذا حدث له . انه اعرف الناس بامه وفوران عواطفها ، وشدة حنانها ؛ وردّ الباب ثم عاد الى حيث يجثم قنديل الضوء في جانب الغرفة ، ورفع الفتيل قليلاً ثم تناول ورقة صغيرة من جيبه الداخلي وكتب بقلم الرصاص ما يلي :

والدتي الحنونة ،

اقبل يديك وارجو ان لا تشغلي بالك كثيراً بامري . لم اعد استطيع الاستمرار في تعليم الصبيان ، لقد اطلعوا روحي . انا مسافر الان الى محطة وادي خالد حيث انوي الذهاب بالقطار الى حيفا ومنها الى يافا لكي اشتغل هناك . سوف اكتب لك واخبرك عن كل ما يحدث معي . وارجو ان تكوني مطمئنة عليّ لانني صرت الان رجلاً واستطيع تدبير نفسي . لقد اخذت نصف جنيه من الصندوق . وسلامي لك ولمريم .

وترك الورقة دون ان يطويها ، في موضع يسهل على والدته ان تشاهدها فيه عندما تستيقظ ، وتلفت حواليه كي يتأكد من انه لم ينس شيئاً ، ثم ودع وجه امه ووجه اخته وفتح الباب وخرج من البيت ووقف لحظة هناك يتأمل بقرتهم البرشاء وابنها يهجع الى جانبها ، فرفعت البقرة رأسها نحوه وتحركت اذناها حركة خفيفة . ثم مضت تجترّ طعامها في هدوء وقناعة .

ورفع وجهه الى السماء فرأى النجوم تتلألأ فيها كما تتلألأ الجواهر على جيد الحسناء ، اما القمر فقد كان ينحدر نحو الغرب ، فادرك انه في الهزيع الاخير من الليل . وسار بين ازقة القرية وقلبه واجف يخفق خفقات متلاحقة خشية ان يلتقي بشخص قد يعوقه او يفضح سره . وخلص من القرية اخيراً ، وسار في طريق البيادر ثم اخذ يهبط الوادي وهو يعجب لنفسه من هذه الجرأة التي لم يكن يحسب انه يملكها . كان الصمت يغلّف الدنيا حوله ، لولا نسمات خفيفة تهب بين الفينة والاخرى ، فتحدث حفيفاً ناعماً بين غصون اشجار الزيتون ، ومضى في طريقه خطوة بعد خطوة . والصور المختلفة تمر امام مخيلته وتعبث بتصوراته عبثاً مخيفاً . لقد انهالت عليه في تلك اللحظات مشاهد مختلفة من حكايات جدته رحمها الله . الجنّ الذين يبرزون فجأة من وراء الاكمات والشعاب . والمردة الذين يطيرون في السماء والسنة النار والدخان تنبعث من افواههم . والغولة التي تجتذب الناس الى مغاراتها كي تفتك بهم ، ثم تذكر ايضاً ما كان يسمعه من الاقاصيص عن الضباع التي تترصد في الاودية ليلاً فاذا شمّت رائحة انسان اعترضت طريقه . انهم يقولون ان الضبع يتخذ لذلك اسلوباً يجمع بين الوحشية والخبث ، فهو يتمدد في طريق السائر فاذا شعر انه يحمل سلاحاً عمد الى مغادرة الطريق واذا استيقن انه لا يحمل سلاحاً يدافع به عن نفسه اخذ يدور حوله ويرشقه بذيله ويركض امامه وعلى جانبيه حتى يستلب قوة ارادته ، ويملأ نفسه بالخوف وعندها يعمد الى مهاجمته والفتك به .

وتوقف لحظة وقد قفّ شعر رأسه وراودته فكرة العودة من حيث جاء . ولكنها كانت لحظة تردد عابرة . يجب ان يمضي في سبيله قدماً ، انه ينفذ الان فكرة اختمرت في ذهنه منذ شهرين . ولماذا يعود ؟ اية حياة هي حياة القرية ، هو غريب عن الحياة فيها ، لو كان فلاحاً لهان الامر وانغمس في حياة الفلاحين الهادئة البسيطة . واي امل تحمل له طيات المستقبل ؟ اي امل له اذا استمر على حالته تلك ؟ ان الحياة التي تستطيع ان تخمّن نهايتها الرتيبة ليست بالحياة التي ترضي اشواق الروح . لقد عقد عزمه ان يضرب في الارض غرباً وشرقاً ، انه يريد ان يعرف شيئاً من المخاطرات والمجازفات ، وما ذا يحدث اذا لم يوفق في سفرته ؟ ماذا لو كان مكتوباً عليه في لوح القدر ان يشرب كأس الشقاء حتى الثمالة ! ان العالم سيستمر في دورته الطبيعية دون شك . ومن سيأبه او يهتم ... والدته واخته ... سيكون الله في عونهما ... وتصور دموع امه وشقيقته فامتلأت عيناه بالدموع وفاضت على خديه ... ولكن قلبه عامر بالامال ، ان في السماء لرباً عظيماً وهو لن يتخلى عنه ، ولا يمكن ان يبتليه فوق ما ابتلاه من يتم وفقر وحرمان .

لو ظل ابوه على قيد الحياة لاستطاع ان يواصل دراسته مع خليل ونسيب وبهجت وبقية زملائه في الصف السادس ، ولكن من اين تجيء امه بالمال اللازم لنفقات المدرسة . لو باعت البقرة لما كفى ثمنها لتسديد نفقاته عاماً واحداً .

وماذا بعد! وهم لا يستطيعون الاستغناء عن البقرة على اي حال ... آه لو ظل ابوه واستطاع ان يواصل تعليمه ... ورفع رأسه الى السماء، كأنه يود ان يسأل الله عن السبب. ولكن رجله عثرت فسقط على جانبه سقطة خفيفة ثم نفض ثيابه ومضى في طريقه الى الامام.

كانت الطريق طويلة متعرجة في بطن الوادي، والسكون يغلف الليل، واحس بنسمات باردة منعشة تصافح جانب خده فردّ طرف منديله الى الوراء، وتنفس بملء رئتيه عدة مرات، بعد ان ادرك ان ظلمة الليل اخذت تلملم اوديتها وتهم بالانسحاب في وجه الفجر الزاحف من الشرق.

وصعد هضبة عالية اخرى، ثم سار في سهل تكتنفه اشجار البلوط والعبهر. وكانت الشمس قد اطلت من الافق عندما اخذ ينحدر باتجاه وادي اليرموك وهو لا يكاد يرى الجانب الآخر للوادي. الجانب السوري الذي تفصله الشريعة عن هذا الجانب.

لن يلبث حتى يصل الى محطة وادي خالد، حيث يقف القطار القادم من دمشق في طريقه الى سمخ وحيفا. ولكن القطار لا يصل الى المحطة الا وقت العصر، لا بأس، سينتظر هناك حتى يصل القطار. وكان يحس في اعماق روحه بنشوة تمتزج بالتوجس. هذه اول مرة يركب فيها القطار.

واخيراً بلغ المحطة فجلس قليلاً ليرتاح ثم اتجه الى حنفية الماء بجانب بناء المحطة فغسل وجهه وقدميه، وقضى بعض الوقت يتفرج على قضبان السكة الحديدية، على عمارة المحطة المسقوفة بالقرميد الاحمر الجميل. وعلى اشجار الزنزلخت الممتدة في صف مستقيم بين المحطة وبين امتداد القضبان الحديدية. وبعد ان اشبع فضوله قصد الى ناحية منعزلة واتكأ الى جانب صخرة كبيرة ثم تبلغ بلقمتين من الخبز، وحبتين من الزيتون وحاول ان ينام.

وكان هدير امواه النهر يصل الى مسامعه من وراء الاشجار الكثيفة المحيطة بمجراه، وسرح ببصره الى الجانب المقابل حيث ترتفع الهضاب الجرداء، لا بد ان الصراع الحاسم بين العرب والروم قد حدث في هذا المكان او قريباً منه. لقد قرأ شيئاً قليلاً في كتب التاريخ، عن خالد بن الوليد ومعركة اليرموك، ولكن اين عرب اليوم من عرب الامس البعيد!...

وذهبت به الاحلام كل مذهب. وسرحت روحه عبر العصور المتلاحقة. ولا يدري هل اغفى ام كان مستغرقاً في احلامه فحسب... ولكنه رفع رأسه فجأة على صوت مألوف الى جانبه. وشاهدت عيناه امه تنتحب والدموع تبلل وجهها. واخته الصغيرة تجلس القرفصاء وراءها.

— لماذا تفعل هذا يا ولدي؟ لقد قضينا الاعوام الطوال ونحن ننتظر اليوم الذي تكبر فيه ويجتمع شملنا، فكيف تسوّل لك نفسك بعد ان جمع الله شملنا ان تسعى لتفريقنا من جديد؟

— ....

— ماذا اغضبك منا؟ هل غضبت مني ام من اختك ام من خالك؟

— لا

— قم بنا اذن. دعنا نعود، قم يا حبيبي ولا تملأ قلوبنا باللوعة. ها هي اختك قد جاءت معي ولم ترقأ لها دمعة طول الطريق. لقد افتقدناك مع الصباح الباكر.

— لماذا لحقت بي؟ مالك ولي؟ انني لا احب الحياة معكم، اريد ان ابتعد عنكم، اريد ان اتغرّب، اريد ان اشاهد الدنيا وان ابحث عن مستقبلي.

— آه يا ولدي. انت تقول هذا، انت تقول هذا...

— اجل يا امي. لم اعد اطيق الحياة التي تمر على وتيرة واحدة، الحياة التي لا طعم لها ولا لون. انت لا تعرفين النار التي تأكل احشائي، كلما ذكرت ان زملائي في المدرسة يواصلون دراستهم بينما اطرح انا كالنواة المهملة ...

— ولكن ماذا نفعل يا ولدي؟

— ماذا نفعل صحيح؟

— قم يا ولدي، لا تجعل الهواجس تستبد بك. اننا بألف خير والحمد لله. ها انت قد كبرت وصرت تشتغل، وانت لا تزال في مقتبل العمر... وماذا تريد ان تعمل في يافا؟ قد يحدث لك حادث...

ومضت تستعطفه وتترضاه، تارة بالدموع وتارة اخرى بالقول. ولكنه اصر على السفر ولم يكن يعلم انه يطعن قلبها باصراره، وانى للابناء ان يدركوا ما في قلوب الامهات.

— لا تعترضي سبيلي.. لا تحاولي ان تقفي بيني وبين المستقبل. ان حياتي الحاضرة لا يمكن ان تجدي، ولا يمكن ان تحصل لنا شيئاً من الطمأنينة، وانا لا احب ان اعيش كالفئران، لا احب ان اعيش كالكلاب. اذا كان ابي قد

مات فليس معنى هذا ان اقضي على نفسي بالموت . انا اريد ان ابحث واسعى واغامر ، ومن يدري ، ربما فتح الله لنا باباً من ابواب الرزق ، ربما استطعت ان اجد عملاً افضل من تعليم الصبيان . لم اعد احتمل يا والدتي ، وان نفسي لا تستطيع ان تستسلم منذ الان ... لا تحاولي ان تقفي في سبيلي ، لقد عقدت عزمي ولا بد لي من السفر ...

وعندما صعد درجات العربة ، واطل من النافذة بعد ان تحركت القاطرة شاهد شبحين يرقبانه الى جانب شجرة الزنزلخت ، وكانا يتضاءلان كلما ابتعد القطار حتى تلاشيا تماماً .

ومضى في وقفته الى جانب النافذة يرقب النهر والهضاب والشعاب ، وفي عينيه بريق يترجح فيه التحدي والعناد ، وفي ذهنه خطوط صفحة جديدة من صفحات الحياة .

عمّان — **سليمان موسى**

فرنسا في الجزائر

سيري بخائنة الضمائر ... واستعمري شعبَ الجزائر
واستأصلي حتى الرضيع ... وشنّقي حتى الحرائر
سيري وتلكَ سجيةُ ... المستعمرين وكل جائر
وتحشدي بالطائرات ... وبالمدافع والقنابر
سيري ولا تخشي عوا ... قبَ ما ستمليه المجازر
وتجاهلي هذا الشعور ... في الاوائل والاواخر

سيري ولا تتواكلي ... فالمخلصون الى المقابر
مَن ذا يردكِ كلُّ قا ... رعةٍ بها كل المخافر
لا تنتهي جنب الاراك ... فقد خلا من كل صافر
انتِ العليمةُ لم يَعُدْ ... في الحي منهم اي سامر
فلقد هووا دون الحمى ... وتناثرت تلك الازاهر
وقطعتِ ـ غيرَ بقيةٍ ... للسيف ـ منهم كل دابر
سيري على هذي الوتيرة ... واسخري من كل ساخر
سيري ولا تعني بجبار ... الشعوب وما يغامر

هذي الجيوش الزاحفا ... تُ تبيدُ منه كل ثائر
وتسابقي للموبقات ... بكل فاجرةٍ وفاجر
واستعمري شعباً ابى ... ان يستكين على المخاطر
وتوعديه بمثل «لاكوست» ... على العاصين قادر
ثم افخري بـ(الثورة)الكبرى ... ومثلك من يفاخر
وتقنعي بالعالم الحر ... الذي سنّ الجرائر
وبهيئة الامم التي ... تجلى بها كل المصائر
سترين فيها المنصفين ... من الاكابر والاصاغر
وتشدقي باسم الحضارة ... يوم لا تجدين عاذر

سيري بكل دنيئةٍ ... وبكل فاحشة السرائر
سيري ولكن للوراء ... وخامري يا ام عامر
وتراجعي عبر البحار ... فقد بدت اولى البشائر
لا بد من يومٍ أغر ... به يحاسب كلُ سادر

بغداد — **عبد الكريم الدجيلي**

بقلم جي . مدلتون موري

شكسبير والحب

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

في مقالة مهمة نشرها الاستاذ هيرفورد مناقشة ممتعة لموقف شكسبير من الحب، وفيها يصر الاستاذ على ما يدعوه بالادراك (الاعتيادي) العميق الذي اتصف به شكسبير في مسألة الحب . ثم يذهب الكاتب الى القول بان الحب قلما كان موضوعاً رئيساً في مآسي شكسبير العظيمة، اذ ان جل ما ادركه من الحب لم يتعد الحالة الفطرية، ومن هنا كانت بحاجة الى قوة غازية خارجية لتحول بينها وبين انجازها التام . واذا جاز لنا ان نترجم فكرة شكسبير عن الحب في عبارات، فمن المؤكد انه كان يأبى استخدامها. الامر الذي يقسرنا على تتبع وجهة نظر الاستاذ هيرفورد الذاهبة الى أن شكسبير اهتم بالحب من ناحيته الغريزية ، فظنه مبدأ النظام في العالم الانساني ، هذا النظام الذي يمكن العبث به للحيلولة دون بلوغ هدفه الحق، وذلك بالاستناد الى قوى خارجية نائية عن جوهر الحب . ثم يختتم الاستاذ هيرفورد مقاله بقوله : من المؤكد ان شكسبير لم يعد الحب الجنسي، على انه مفتاح الحياة الانسانية، او مسألة لها صلة بكيان العالم ، كيفما كانت صورة هذه الصلة ، (كما يفعل المحدثون) — بل علينا بدلاً من طرح الاسئلة المجردة ، ان نفتش عن ايّ شاعر كان تمكن من فهم الحب بمثل هذه الدرجة من الصدق والدقة والاصالة، في مختلف حالاته واطواره وادواره، فاستوعب كل احتمالاته المثالية ، وحينئذ لن يسعنا الا الاعتراف بمكانة شكسبير بين اعاظم شعراء الحب كافة .

هذه خاتمة عادلة — في صحيحها — ومع هذا فهي باردة بعض الشيء بالقياس الى قراء شكسبير . اذ ربما كان الاجدر بالاستاذ ألاّ يضع شكسبير في مكان بين الشعراء يجوز منازعته . ولعله كان خيراً للاستاذ ان يقتفي اثر سجيته ، فيعد شكسبير اعظم شعراء الحب عند العديد من الشعراء العظام (حب يحرك الشمس والكواكب معاً، وهذه قوة عظيمة عجيبة حقاً ، غير انها لا تمتّ الى الحب إلا باوهن الصلات . ومع انها تحمل هذا الاسم من باب التشابه الرائع ، الا انها ليست من سكان هذه الارض .

لكن الحب لدى شكسبير ليس بارداً ولا سماوياً، ولا مما يعرف بالحب العقلي الالهي الذي يتجمد في القلب. انما هو حب انساني دافيء ، حملت شعلته الاجيال من النساء والرجال ممن لم يستسيغوا ذلك الحب العقلي الذي امتاز به دانتي او سبنوزا او شيلي ، فظنوه خيالاً لا يطيقون استيعابه، واعترفوا به انعكاسا لشعور تحسسوا به او آملوا ان يبلغوه . واذا استخلصنا كلمة الحب من معظم ما يعلق به من حالات الناس في مختلف هواجسهم واحلامهم واوهامهم ، وابقينا على عنصرها السري فقط حق لنا القول بان شكسبير هو شاعر الحب الانساني الاوحد . وهذا اللون من الحب لا يقل مثالية عن غيره من الالوان ، ولو انه معدوم الصلة بالمجردات إلا اذا وضعنا كلمة (مثالي) تحت رحمة الفلاسفة .

ففهم شكسبير الحب فهماً مثالياً في ادق المعاني إنسانية ، لانه يحسبه تحققاً للواقع ، في كمال سحره وسمو قصده . ولما تتفق احكام النقاد والتقاليد الادبية على عدّ شكسبير شاعراً يعبر اجمل التعبير عن غبطة الحب الارضية ؛ كذلك تجمع الآراء على ان هذا الشاعر كان عطر الاسلوب ، شفافاً ، رقيق القلب، يوم كان يحيا على وجه الارض، كما هو الآن. وشواهد المسرحيات تزيل كل شك في هذا الشأن .

والمسألة لا تتضمن بعض الابيات المتفرقة او شخصيات متناثرة هنا وهنا ، بل هي العاطفة الشاملة لمسرحياته برمتها ، فهي موجودة في كل مكان ، لانها الجو الذي نتنفس فيه ، ونستنشق عبيره . ومع هذا ، ففي هذا الامر شيء من الغرابة وشيء من الاعجاز ، لانه مهما يكن تقديرنا (للاغاني)(١) وقيمتها من حيث كونها سيرة شكسبير ، فمن العسير التوكيد على انها تضم كل مأساة الشاعر في الحب بصورة اساسية . ذلك

(١) الاغاني هي ما تعرف بـ (Sonnets) وقد آثرت ترجمتها بهذا العنوان لقرب دلالته . المترجم

بان غبطة الحب التي تسري مسرى خيط من ذهب فيما كتبه شكسبير الدرامي تنقطع مرة واحدة لدى شكسبير المغني ، لسبب حال بينه وبين ذلك في (اغانيه) . ففيها يبدو كأنه ذاق اليأس والمهانة والمرارة ، ولو انه هو الذي اعلن ايمانه الوثيق وولاءه الصادق بقلب المحب الحق .

الحب العميق المخلص لا يعرف معنى للتبدل ،

فهو لا يتلون حين يجد سبيلاً للتلون ،

وهو لا يلتوي في مسراه، إن دعت الحاجة الى هذا الامر.

ونحن ان اردنا توضيحاً سهلاً لمثل هذه المسألة ، فلا بد لنا ان ننتهك حرمة قوانين النقد التي وضعها السنيور كروتشه ، التي يوجع فيها اغاني الحب المعذب الى الوقت الذي انقطع فيه الخيط المذهب فجأة في المسرحيات من غير ان يكون ذلك متوقع الحدوث .

وفي رأينا ان (الاغاني) تمثل مأساة في تجربة شكسبير ، وهي التي سببت ظهور ظلال داكنة وقتية انعكست في مرآة المسرحيات. وقوة المأساة هذه هزت الشاعر، ولكن انعكاسها بقي هادئاً لطيفاً . ذلك بأن (الاغاني) تقدم لنا سنة معينة من موقف شكسبير تجاه الحب . في حين ان المسرحيات ترينا صورة شاملة لمواقف شكسبير حيال الحب في حياته باكملها. وبكلمة اخرى يصح لنا القول : ان كل جهد يبذل لمقابلة المسرحيات بـ (الاغاني) جهد ضائع ، لا غنى فيه، ولا اهمية له ، وعلى الرغم من ذلك علينا ان نوازن بين الاغاني ، والمسرحيات . وان نحن فعلنا ذلك ، غدت (الاغاني) التي تعبر عن الحب الخائب في موضعها الملائم من تلك الفترة من القلق والاضطراب التي برزت بوضوح في (هاملت) و Measure for Measure و (ترويلس وكريسدا) و All's Well That Ends Well.

ولا شك في ان هذا الاضطراب كان له ردود فعل جلية في عوالم ايمان شكسبير التي تفوق ايمانه بالحب ، وربما كانت هذه اقرب الاسباب واوجبها في ابداع مآسيه العظيمة . ولكننا لسنا بحاجة الى حدس لنخمن اصلاً لهذا الامر في مأساة شخصية ذات صبغة خاصة . ثم اننا ملزمون ان نعرف ان الفترة التراجيدية المثيرة في ايمان شكسبير بالحب ، بدت تؤكد وجودها من جديد يومئذ . وما علينا الا ان نتصور (انطوني وكليوباتره) و (ترويلس وكريسدا) التي كتبت بالمزاج نفسه، لنطمئن الى قولنا ، وبذلك يمكننا فهم الموضوع الذي بدا في كل مرارته وبهائه ، في وجدان قلب اصاب منه الغضب ما اصاب .

واذا وضعنا مسرحيات هذه الفترة العصيبة جانباً ، هذه المسرحيات التي تواطأ القراء والنقاد على الشعور بانها نشاز بالقياس الى مؤلفات شكسبير ، فاننا نكتشف ان موقف شكسبير تجاه الحب لا يمكن وصفه الا بالرومانسية فيما تبقى من مسرحياته الأخر ، وهذا الوصف يتفق تمام الاتفاق مع المؤامرة التي دبرها بعض النقاد وكل المتحاملين عليه. ومن الحق ان نقول : ان هذا الموقف يصل الى ذروة البهاء فيما يدعى بالكوميديات الرومانسية، ولكن هذا لا يعني ان الحب الذي رسمه بريشته الساحرة حب رومانسي في جوهره . لان كل ضرب من هذا التصنيف سطحي مثير للارتباك والبلبلة . فالشاعر يستخدم خطة ملائمة كأساس ليبني عليه التعبير الذي يرغب فيه لجلاء موقفه العاطفي .

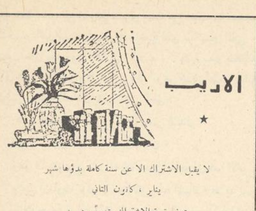
ومجرد تضمن العقدة لمصادفات غير محتملة، وجزائر سحرية، لا يؤثر في جوهرها الذي تعبر وسائلها عنه . فالكوميديات الرومانسية لشاعر ما يمكن ان تعد انغماساً رخيصاً في الخيال، على حين تكون لدى غيره شعلة من الضياء اللطيف المتغلغل في صميم الروح الانسانية . وما علينا الا مقابلة كوميديات شكسبير بما انتجه فليتشر وبومونت من جهة ، وبما قام به بن جونسن من جهة اخرى، لنكتشف اسفاف الآخرين في حقيقتهم الشعرية. ووضع التخوم بين مؤلفات شكسبير في هذا الشأن يدفع بنا الى ضلال محتم ، الا اذا حسبنا التمييز مظهراً من المظاهر العامة في كل ما دبجه هذا الشاعر . واقرب كوميدياته عن النضج اقربها - في الروح - الى احسن مآسيه . وهي ارفع قدراً مما كتبه جونسن او فليتشر او غيرهما ، مهما كانت محاسن هؤلاء ومزاياهم . وتسمية كوميديات شكسبير تسمية رومانسية لا معنى لها ، وكذلك الامر اذا ظنناها تعبيراً شخصياً وقناعة ذاتية ، لها مساس بطبيعة الحب .

ومن هنا ، فالحب قد يعني - في نظر الناقد - حباً غير سعيد ، وغير ثابت ، يعوزه العمق في اشعاعه من قلب مليء بالضياء ، كما يحسن شكسبير تمثيله . وقد لا يعني الامر اكثر من هذا. ولكن ليس لنا ان نخمن فكرة شكسبير عن الحب، وعما اذا كان صادقاً كما اختارها في عرضه. الا انه يسعنا القول:

انه آمن بالحب كما كان ، او اراده ان يكون كما ينبغي له . فرأى - بثاقب بصره - ان يخلق رجالاً ونساء احياء، يعيشون في واقع يعز على غيره ابداع نظيره. ذلك بأنهم يحيون بالطريقة التي اختارها لهم ، طريقة فيهـا رقة ومرح وثقة تامة بانفسهم ، وحياء وفكاهة وود لا يضارعه ود في رفعة شأنه ، مما جعلهم نماذج متجسدة للتجربة الانسانية برمتها ؛ فهي بيان جلي لمن اسعدهم الحظ في حبهم ، وهي حلم لذيذ لمن خابت آمـالهم في تحقيق ما يرجونه. وهذا الحب الثابت المكين الاثيري الرفيع، الارضي والسماوي السحري هو زهرة يانعـة في كمال تفتحهـا ، وهو ما تضمنته جميع كوميدياته المبكرة . وتنطبق الحـال نفسها بصورة رئيسة على (حلم منتصف الصيف) و (جعجعة من غير طحن) .

وليس لنـا الا القول : ان ضوء القمر يتحول الى اشعة الشمس كلما مررنا بليساندر وهيرميا واورسينو وقايولا، حتى اذا ما وصلنـا الى بنيدك وبياتريس ، ومن ثم الى (كما تحبها) مالت اشعة الشمس الى الشحوب والذبول في انحدارهـا الى الغروب . ومن العسير علينا ان نقول : ان الحب في (تاجر البندقية) و (روميو وجوليت) من نوع مغاير ، ولو كان الاول هادئاً والثـاني هائجاً عاصفـاً ، انما يحطم حب روميو وجوليت غير عاصفة الاحوال التي احاطت بها.

ومن هنا ، تجد استسلاماً رائعاً لذلك السحر الذي انفجر مدويـاً كشعلة شديدة الانطلاق بسبب تصادم الاسرتين المتعاديتين. ولكننا، مع ذلك ، لا نجد بذرة الخراب والدمار واضحة في حبهما، فحبهما هو الامل الذي تكهنت به الانسانية جمعاء قائلة : « هذا حب يعمّر اكثر من مظاهر الجمال ، ويبقى على الايام من غير ان يصيبه وهن او انحلال . » ومن ثم ، فان هذين العاشقين لم يكونا ضحيتين لعاطفتيهما ، بل ضحيتي القدر الجائر . وبهذه المناسبة يقول الاستـاذ هيرفورد بحق: « ان (روميو وجوليت) تبدو كأنهـا نشيد الحب الظافر ، وليست مأساته الخاسرة . » فالحب الذي يسطع بهذا البهـاء المجيد ، في غضون هذه الفترة من عمـل شكسبير ، يشبه في طبيعته واسراره ولادة انسان جديد . فهو شيء واقـع ، ولكنك اذا سألت لماذا هو واقع؟ فانتظر يوم القيامة من اجل جواب مقنع ، واذا ما سأل الاحيـاء بعضهم بعضاً فأجوبتهم تكون مازحة هازلة .



★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولاراً كحد ادنى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 Tél.
المنزل ٢٥١٣٩ Dle : 25139

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنـان

ولما ارادت (فيب) (١) تطبيق بيت مارلو على حبهـــا لروزالين غانيميد ، قالت متحدثة عن النساء والرجال جميعاً : « قولك حق ايهـا الراعي الذي قضى ، ليس حبـاً من لم يحب للنظرة الاولى . » اجل ان المحبين يعرفون ما يجرى لهم ، حتى اذا تطرقنا الى بنيديك وبياتريس، فنحن نعرف قبل ان يعرفا ما صارا اليه ، ولكن حياءهما تجاه بعضهما يجعلهما يتورعان عن البوح بحقيقـــة قلبيهما. وفي اللحظة التي يفتح كل من بنيديك وبياتريس شفتيه يصيبهما أوار هذه النار فيقعان صريعين بتأثيرها. فالحب وحده هو الذي يحمل رجلا او امرأة على ان يتلاطفا بهذه الصور :

بياتريس : عجباً كيف لا تزال تتكلم وليس من مستمع اليك .

بنيديك : ماذا ! يا سيدتي ذات الانـفَـة ، أأنت ما تزالين حية ؟

كان يمكن لبنديك ان يدعوها سيدة قلبه ، وبذلك ينتهي من امرها ، ولكنه فضل ان يعطي لنفسه حريتهـــا في ذلك النداء، كما فعل في الاغنية التي وجدت في جيبه في الكنيسة ، تلك الاغنية التي كانت قوافيها تلائم بين كلمة (السيدات) و (الاطفال) . ومع ان المادة المشعة في (جعجعة بغير طحن) هي نفسها في سائر الكوميديات الغرامية — اي الحب من اول نظرة — فهي تختلف عن غيرها، لان الدراما تحتوي على نسيج دقيق من علم النفس الذي يحلل هذه الحال السماوية . وهي — في وضعها هذا — ليست متشابكة الوشائج بالحوادث الغريبة، ولا تتأثر بسحر التنكر والاستخفاء . انما هي تعالج كمال الفن المطلق، باسلوب يدفع الحب غير المتردد على الانطلاق من القلب الى الذهن مباشرة .

ومن اجل ذلك فهذه الكوميديا تعد اكثر كوميديات شكسبير سداداً في الرأي وأصالة في الفن وايسرهـــا معنى ومغزى ؛ لان شكسبير ينقل لنا فيهـا حقيقة الحب في واقعية سليمة جلية ، وعلى ذلك يسعنا ان نتصور جوهر المسرحية

وما لنا ودون جوان ؟ فهو ان اراد ان يرح في الحياة ، في هذه اللحظة بالذات ، فله الخيار ان يتخذ اي جنينة مجـالاً للعبه ومرحه ، فـــالقضية كلها قديمة قدم التلال ، وجديدة جدة الصبــاح . وعلى العموم فضل الشاعر ان يدع المحبين او احدهم ليدرك مرة واحدة ما حدث له او لهم . وهذه المعرفة سريعة سرعة حب سيليا واوليفر . « لم يكد اخوك يلقى اختك حتى نظر كل الى الآخر ، ولم تلتق نظراتهما حتى احبا ، ولم يشرعا في الحب ، حتى راحا يئنان ، ولما أنّا سأل احدهما الآخر عن السبب ، وحالما ادركا السبب بحثا معاً عن العلاج الشافي . »

تقدّم هذه الحال الينا على انها شيء اساسي لا يقبل جدلاً او نقداً، فهي إما ان تكون واقعاً او عدماً. واذا كانت واقعاً، ففي قدرة شكسبير ان يبرهن على انه الجوهر الفرد ، والعنصر النقي. ذلك بانه لا يعترف بكيفية حدوثه، والأدهى من هذا انه يعمل المستحيل لاقناعنـا بحدوثه . وعلة ذلك انه يحمل (ابطـاله) العشاق على النطق بأسمى الاشياء واشدهـــا سذاجة ، كأن اضواء الشمس تتساقط من شفاههم بصورة عفوية. والحق ان الحب مطبق الشفتين غالباً، ولكن شكسبير يمنحه لساناً ذرِباً يبدو طبيعياً ساحراً كالحب نفسه . فلما يقول اورلاندو لروزالين « انها رفيعة رفعة قلبه. » ترد عليه روزالين بقولها « ان الرجال ماتوا من حين الى آخر ، ولكن ليس من اجل الحب » ولما تجيب بياتريس عن سؤال الامير قائلة « لقد ولدت في ساعة سرور ، وهذا بعيد عن سؤالك » يرد الامير « يا الهي ، كلا بكل بتوكيد فوالدتي صرخت ، على حين كان احد الكواكب ملتهياً برقصه ، وتحت هذا الكوكب رأيت نور الحياة . »

بعد هذا كله يحق لنا الاقرار بجلال الحب في نطقه ، كما اقر الانبياء القدامى بصوت الرب . وهذا ضرب من كلام العشاق ومناجاتهم انهم تمكنوا من ذلك. فما هو موضع الدهش ان هم اعترفوا بلسان حالهم وانتخبوا شكسبير شاعراً للحب بالاجماع ؟ ان تفتح الازهار هذا لا يمكن تصوره في نهاية غير سعادة الزواج الكاملة . فهؤلاء المحبون اصحاب البصائر النيرة يعرفون اين يضعون اقدامهم ، ومن اجل ذلك فهم لن يقعوا فرائس للضلالة المحزنة ، اذا قُدر لسعادتهم ان تبقى سليمة مع مرور عهد الجمال والفتنة ؛ ذلك بان اتزانهم يجعلهم متعادلين في مواقفهم، اما اذا جاز لنا القول عن الكفة الراجحة من الميزان، فالظاهر انها كفة النساء . يقول الدوق لسيساريو : « يا بني ، مهما اثنينا على انفسنا ، فخيالنا اقل ثباتاً ، واشد تزعزعاً من خيال النساء بما فيه من جنوح ذي هوى وارتجاف ، وهو ضائع حتماً ومتلاش في الضباب . » صحيح ان الدوق غير وجهة حبه

(١) هي راعية احبت روزالين ، وقد ورد ذكرها في الفصل الثالث من مسرحية (كما تحب) ، المترجم

بسرعة من اوليفيا وفايولا ، ولكن يحق لنا القول : انه ظل مخلصاً لحبه طوال الوقت .

اساء كلوديو الظن بهيرو فجأة، وقضى عليها بعنف وقسوة، الا ان هؤلاء ، بعد كل هذا ، ليسوا سوى ضرورات ثانوية في الحكاية الرومانسية الرمزية فهم لا يقررون مصير الفكرة التي بعث شكسبير فيها الحياة. ثم ان هناء الحب في الكوميديات الناضجة تمر بلا ازعاج . وذلك في السعادة الزوجية التي تُلاحظ بكل جلاء في (هنري الرابع) و (يوليوس قيصر). و (كيت) و (هوتسبر) هما الدليلان على مثل هذا الزواج، وهذه هي النهاية الحتمية لابطال شكسبير العشاق . انهم لم يولدوا تحت كوكب سعيد ، بل هم وُلدوا تحت نجمة راقصة، وهذا لا يعني نهاية الغرام ومن ذلك القول المشهود (هاري ، انا سأكسر اصبعك ان لم تقل الحق في كل شيء » ومع ذلك فقائلة هذا الكلام تقترن بهاري ، وهما في حب عميق ، كما كانا من اول نظرة. وليس من مجال لمثل هذا الضرب من المرح بين بروتوس وبورشيا . ففي حين يقبض على بروتوس وهو يحوك مؤامرة بعد ان خاطر بحياته من اجل عمل ما ، تشعر بورشيا بانه لا بد منته الى مأساة. ومن هنا لا بد من القلق والتضحية، مع انهما متساويان في التأثير ، والمهم في الموضوع ان بورشيا تصر على الاعتقاد بان زوجها لا يمكن ان يحنث بالقسم العظيم الذي جعلهما روحاً واحدة .

وهذا هو : (هل ينبغي لي ان اسكن في ضواحي سعادتك الصالحة ؟ واذا لم يكن لي مجال اكثر من ذلك ، فبورشيا اذن خليلة بروتوس وليست زوجته) . وحتى في صلات السيدة كوكلي ودول تيرشيت بفولستاف نظفر بفهم للولاء هو اهل للمقابلة بهذا اللون من الحب . فكلتا هاتين المرأتين احبتا هذا الصعلوك اللطيف الظريف ، كما احبهما هو على طريقته الخاصة . وليس في حياة شكسبير من لحظات تبدو معبرة عن ايمانه الجلي باخلاص الحب من تلك التي تحدو باحدى السيدات الخشنات على البوح بها بسبب انتقال روح فولستاف الى العالم الآخر :

الجنية : يقولون انه استغاث من كفنه .

المضيفة : اجل انه فعل ذلك .

الشاعر : وبسبب النسوة .

المضيفة : كلا ، انه لم يفعل شيئاً من ذلك .

الصبي : نعم انه فعل ذلك وقال : ان النساء شياطين متجسدة .

المضيفة : كلا ، انما كل ما عمله أنه لم يطق تحمل اللون الاحمر ، فهو لون كان يمقته اعنف المقت .

الصبي : قال ذات مرة : ان الشيطان يريده ليطلعه على شؤون النساء .

المضيفة: صحيح انه عامل النسوة بقساوة وفظاظة، غير ان المرض هو الذي دفعه الى قول ما تفوه به حين تحدث عن عاهرة بابل .

ثم تأتي فترة من التغيّر العجيب فيصيب بكدره واضطرابه تيار الحب الرائع الهادىء ، الذي يعرضه شكسبير متمثلاً في الود المقدس ، والولاء الصافي النقي . وهذه الفترة تصادف انحساراً في تقدم شكسبير في مجالاته الشعرية والدرامية . فنواجه ما يمكن ان ندعوه بعهد (هاملت) و Measure for Measure و (ترويلس وكريسدا) و All's Well That Ends Well وفي هذه المسرحيات نجد شعراً تعلو ذراه السامقة اي قمة ادركها الشعراء من قبله ومن بعده على حد سواء . فليس في هذا النتاج كله ما يسمى وهناً في قواه الشاعرية البلورية ، ولكنا نجد احساساً بفقدان الاتجاه ، وغزواً من المرارة والسخرية وشعوراً يائساً . فنحس كأننا على صلة بروح جريحة تائهة، لم يعد لها طاقة برؤية الحياة جملة واحدة، وبطريقة مستمرة . وقد استطاع شكسبير ابراز هذه الحيرة ، واقصاءها عن نفسه بالسيطرة عليها في عالم الفن الذي تجلى في (هاملت) . فقد ركزها في شخصية واحدة ، كانت تناقض نفسها بنفسها، في اعمق مشاعرها .

ومع هذا فالمسرحية تدعوا الى الارتباك والتشويش، وعلة ذلك كله لا تعود الى ما احتوت عليه من آثار قديمة العهد ، بل الى موقف شكسبير بالذات من الحياة ، اذ طالما اعاد كتابة مسرحيات قديمة فنفخ فيها الحياة والانسجام. ولا ريب في ان هذا الموقف قد اصابه كثير من التردد والاضطراب والقلق. وهذا التردد بيّن الاثر، واضح المعالم في ...All's Well وهنا ايضاً يقال : ان الطبيعة غير مرضية في المجموعة ، مع احتوائها على اجزاء رائعة ، مما سبب اعادة كتابة Love's Labour Won ومرة اخرى يمكن ان نرد على هذا القول بقدرة شكسبير على اعادة كتابة مسرحياته ، ومعلوم انه قضى حياته كلها في هذا العمل. ولكن الشيء الملح الذي نريد معرفته

هو السبب الذي اخذ بخناقه فجعله يخيب في انجاز ما كان ينجزه بنجاح عجيب، وكان المؤمل ان يستمر في اعجازه هذا. وحين نجد التردد نفسه، والتأرجح الذهني، في مسرحيتي هذا العهد... في المسرحيات الاربع المرتبط بعضها ببعض اشد الارتباط، اقول بعد هذا كله؛ يصح ان نفصل هذه الفترة عن غيرها في حياة شكسبير غير مبالين بما يقال عن النسخ القديمة ولا سيما اننا لا نفهم بوضوح هذه المسرحيات الاربع، لاننا لا نكاد ندرك المغزى الدرامي لدى شكسبير، ولا اتجاهه العاطفي في اي منها.

والواقع اننا لا ندري سبب هذه الغمامة التي حاقت به، وعما اذا كانت عائدة الى مأساة غرامية، كما ذكر في (الاغاني) ولكن الشيء المهم هو معالجته للحب. فهدف هاملت الرئيسي واضح اجمالاً. امـــا السر الذي لم تفك مغاليقه، فيتركز في قناعة الشخص الاعتيـادي عن اهمية حب هاملت لاوروفيليـا. والتجربة النهـائية في (ترويلس وكريسدا) تشعرك بان شكسبير لم يستطع مواجهة موضوعه مرة اخرى. ففي لحظة يتناول حب ترويلس و كريسدا بجزم، ثم نراه يترك الموضوع لحظة اخرى، فيبدو كأنه لا يطيق احتماله. ثم يعود فيهاجم ابطال (هومر) وفكرة الفروسية هجوماً عنيفاً لا رحمة فيه ولا شفقة. وفي هذه المسرحية التي تضم خطب يوليس ورسائل ترويلس الغرامية، يظهر شكسبير في اجمل اشعاره واشدها جاذبية، ثم نصاب بضربة فجائية اذ تتضاءل قوة شعره بالقياس الى قصيدة (تشوسر) المعجبة.

قد كان ممكناً لشكسبير ان يتناول مسألة الحب بمهـارة كمهارة سلفه العظيم. ولكن شيئاً عـاقه فجاءت النتيجة متمثلة في تردده، وهذا مـا حملنا على كتابة المقالات لكي نبرهن على انه لم يفعل شيئاً غير السخرية بعبادة الابطال. تمسك شكسبير بمثالية الحب، فوضعها في المسرحية، وهذا ما يجعلنا نفترض ان سيد الحب هذا، كان يمكن ان يجرب هذه المأساة، لو كانت قدرته تتحمل اوصابها.

امـــا مسرحيتـه Measure for Measure فهي من المسرحيات التي لم يعجب بها كوليردج قط. اذ ان معالجة الحب فيهـا اقرب شيء الى الاستخفـاف والسخرية. فكلوديو الذي يبادل جوليتـا الحب من صميم قلبه، كما تبادله هي، يحكم عليه بالموت لخروجه على نظم الزواج. ثم يأتي دور ازابيل، اخت كلوديو، وهذه فتاة ترفض انقاذ اخيهـا لتمسكها بصفتهـا الجامدة، غير انها في النهاية تنحدر الى وهدة الانحطاط، فتفقد انسانيتها، هذه الانسانية التي تبدو مشعة نيرة في دول تيرشيت او بيناكا. تصدق ازابيل بموت اخيها، فتتقدم الى انجيلو، رب العدالة المبجل الذي قتل اخاها، وتتوسل اليه ان ينتهك حرمتها بهذه الكلمات:

انظر الى هذا الرجل، ان احببت، انه ميت، انه يشبه اخي اذ كان حياً. لعل اخلاصه هو الذي هيمن على اعماله. كان بودي ألا يموت، لانه رمقني بعينيه. ان اخي كان عادلاً، اذ استشهد، من اجل ما اراده، من اجل انجيلو. غير ان عمله هذا عجز عن السيطرة على نيته الفاجرة. ولذا ينبغي لنا أن نواريه التراب، لانه يمثل نيـــة فاسدة، وبهذه الوسيلة تقضي على الافكار، لانها ليست اشياء صلدة، وما النوايا إلا افكار متقمصة روحها.

يتعذر علينا ادراك شيء اكثر إثارة للغيظ من هذه القطعة. وملاحظة الدكتور جونسن عليها، مع سخريتها، فيها فكاهة لطيفة محببة للقلب. تصف هذه القطعة سخرية شديدة وهجوماً عنيفاً على الحب، وعلينـــا ان نعتقد بان شكسبير عنى ذلك بكل اخلاص. ثم نعثر على الخدعة التي تعاد في ...All's Well عندما يسحر انجيلو ماريانا المؤمنة، فيجعلها تعتقد بانها كانت ازابيل، وكل القصة مغطاة بغمامة مرعبة عن قلق الموت، ثم تتبلور هذه الفكرة في شخصية برناردين المتشائمة. ومهما يكن الغرض الدرامي من هذه الكوميديا، تبدو الحـالة الذهنية المنبعثة منها واضحة. فالحياة امر مكروه، يدعوا الى السخرية والاستخفاف وكذا الحب..

ثم ان مسرحية All's Well تبدو في عنوانهـا ساخرة سخرية مركزة، ويظهر شكسبير كأنه يثأر لمثاليته في الحب، باصرار وعناد ومثابرة. فتراه يجعل بيرترام شخصاً قبيحاً يثير المقت والنفور، ولكنه يفضل عليه بارولس الجبان المتخاذل. ثم يحمل هيلينا على السقوط في شباك النبيل الشاب ذي الطبـاع الوحشية، جاعلاً هذا الحب في غاية الرقة والعذوبة واللطف، خالقاً منها مثالاً رائعاً، له اشد الشبه ببياتريس او روزالين، واضعاً على لسانها هذا الرد المتخاذل على سؤال بيرترام: « ماذا تريد مني »، « شيئاً، لا شيء ابداً، مولاي، لا اريد ان اقول ماذا اريد. »

يقيناً، لا يجتمع الاعداء والغرباء من اجل قبلة الوصالة،

بل هم يفعلون ذلك من اجل قطع الاوصال » ومع هذا ، فهي تقوم بالدور المخادع الذي ادته ماريانا . ولا اعجب من شيء عجيب من هؤلاء الذين يظنون بالشاعر الظنون ويتصورونه يكتب كوميديا رومانسية بخاتمة مرّة. فالعذاب الذاتي الذي يفعم المسرحية ، والحالة الذهنية المرة التي تتوضح في قوله (سأريكم خاتمة مفرحة) كل ذلك جلي كل الجلاء ، ولكن شكسبير لم يتمكن قط من ابراز موقف المرارة بصورة كاملة. ذلك بان يده اصابها الوهن بتأثير مثالية الحب ، وانسانيته ، وهذا هو السبب الذي يجعل سحر المسرحيات في هذه الفترة المعذبة الغريبة ، بعيداً عما انجزه من تأليف في الفن الدرامي . يمكننا ان نخمن الابداع الشعري الحق في هذه الفترة بالقياس على (عطيل) في كلمات الاخير : « حين احبك تفر المأساة من ناظري . »

وهذا في وسعنا العثور عليه في المآسي ، وهذه التجربة الشخصية المحطمة ، تجد مكانها في رؤيا الحياة برمتها ، لانك لن تجد مرارة بعد الآن . ثم ان صورته المصغرة لهذه الرؤيا تبين ان شكسبير عاد الى حظيرة ايمانه بالحب . ومن هنا نجد الصفاء الذي يسود حب عطيل وديزديمونا . اذ ليس من انسان في قدرته صد اثم ياغو . ثم ان حبها (اي حب عطيل وديزديمونا) صاف لا تشوبه شائبة من كدر ، حتى ان جريمة القتل التي اجترحها عطيل ليست سوى تضحية منه تزلفاً للحب ، كما اشار الى ذلك كوليردج ، ذلك بانها مأساة فكرة دمرتها قوة طاغية خارجية ولو لم يتدخل ياغو لظل حبهما مستمراً الى الموت . وعلى هذه الشاكلة نرى القسمات الصُفر مرتسمة على الصورة العظيمة ، صورة السعادة الزوجية التي نبصر بها جلية واضحة في كوريولانوس . فاخلاص فرجيليا الصامت لزوجها العاطفي المتكبر لا يضارعه غير رقته ولطفه في حضرتها . وصمته الرائع هذا يضفي ظلالاً على وجوده ، وهذا ما يحملنا شكسبير على الشعور به بعميق معناه ، في تلك الابيات الرقيقة الموجهة الى الزوجة .

ومع ان هذه الرابطة تشتد ظلاماً في (ماكبث) الا انها تحافظ على سلامتها من غير ان يصيبها الوهن . ذلك بان حب السيدة ماكبث يعنف ويعمق ، بخلاف صلتها به في جريمتها ، مع انها تبقى ممثلة لعبقريته الشيطانية . والحب في (انطونيو وكليوباترا) يمكن ان يُعد فوزاً رائعاً ، بدلاً من حسبانه مأساة تستدر الدموع . اذ ان الاخلاص يكمل في وحدة منسجمة تامة . وتجد ذلك لدى كليوباترا ، في ذلك المشهد الحزين ، مشهد الموت : انها ظلت كما كانت ، عاطفية ، متقلبة الاطوار ، ولكن استسلامها كان تاماً . اسمعها تقول : « قرين عمري ، لقد اتيت ، والآن يحق لي ان افتخر بشجاعتي التي اظلتني بظلك » . ربما لا يعدنا الحب بالسعادة الذهبية ، التي طالما تناولها شكسبير بقلمه ، ولكن هذا الحب يغير المحبين فيسمو بهم الى شوامخ الذُرى في التضحية والشعور بما لم يحلموا به ، ولم نحلم به نحن كذلك . اما المرحلة الاخيرة من حياة شكسبير فتتميز بالعودة الى الحب الذي تلظى ناراً في شبابه . ذلك بان الحب — في المآسي العظيمة — لم يكن إلا امراً ثانوياً باستثناء (انطونيو وكليوباترا) . فقد كان عليه ان ينقل للناس نتائج تجاربه في الحياة . ولم يكن الحب الا جزءاً من هذه الحياة لا غير .

ومع هذا يسعنا قياس اهمية هذا الجزء برجوعه الى هذه الفكرة في مسرحياته الثلاث المتأخرة ، (حكاية الشتاء) و (سيمبلين) و (العاصفة) . ومن هنا نشعر بمشاهد الحب بارزة في المسرحية الاولى وكذلك في الثانية ، لان الامر عاد يؤثر فيه تأثيراً خاصاً . وهذا ما يجعلك تشعر بثقته التامة ، وبراعته الواضحة ، في حين يصيبه بعض التعثر في سائر ما كتب الا ان شيئاً سماوياً اثيرياً اضيف الى الكوميديات المبكرة ، كما ان شيئاً ارضياً استل منها ؛ فغدا الضوء فضياً بعد ان كان ذهبياً .

فلم يعد للذكاء موضع بين المحبين ، بل اصبحت الرقة حلماً يلفهم جميعاً . وبعد العاصفة الهوجاء التي تتميز بها (المآسي) والتي تبلغ اوج شدتها في (الملك لير) نسمع شدو الشاعر الذي يعلن ان الحب هو الضياء الذي لا بد من الاهتداء به ، وذلك ما نسمعه من افواه فلوريزيل ، وبيردتا وبوستمس وفرديناند وميراندا . ومن هنا ينقلب الحب الى رسالة تطفح بالبشاشة الساحرة في نغمة (العاصفة) الفضية فبعد ان يشاهد الساحر الحكيم رؤيا الحياة الانسانية ، يرمي بكتابه جانباً ، ويقول:

ان القباب السامقة الذرى ، والقصور الشامخة الباهرة
والهياكل المهيبة الجليلة ، وحتى الكرة العظمى نفسها، وكل ما يرثها
ستتلاشى مثل هذا المهرجان التافه،من غير ان تترك اثراً وراءها

دمى واصداف

اصابع التراب
تجرح مسارب صمتي
وتنثر وجودي ..
هباء .. هباء ..
انفه من اليباس والفراغ
آدميتي الصغيرة
رمة .. خفقة لون ، وحقارة
وُلدت ، مع هزيمة الفصول .

بالامس ، عند انتحار النهار
لملمت جراحات وحدتي ..
خيطاً .. خيطاً ..
وجدلتها عصارة دمى ،
منقوعة في ماء الوهم ..
ترعش مفاصل طفولتي ،
وتنعقد ظلالاً .. رعناء ،
كالدخان .. كعيدان مبخرة ،
تسيل في حبات ايامي ..
وانساني الآخر ..

انساني ، الاعمى ، الهراء
ما زال ، يلعق خرافة الشمس
من خضيب السدم ..
من سماوات الفرار
يحمل في قلبه ،
آلاف النجوم ..
سوداء .. كحلكة المصير .
واجراس الخراب ،
تدق آيات الشيطان
عند بابه المهجور ..

وشيء من الكلمة
يتمزق اشلاء .. وتمتمات
يدور .. ويدور
في فم الزمن ..
وبقايا جلجلة .. واصداف
تتساقط مع ظلي ..

البصرة — عبد الرحمن علي

فنحن لسنا غير احلام ، يحيط بحياتنا القصيرة رقاد لا ينتهي الى حد
ومع حكمة بروسبيرو ، وآلام قلبه ، يستسلم الى الايمان وحرية الحب
فينظر خالقه الى العالم ليس من خلال عينيه حسب ، بل يشترك معه ميراندا ايضاً
فوا عجبا ! كم من الكائنات الصالحة تسكن هنا ، وما اجمل بني الانسان
ويا ما اشجعك ايها العالم الجديد ! عالم تسكنه شعوب كهذه الشعوب !
وهكذا يبدأ العصر العظيم من جديد .

ومن هنا ، يصح القول : ان سحر شكسبير — في آخر عجائبه — يدفعنا للايمان بان عيون الحب وحدها يسعها ان ترى الى المعجزة ، وربما كانت الحقيقة النهائية تتجلى في فعلها ذلك في الحياة .

العراق — بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

خيم هدوء الليل على الاحياء فلم تعد تسمع اية حركة، وآوى اخوته الى مضاجعهم، يجلببهم الحزن على والدهم الذي ذهب ولن يعود ...

مسؤولية ... مثالية ... اخوة ... اذن فانا اعمل واكد لتدور افواهم وتذهب بنتيجة عرقي ونشاطي وحياتي .

وارتمى المسكين على سريره ... محاولاً ان يغرق في النوم آلامه التي تهز كيانه، وتحيل رأسه الى طاحونة... يسمع فيها جعجعة كثيرة ، ويستذكر ايام طفولته وصباه ومطلع شبابه ، كما يذكر الحالم امسه القريب ، فتملأ تلك الذكريات الفضاء حوله، كأنها عفاريت تقفز امام عينيه، في كل ناحية وصوب.

ويتراءى له خيال فتاة حلوة ، فتاته التي يريدها ، ويرى في عينيها العسليتين تساؤلاً صامتاً ، ويحس في كل كلمة وابتسامة او نظرة ، لهفتها الى الساعة التي يضمها فيها سقف واحد .

لقد فكر طويلاً في كيفية تحقيق ذلك الحلم الكبير ، غير ان واقعه كان يشل كل نشاط له : فمرتبه في الشركة التي يعمل فيها ، لا يكاد يسد حاجة اسرته التي تعيش في ضيق ، فكيف اذا تزوج ، واضاف الى الافواه الخمس فماً جديداً .

ولكن فتاته ، الملكة التي سيطرت على مشاعره ، والتي صاغ لها في نفسه تاجاً من حبه وتعبده ، هذه الفتاة هي اليوم في حل من امرها ... ان رجلاً غيره يريدها لنفسه، وسيتقدم غداً لطلب يدها من ابيها ، فماذا يفعل ، ان مجرد التفكير في ذلك يدفعه الى الجنون .

— كيف تكون سوسن ... لسواي ، لن يكون ذلك ابداً وفي عرق ينبض! سانتحر اذا ذهبت سوسن من حياتي . وكيف اعيش اذا فقدتها ، اذا فقدت معنى وجودي، وامل عمري.

ويكاد رأسه ينفلق، تحت وطء تلك الخواطر السوداء المعربدة ، التي تدق جدران جمجمته ، فيحس لها برودة تخدر جسده، ويحس انه غير قادر على الحركة، وانه يوشك على ملاقاة ابيه .. هناك ... في العالم الآخر .

— ولكن، لماذا الهم... فمن بعدي الطوفان ...

بهذه الكلمات ، انتصرت انانيته اخيراً وتراءت له حبيبته تشده اليها متشبثة ببقائه ، ووجودها الى جانبه... اما العائلة وكل الناس فليذهبوا الى جهنم ... يكفيني انني تحملت سنين مسؤولياتهم .

واطبق عينيه على تلك الصورة ، وهذه الكلمات تدوي في سراديب اذنيه ... ونام .

*

في الصباح فتح عينيه على لمسات امه، وصوتها الحنون، ولكن النظرة المتجافية هي نفسها ، بادرها بها في مستهل يومه ، كما اختتم بها امسه فوضعت فنجان القهوة الذي حملته اليه ، على الطاولة الصغيرة بقربه ، وانكفأت لتمنع اخاه الصغير من الدخول اليه ، باندفاع الطفل نحو ابيه ، كعادته في كل صباح ، واذا الولد يسبق امه فيصرخ بصوته الساذج البريء :

— بابا ... اعطني خمسة قروش .

واذا باخته الوحيدة ، تدخل على اخيها الكبير ، وهي تقول بتودد :

— عد يا اخي باكراً... كي نذهب الى السينما ! فاليوم اول الشهر !

ويقوم من فراشه لا ليقبل يد امه، وجبين اخته وخدي اخويه ... بل ليضرب الباب في وجوههم وهو يزمجر :

— سينما ... خلوا ابوكم يعطيكم ويأخذكم... اتركوني... حلوا عني... لن تروا وجهي بعد اليوم ...

وارتدى ثيابه على عجل واندفع خارج المنزل ...

*

وقضى يومه في عمله عبوساً ثائراً ، ولولا ما احاطه به رفاقه من رعاية يخص بها الاصحاء المرضى ، والكبار الصغار، لتشاجر مع جميع رفاقه ، واصطدم بجميع رؤسائه .

وكان قد اتخذ قراره بان لا يعود الى المنزل ، فينفذ خطته المرسومة منذ زمان ، ويتحرر من رق المسؤوليات وعبودية الواجبات ، اما عائلته فلتبحث لها عن عائل جديد .

— وماذا عليّ لو عشت حراً ... من كل قيد ... الم يخلقني الله حراً ، فكيف يستخدمني هؤلاء لاغراضهم ، وهل يجب عليّ وحدي ان اشقى ليسعدوا هم... امي واختي واخواي. لا ، لن اعود ... وليكن ما يكون.

في المساء عندما انصرف من عمله نوى ان يودع حياته الرتيبة المجدبة ، بسهرة صاخبة في تلك المرابع التي يرتادها الشبان ، ويحدثه عنها الزملاء والرفاق بشيء من الاعجاب والسرور ، ولماذا لا ، اليس هو شاباً مثل غيره . ولماذا يتأخر بعد اليوم ، طالما انه هدم بنيان

المسؤوليات تجاه اسرته .

وهناك في احد المرابع سكر بخمرتين : خمرة الحرية التي لم ينعم بها قبل اليوم ، وتلك الخمرة التي لم يتعود شربها منذ كان في احضان « المرحوم والده » .

وحينما خرج الى الشارع الطويل الذي تغلفه قناديل الكهرباء الخافتة بغلالة غامضة وهو يصفر اغنية شائعة بنغم عذب ، راعه منظر سكير يترنح حتى لا يكاد يقع ، وامامه امرأة متسولة وقفت تمد يدها في الظلام تسأل المارة الاحسان لوجه الله ... فيشتمها السكير وهو يدفع يدها الممدودة ويكاد يرميها الى الارض .

واستوقفته في اللحظة ذاتها سيارة فخمة تنبعث من داخلها الحان غريبة مجنونة توقفت امام عمود النور ونزل منها شاب تقدم من فتاة فصافحها ، وما هي الا لحظات حتى كانت في سيارته التي غابت في جوف الشارع المظلم .

رأى هذا ، وهو بين اليقظة والمنام . في تلك الساعة من منتصف الليل ، والخمرة تدب في دمه دبيب النمل ، وتخدر حتى احساسه بالشرف والكرامة ، ولكنه مع ذلك ، عرته رعشة احس لها في قلبه وخزاً وفي ضميره ثورة .

ـ اتكون هذه المتسولة امي ... وتلك الفتاة اختي .

ورفع يديه الى عينيه يفركهما ليتبين ما هو فيه ويستعيد ما حدث البارحة .

ـ ولم لا فقد تنتهي امي ... وكذلك اختي ... اذا تخليت عنهما .

وراح يركض ... حتى وصل الى بيته ... بيته الابوي ، الذي غادره في الصباح ، وكأنه لم يعد اليه منذ سنين .

وحينما فتحت له امه الباب ، وهي لا تزال في انتظاره بادرها قائلاً :

مساء الخير ... الا تزالين سهرانة يا ماما .

وانحنى على يدي امه يقبلهما ، فعانقته وضمته الى صدرها ، وغسلت وجهه وذنوبه بدموعها التي لم تحل بينه وبين رؤية اخته واخويه جالسين بصمت ... لقد كانوا جميعاً ساهرين ... ينتظرون .

فيصل المسكي

لفتة

لألبير أديب

يا رفيق العمر
لماذا اثرتَ شجوني
وأعدتَ قلبي الى عهد الضياء
لقد آخيتُ جروحي
وآلامي لم تعد آلامْ
مات الربيعُ
ومات حزنا عليه
الشتاء
لم يعد لنا
ما نحتويه
غير قيد فوق قيد
وروحٌ في الاسر
ترجو انطلاقْ



قضايا جديدة في ادبنا الحديث

تأليف الدكتور محمد مندور – ١٥٩ صفحة – مطابع دار الغد بيروت

الاستاذ الدكتور محمد مندور من الاساتذة الرواد في ادبنا المعاصر. يجمع الى عمق التفكير اصالة المنهج ، والى سعة الدراية رهافة الحس وصفاء الذوق وقوة الاسلوب .

ولقد كان له جولة واسعة النطاق في الثقافة العربية القديمة خرج منها برسالة الدكتوراه عن النقد المنهجي عند العرب ، فكانت تلك الدراسة ركيزة وسعت امامه آفاق الادب العربي وطوعت له اساليبه ، واطلعته على المناهج العربية الاصيلة فاحيها واثريها ، ومجد العرب وجهودهم الرائدة في هذا السبيل .

والى جانب هذا يملك الدكتور رصيداً ضخماً من الثقافة الغربية التي تغلغلت الى جوهر آداب الغرب وتعرفت تعرفاً كاملاً على مناهج الدراسات الحديثة ، فعايش مدارس النقد الفرنسي المحدثة ، وتتبع اصول هذه المذاهب تتبعاً فلسفياً عميقاً ، فهو يمثل في ادبنا العربي ما يسمونه بالحلقة المفقودة ، فعندنا مثقفون ثقافة عربية لا دراية لهم بالتطلعات الجديدة في الادب الغربي ، وعندنا مثقفون ثقافة غربية منقطعو الصلة بأصلهم العربي ، ان يجمع بين الثقافتين فذلك هو النادر او المفقود .

والى كل هذا فهو اديب اصيل ذواقة مرهف الحس مستقيم الاسلوب يجمع مع متانة الديباجة رقتها واشراقها .

وقد طلع على الادب العربي المعاصر بمجموعة قيمة من كتب النقد والتوجيه والتراجم رسمت خطة جديدة في الادب الحديث ، وقدمت منهجاً متكاملاً للدراسين والادباء حتى اصبحت تتعلق العيون بما يكتب ، وتمسك الانفاس في انتظار القول .

وفي السنوات الاخيرة التي تفرغ فيها من اعماله الرسمية والسياسية ، تتابعت كتبه ، وغمرت الميدان الادبي والنقدي فشكلت ركيزة ثابتة لأدب جديد ، بالاضافة الى ما يردده في الاندية والمحافل والمعاهد والاذاعات مما يعمق مجرى هذا المنهج الاصيل .

وهذا الكتاب ليس آخر كتبه ، ولكنه واحد من كتب في طريقها الى القراء في النقد والشعر والمسرح .

وفي هذا الكتاب اربعة أبواب : النقد ، والقصة ، والشعر ، والمسرح. وفي كل باب منها مقننات وتطبيقات .

ففي الباب الاول يعالج مشكلات نقدية ، ويتساءل عن وظيفة النقد اهي تفسير اعمال الاديب ام توجيه الاديب ؟ وفي هذا التوجيه هل للناقد ان يوجه الاديب الى موضوع بذاته ؟ وبمعنى اوضح هل يستلهم الناقد في نقده اصول الفن او حاجات المجتمع ؟

ثم يتساءل : هل هناك اصول ثابتة للنقد ؟ ويمهد للجواب بان الادب «فن جميل» ثم يحلل عناصر هذا الجمال ، وتطور مفهومه عند القدامى والمحدثين، واذا اتفق على هذا الاصل كان واجباً على الاديب والناقد ان يستمسكا به، ويتصرفا في حدوده ، وما دامت مفاهيم الجمال واسعة المدى متطورة الدلالة، فان الاصل الثاني ينشأ من تلقاء نفسه ، وهو الثقافة الواسعة العميقة المستوعبة التي يجب ان تكون دعامة اخرى للنقد الحديث ، ومع الثقافة لا بد من اساس اصيل لا يقوم النقد ولا الادب بدونه وهو الذوق ، حتى لا يجمد الناقد ، ولا يند عنه شيء من مفاهيم الجمال ، او يستعبده شيء من موازين الثقافة .

وفي هذا الضوء حدد ماذا نريد من الكاتب الذي لا يعمل في الحقل الفكري مع زملائه من الفنانين الا من اجل اسعاد البشر ، وان ناقده يجب الا يتحكم فيه ، ولا يتعسف به الطريق ؟

وعرض لزوايا مقارنة من النقد بين القديم والحديث ، عند العرب وعند اصحاب النزعات الاوربية الحديثة ، وختم بعرض ممتع لكتاب موسوعي جديد عن الادب العربي في المهجر هو كتاب الشاعر جورج صيدح عن « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية »

وفي باب القصة يبدأ بالمعركة بين القصص العربي الحديث وبين المنكرين له ، فيعرض المسألة عرضاً تاريخياً لظهور القصة العربية المعاصرة وجهود روادها حتى نزلت القصة الى ميدان الحياة ، ويدافع عن قصصنا الشابة ، وقصاصينا الطموحين ، ولكنه يوجههم في رفق وحنو الى ان الحماسة لا ينبغي ان تطغى على الفن فتحيله الى هتافات ، فهناك في الواقعية مبدأ الاختيار في الفن ، وهناك التفاعل المثمر في القصة بين الاشخاص والاحداث ، ذلك التفاعل الذي يظله الوصف والتصوير والاسهاب الذي يصاب به قصصنا الناشىء .

كما وجه الكتاب الى ضرورة استيعاب الاصول الفنية ، والى الثقافة الانسانية العريضة حتى يكون لقصصهم قيم انسانية خالدة .

وعرض للتجربة الشابة التي لاحظها ملاحظة دقيقة في قصص الجيل حينما شارك تقييم نتاج المسابقة القصصية التي فتحها نادي القصة للناشئين ، وابدى توجيهات سديدة من زاوية اختيار الموضوع والجو ، وحاول كبح الشباب المخدوعين الذين لا يرون من القصة عملاً مشوقاً جذاباً الا اذا اغرقت في الامور الجنسية والانحرافات والشذوذ .

وعرض للقصة الاجتماعية في « ليالي سطيح » لحافظ ابراهيم وردها الى التيارات الاجتماعية والسياسية التي سادت أدبنا في الجيل الماضي ، وعرض للنماذج البشرية التي تبرز في قصصنا الناضج مثل جانين متترو في « الحي اللاتيني » للدكتور سهيل ادريس ، والبراجوازي الصغير في « خان الخليلي » لنجيب محفوظ .

اما في الشعر فيقرر ان حركة التجديد جاءت رد فعل للنفاق الاجتماعي الذي اصاب حركة البعث في شعر الشعراء التقليديين ، وكانت الانطلاق المتحررة على يد عصبة ابولو هي الفردية الذاتية الوجدانية الحرة التي لا يحدها مذهب ولا قيد ولا فلسفة ، ثم يجيء رد فعل آخر ليحدد اتجاهات مذهبية لهذه الانطلاقة السائبة ، وتقييد الذاتية الوجدانية وتدعو الى المسئولية إزاء المجتمع بشكل جديد ليقوم الشاعر بدور ايجابي غير دور

التتبع للاحداث والتعليق عليها ، وانما ليوجه هذه الاحداث ويخلقها ان استطاع او يحول مجراها بكفاحه الوطني والقومي ، وكان الشكل الجديد الاصيل انبثاقة عن هذا التطور دعت اليه الضرورة لا مجرد هروب من عمود الشعر التقليدي .

وفي مجال التطبيق يعرض لشاعرين من الشعراء التقليديين همـــا الجارم وعزيز اباظة ، وعزيز اباظـة يقف في الشعر المعاصر على طرفي نقيض ، فهو يزاول كتابة المسرحية الشعرية بالقوالب التقليدية التي يحرص فيها عـــلى الديباجة والموسيقى الصاخبة وضجيج الالفاظ وتقعقعها ، الامر الذي يتنافى مع أسماع رواد المسرح وثقافتهم ، ولا يكف عن مهاجمة الشعر الحديث في كل صوره واشكاله .

ويقوم عمل جماعة ابولو في شعرها الوجداني المتحرر ، ويتحدث عن محمود طه والتحليق الشعري وعن الشعر الصافي الذي دعا اليه ابو شادي وعن رأي الشابي في موسيقى الشعر وعن شعر كيـــلاني سند ، ويوحي بتوجيهاته في هذا المجال للحد من اندفاعات الشباب الذين يهربون من تقليد الى تقليد ، والاساس الذي يريد ان يركز عليه حركة التجديد هو الثقافة، ثم الثقافة ، ثم الثقافة .. الثقافة بمعناها الواسع ، ومدارسة الاصول الفنية للادب ، حتى اذا خرج الشاعر المبدع على مواضعاتهـا ، خرج عن بينة ، واذا اخذ منها بطرف اخذ عن بينة كذلك ، وفي الفصول التي ادارهـــا حول المسرح ألم بخلاصات للاسس المدرسية لبناء المسرحية ومادتها المستقاة من التاريخ والحياة والتجارب الانسانية .

ثم تحدث عن وظيفة المسرح ، وانه يصلح وسيلة لتهذيب البشر ، وسلبهم همومهم وبعث روح الخير والتفاؤل والتخلص من العقد والالتواءات النفسية، فهو ان لم يمنحهم شيئاً فلا اقل من ان يسلبهم متاعبهم وآلامهم .

ويعرض بشكل تطبيقي لما ينتجه طلابه من اعمال فنية ونقدية ويبرز منها الزوايا المضيئة التي تشكل اتجاهات الجيل الجديد في المسرح الحديث .

ويعرض للغة المسرح ، وهي عقدة مستعصية تعترك الآراء حولها ، وقد أثنى على التجربة الموفقة التي خرج بها توفيق الحكيم في مسرحيته « الصفقة » وهي اختيار كلمات فصيحة قريبة الى رجل الشارع ، وترك الحرية الممثـــل يختار اللهجة التي تناسب الجو الذي تمثل فيه المسرحية ، فيلوي لسانه او يقيمه كيف يشاء دون ان تتغير الكلمات او تخرج من نطاق الفصحى او تعسر على فهم اي من المستويات العربية في شتى الاقاليم .

وبطريقة موضوعية تناول بعض الانتاج المسرحي مثل جمهورية ترحات ليوسف ادريس وموتى بلا قبور التي ترجمها سهيل ادريس وجلال مطرجي في ضوء المذاهب الاشتراكية والوجودية ومسرح باكثير بـــين المجتمع والسياسة .

بكل هذا الاستيعاب والتركيز والعمق استطاع المؤلف ان يلم بالمشكلات الادبية والفنية التي يضج بها الوعي الادبي في العالم العربي الجديد، وقد وضع حلولاً للكثير من هذه المشكلات ، وعرض الكثير منها في صراحة وثقة ، واوضح كثيراً من الاهداف الغامضة في اذهان الادباء والنقاد ، واهم من كل هـذا انه وضع الاسس السديدة ، وخطط البرامج السليمة للانطلاقة الادبية الفائرة التي تغلي في صدور شباب الادباء اليوم ولا تجد لها متنفساً ، لأنها لا تهتدي الى الطريق . وبلا ضجة ، ولا تعالم، ولا تعال، ولكن في هدوء السذج والبسطاء من الناس يسوق الدكتور مندور قضاياه الخطيرة ، وآراءه الموفقة ، وكأنها تنبع تلقائياً بلا جهد ولا معاناة ولا تكلف .

القاهرة **رضوان ابراهيم**

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر

للدكتور يوسف عز الدين — ٢٥٥ صفحة — مطبعة الزهراء ببغداد

لم يحظ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي ، بدراسات علمية موضوعية جديرة بالذكر ، خلا دراستين موفقتين . الاولى للدكتور محمد مهدي البصير ، الموسومة بـ « نهضـــة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » . وهذه اعتمدت الترجمة الشخصية اساساً للدراسة . فترجمت لعدد لا بأس به لأهم شعراء العصر ، وقد ثارت حولها عاصفة من النقد لالتزامها المنطق والعلم والموضوعية ، ولأن الدكتور البصير استفاد من آراء علماء النفس في تحليل شخصيـــات بعض الشعراء الذين لم يجد من المصادر التاريخية ما يكتب عنهم سوى نتـــاجهم الفني . وقد صدرت هذه الدراسة سنة ١٩٤٦ .

اما الدراسه الناجحة الثانية فهي للدكتور يوسف عز الدين السامرائي ، وقد صدرت تحت عنوان « الشعر العراقي — أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر » . وهي موضوع البحث .

وهنـــاك عدة اسباب جعلت هذه الدراسات قليلة (وحتى الدراسات التقليدية الجافة كدراسات علي الخاقاني ودراسات محمد علي الحوماني) التي لم تحتو الا على النَسَب والولادة والوفاة مع تدوين مـا يستطيع المؤلف تدوينه من الشعر . ومن اهم هذه الاسباب قلة المصادر المطبوعة وعدم وجودها أحياناً نظراً لمضي زمن طويل على طبعها ونفادها في الاسواق كما ان المصادر المخطوطة نادرة ، فقسم منها قد تسرب الى خـــارج بلادنا ، والقسم الاخر وضعتها الظروف في ايدي رجال لا يقدرون قيمتها التاريخية والادبية ، والقسم الثالث تلف بنتيجة مـــا مرّ على العراق من كوارث ومصائب والخ ...

وامام هذه الصعوبات كلها ، وامام تفرق المصـــادر بين بغداد والحلة والموصل والبصرة والنجف والقاهرة ودمشق ، وبعزيمة فتية ، استطـــاع الدكتور يوسف عز الدين استاذ الادب العربي الحديث في كلية الآداب والعلوم اخراج دراسته القيمة عن اهداف وخصـــائص الشعر العراقي في القرن التاسع عشر .

تنقسم هذه الدراسات الى مقدمة وابواب خمسة وخاتمة وأربعة ملاحق .

فأما المقدمة ، فقد بينت ظروف تأليف الكتاب .

وفي الباب الاول تكلم عن الحياة الادارية في العراق في القرن التاسع عشر ، وتطرق الى أشهر الولاة وتحدث عن بعضهم ، كداود باشا ومدحت باشا ، مستعرضاً اعمالهم واصلاحاتهم . كما تكلم ايضاً عن المجتمع العراقي ومشكلاته وانتهى بالتالي الى تقسيم الشعراء الى :

— اصحاب النفوس الضعيفة الذين « عاشوا على التملق والمداجـــاة وازجاء المديح لأصحاب السلطان على اختلاف درجاتهم » .

— الاحرار أو « اصحاب النفوس الحية والاحاسيس الكريمة » الذين « راحوا يهاجمون الاوضاع الظالمة في عنف وقسوة » .

— الذين انطووا على نفوسهم ، فلم يجـدوا لهم متنفساً الا في الشعر الديني يبثون بواسطته اشجانهم وآلامهم .

— الذين انصرفوا الى الاغراض التافهة فلم يكترثوا لمصيبة أو لغيرها .

وفي الباب الثاني حـــدد اهداف الشعر العراقي في اربع نقـاط : مدح السلطان ، خدمة الدين ، هدف قومي ، هدف اجتماعي .

اما مدح السلطان (ويعني به السلطان العثماني) فلم يكن هـــذا المدح

صادراً من أغوار قلوب الشعراء ، بل كان اما طمعاً في مال او جاه وإما خوفاً من حكم جائر شمل العراق آنذاك وإمـا طمعاً في التقرب الى اولي الامر . على ان « هذه البيئة التي يطارد فيها الاحرار ويقضى على كل فرد يشم منه رائحة الاصلاح والتذمر هي التي أملت على الشاعر رأيه ، فكم من علماء العراق ورجاله حبسوا وشردوا او طوردوا او شنقوا لانهم ثاروا ضد مبادىء لا ترتضيها الانسانية او انهم ارادوا اصلاحاً يعود على الامة بالخير » .

اما الشعر ذاته فقد كان منافقاً ، ركيك المعاني ، مفكك التراكيب ، ذاتياً ، تقليدياً ، لا جدة فيه ولا روح . اذ لم يكن يصدر عن انفعال او صدق بل عن طمع او خوف .

اما مدح الولاة والموظفين فهو يشبه من ناحية مضمونه وشكله شعر المديح للسلطان ، على ان فيه احياناً بعض العاطفة الصادقة نتيجـة ارتباط الولاة بصداقات شخصية مع الشعراء ، كداود باشا الذي كان صديقاً للأخرس ، وعلي رضا باشا الذي كان صديقاً للتميمي .

والهدف الثاني الذي تميز به شعر القرن التاسع عشر هو خدمة الدين . وقد كان الشعراء على نوعين :

— المتصوفة ، وكان شعرهم « يهبط الى مستوى سخيف » ، « فقد كان طريقاً للمديح » ، وكانوا يتقربون بشعرهم هذا الى السلطات العثمانية الحاكمة التي آزرتهم واعانتهم مادياً ومعنوياً .

— شعراء الحسين وآل علي (ع) ، وكان هـذا اللون من الشعر « صادق العاطفة فياضاً بالاحاسيس » . على ان الشعر الديني كان محصوراً في ثلاثة روافد : مدح الرسول ص ، ومدح آله ع ، ومدح مشايخ الطرق الصوفية .

فأما الرافد الاول ، فان الشعراء قد ترسموا « طريق الشعراء الاولين الذين مدحوا الرسول (ص) » فقلدوهم « في الالفاظ » وأخذوا يتلذذون « بنفس الانسام البدوية التي كانت تعبق في الجزيرة » .

واما الرافد الثاني ، فان شعر آل الرسول ص وخاصة في الامـام الشهيد الحسين ع ، كان تنفيساً عن الافواه المكتومة عند الشيعة ، ومطالبة بالحقوق المغصوبة منهم . وقـد كان لمكافحة السلطات العثمانية لشعراء الشيعة دعامة رئيسة لنمو هذا الشعر . ومن اشهر شعرائه السيد حيدر الحلي «فقد امتاز بالصدق في العاطفة والجزالة في الاسلوب» .

اما الرافد الثالث ، واعني به شعر المتصوفة ، فهو لم يكن الا مدحـاً ولهواً ولعباً بالتراكيب والالفاظ . وقـد كان الشعراء المتصوفة يمدحون مشايخ الطرق الصوفية (كالنقشبندية والقادرية والرفاعيـة) ، كما استفاد الحكام العثمانيون من هذا الشعر لتوجيه انظار الناس عن مفاسدهم وعبثهم بامور الدولة .

والهدف الثالث الذي يتميز بـه شعر القرن التاسع عشر هو الهدف القومي ، « وقد اتخذ الشعر العراقي صوراً متعددة للتعبير عما يعانيه الناس من قلق ومن شعور بالظلم والاضطهاد » .

قال عبد الباقي العمري يصف الوضع الفاسد :

قد استحال العراق مفسدة   ليس سوى السيف يصلحها

وقال عبد الغفار الاخرس :

تذاد عن الماء النمير اسوده   وقد تلغ العذب الفرات كلابه

اما الصور المتعددة التي اتخذها الناس للتعبير عما تجيش به نفوسهم من الثورة والتمرد ، فقد كان عند الشعراء على ثلاثة اشكال: قسم منهم يدعون الى الهجرة تخلصاً من الذل كعبد الغني الجميل ، الذي قال :

دع الزوراء ان رمت المعالي   وسر عنها تجد عنها بديلا

فان الحر لا يرضى بأرض   يرى فيها مهاناً او ذليلا

وقسم آخر أخذ يتغنى بأمجاد امته العربية السالفة ويقارن بـين وضعه ووضع الاجداد كالجميل والاخرس والشاوي وعبد المطلب الحلي .

وقسم ثالث كان يطالب بالاصلاح آناً ، ويهاجم الاوضاع الفاسدة ويعلن عن رغبة الشعب في تبديلها . وآناً تراه يتوسل بالاصلاح الى السلطان .

تبقى لدينا الآن الاهداف الاجتماعية ، وهو ما اختص به البـاب الخامس . وقد كان الشعر الاجتماعي في مختلف الوانه ، تافه المعنى ، مفكك التراكيب ، ذا عناية خاصة بالجناس والتورية ذلك « لان قلق الحيـاة وعدم استقرار الامور في هذا القرن ورغبة الشاعر في خلق جو ظنه ينجيه من الحيرة والقلق أبعده عن هذا الى قضاء وقته بالخمرة وضياع شعره في مساجلات تافهة » . وقد انسابت اغراض الشاعر الخاصة فيما يلي : قضاء الوقت في معاقرة الخمرة والتغني بالغزل التقليدي ، والمساجلات والاسمار والاحاديث ، والواجبات الاجتماعية والفردية ، وبعض الموضوعات العامة .

الى هنا ، ونحن نستعرض فصول الكتاب ، وقد آن لنا أن نذكر ملاحظاتنا عليه .

ان محاسن دراسة الدكتور يوسف عز الدين هـذه ، تتوضح في ثلاث نقاط .

— اعتمدت الدراسة على العلم والمنطق والموضوعية ، فهي والحال هذه دراسة منهجية موفقة كل التوفيق .

— اعتمدت الدراسة دراسة الاهـداف دون التعرض للتراجم الشخصية للشعراء ، فاستغنى بذلك عن تراجم تقليدية لا تقدم لنا جديداً في الموضوع . وقد رأينـا كيف اضطر الدكتور البصير في دراسته التي اعتمدت الترجمة الشخصية ان يجنح عن الموضوعية بينما لا نرى هذا الامر في هذه الدراسة . ولعل الدكتور عز الدين قد ادرك هذه العلة ، فاتخذ هذه الطريقة سبيلاً الى دراسة علمية منطقية .

— اعتمدت الدراسة الاسلوب العلمي البسيط ، فقد تجنب الدكتور عز الدين الاسلوب التقليدي ذا المتانة والتفخيم والغموض وكتب دراسته باسلوب مبسط للغاية .

اما ما يؤخذ على الدراسة فهو قلة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، كما انه لم يذكر عدداً مهماً من الشعراء . على ان هذه المآخذ لها ما يبررها ، فـان صعوبة الحصول على المصدر هو حقيقة واقعة ، حتى ان بعض من يملكون المصادر رفضوا اعطاءها للمؤلف ، فـاعطوا بذلك صورة من صور البخل الادبي .

على ان هذه الدراسة ستبقى لدينـا ، الدراسة العلمية الاولى الموفقة ، والتي نرجو ان تكون منبعاً لدراسات اخر عن الموضوع ذاته ...

علي الحسيني   **العراق — الحلة**

الصمت والمطر

تأليف حليم بركات — مجموعة قصص — ١٤٦ صفحة — منشورات وطبع دار مجلة شعر ببيروت

يطل « الصمت والمطر » كتاب « حليم بركات » الجديد في بدء هذا العام اطلالة غريبة ، بل لعلها اطلالة ما تعودناها في كتب صدرت قبل الآن ، او لنقل في مجموعة قصص سبق وكتب لها ادباء آخرون مقدمات ،

تصدر قريباً

العدد الأول

من مجموعة

القصص المصوّرة

- الأولى من نوعها باللغة العربية .
- مكوّنة من ٣٢ صفحة بالألوان .
- يرتاح إليها جميع القرّاء على مختلف فئاتهم .
- تشتمل على قصص تربويّة وعلميّة واجتماعيّة .
- أبرز أبوابها .

مغامرات السوبرمان - مغامرات علمية خياليّة - مغامرات اجتماعية - فكاهات وفوائد متنوعة .



تصدر عن دار المعارف ببيروت بناية العسيلي السور ص. ب. ٢٦٧٦

كالتي قدم بها جبرا ابراهيم جبرا هذا الكتاب . فـالمقدمة تحتل سبعة عشر صفحة من الكتاب – وهو كتاب صغير الحجم نسبياً – والغرابة لا تكمن في ان يقدم جبرا لحليم مجموعته القصصية الاخيرة – وهناك هذا الخيط الرفيع الذي يربط بين الفكر عند جبرا والقلق في الخلق عند حليم – بقدر ما تكمن في ان يعالج المُقدم موضوعاً لا يمت الى الكتاب ولا الى صاحبه بصلة ، متجاهلاً – كلاهما – الكتـاب ومؤلفه في اثنتي عشرة صفحة من مقدمته وذاكراً اياهما في الاربع صفحات والنصف الاخيرة . المفروض في المقدمة – وهي غير الدراسة – ان تكون محـاولة لتعريف الكاتب أو ادبه . او مفاهيمه ، بل هي محاولة لربط الكاتب بالقارىء مباشرة من قبل اديب او شخص فهم وعرف الكاتب وادبه فحاول تبسيط هذه المفاهيم على صعيد هذه المعرفة .

هذا ما فشلت المقدمة ان تفعله بالنسبة الى « الصمت والمطر » ولا اريد في مناقشتي كتاب حليم بركات ان اتجاوز المقدمة ، (نشرت في « الاديب » ينـاير ١٩٥٨) وهي مقدمة من المفروض انها تناقش موضوعاً له صلة بالكتاب والكاتب ، ولا اريد في مناقشتي لهذه القصص السبع ، ان انقص من قيمة المقدمة . وخاصة لكاتب كجبرا – وهي في الوقت نفسه تعالج موضوعاً خطيراً – كالالتزام – اذ لا غبـار عليها كمقال او عمل ادبي مستقل . كما انني على اتفاق مع جبرا وما جاء في مقاله – عفواً مقدمته – عن الالتزام ومفاهيمه ومشكلاته في الادب العربي الحديث . امـا حين نناقش المقدمة كجزء من الكتاب او كوحدة مع « الصمت والمطر » هنا فقط نحس بهذا النشاز ، وهذا البعد بين المجموعة القصصية ومقدمتها .

من المفروض – او من المسلم به – ان حليم بركات كاتب غير ملتزم . حسب مـا يعتبر الالتزام في ادبنا الحديث ، وان قل حليم لا يخوض في غوغائية السياسة خوضاً مباشراً – او ملتزمـاً – بل لعله يعتبر حرباً على الالتزام بمعناه الصحيح . وانت لا تحس ولا تشعر بان حليم في « الصمت والمطر » يثير اية قضية اسمها التزام او مفاهيم ذات علاقة مباشرة او غير مباشرة بالالتزام . نحس ان حليم يخوض في « الصمت والمطر » قضية هي اوسع من كل الالتزام ومفاهيمه الضيقة ، بل اوسع من وجودية «سارتر» وعدمية او تمرد « كامو » حليم يخوض في « الصمت والمطر » قضية ، بل مأساة الانسان المعاصر في القرن العشرين ، انسان الخوف والجوع والقلق والتحفز والاستسلام انسان الفراغ والألم والضياع ... وهذا ما فشلت المقدمة في ان تكشفه وتُعَرِفَ القـارىء – او حتى تشير اليه – رغم محاولتها المخلصة في الربط بين قضية الانسان من وراء الالتزام وبين قصص حليم السبعة . حتى حين يجزىء جبرا مجموعة حليم الى مقـاييس فنية هي الاستكشاف ، الشخصية ، نقد الحياة ، والشكل ، نرى انه لا يشير الى اي من هذه القصص ، كدليل على سلامة هذه العلاقة وصحة هذا التقسيم . هناك شمولاً واجماعاً وليس هنـاك تخصصاً واهتماماً مباشراً ، بل لنقل بان ليس هناك انسجاماً بين موضوع المقدمة وهو الالتزام – حيث يعالجه جبرا بشكل عام – وبين ربطه لمجموعة حليم بركات ، بل هناك تنـاقض بين الانسان الملتزم كما يريده جبرا ، والانسان القلق كما عبر عنه حليم .

غير ان صاحب المقدمة لا ينسى صاحب الكتاب ، بل نرى فجأة انه يصب اهتمامه فيه وفي بعض قصصه في الاربع صفحات البـاقية ويدور بين سطورها في عجالة تشهد له بالبراعة والحذق ، غير انها عجالة غير جديرة بالمقدمة وخاصة باسم صاحبها ، وفي هذه السطور القليلة يحـاول جبرا ان يلقي ضوءاً على مجموعة حليم ، غير اننا نجد ضوءه باهتا .

نعود لنلتقي بحليم بركات واول لقائنا يكون في « رمال » . في هذه القصة يعـالج حليم قضية اللاجىء الفلسطيني – ككل – على صعيد انساني بحت ، صعيد القلق والتشتت والضياع الذي يعيشه هذا الانسان المشرد في فراغه ووحله وقذارته . في « رمال » وثبات فنية حلوة ونضوج فكري غريب للازمة والمشكلة التي يعانيها«خالد» ... هناك واقعية للقلق والتردد . بل ابرز ما يميز هذه القصة عن باقي الكتاب هو العناد وكبرُ الاحرار . « ما اجملها تنحني لها الاشجار وما ينحني رأسه » (ص ٢٧٠) وهناك هذه النقمة بل هذا الحقد الثائر على المجتمع والناس يتجلى واضحاً « وبصق عندما مرت كلمة الناس في رأسه ، كل همهم ان يظهروا عيوبه .. » ونحس بهذه الثورة الحاقدة تزداد وتشتعل ، « ما هذا البيت ، جهنم ، ربك ورب البيت ... ربـك .. ربك .. ربك سمعت ؟ ربك .. » (ص ٣٥٠) وتعبر « رمال » ازمة تردد واضحة مع رقة في التصوير تتخلل السطور .

في « رمال » تصوير ملتزم لم يقصده حليم – كالذي يريده جبرا وقد أشار اليه بطرف خفي – بينما يتسلق حليم الى نهـاية القصة بروعة غريبة ويصل الى خاتمة ، ككل خاتمات قصصه ، فهو لا يحل المشكلة ، انما يقترح الحل بواقعية ويترك القارىء وحده يتعذب بالنشوة ، كما يترك « خـالد » يسير عائداً الى بيروت مع العاصفة ، فالشارع ارحم به ، وهذه الخـاتمة ارحم بالقارىء ...

في « المحاضرة » يبني حليم القصة بنـاءً منطقياً وموضوعياً .. فيه تسلق وعلو ، فانت تشعر بانك تبدأ في السفح وتصعد الى القمة درجة درجة ، ولا تشعر بهذا التمزق الذي في « رمـال » رغم شعورك باللهفة والشغف . لتعرف هل ستأتي . « آمال » يا ترى ... ماذا سيحدث ... هل سينجح « سامي » في إلقاء المحـاضرة ، هل سيفشل يا ترى ؟ نحس بكل هذه المشاعر تبني في نفسك بناءً منطقياً مرتكزاً على حوادث القصة التي تتدفق امامك ، نحس بالطموح ... بالافق الكبير يملأ خيال سامي « امانيه دائماً لا تتحقق ، ربما لانها اماني صغيرة » .. نحس بهذا التيار النفسي يرتفع في داخلك من لا شيء ، من فشل ويصل الى انتصار ، الى كل شيء ... حتى وهو يغيب في سيارة التاكسي ويرن في اذنه صدى « دواليبها تتشحوط على البلاط » ...

في « المحاضرة » كما في « رمـال » وفي كل مجموعة « الصمت والمطر » هو النفس الخاص الذي يتميز به حليم ، « هذه الصلابة النفاذة ، التي تغلق الاذن ثم ترغمها على الاصغاء » حسب تعبير جبرا ... اما في « لن يقف الثلج من وجهي » .. فهناك التمرد والعنـاد والرمزية ، هذه الرمزية في الفكرة التي لا تتعارض مع واقعية القرية البسيطة التي عرفها حليم في « لن يقف الثلج في وجهي » .. واقعية الفلاح البسيط الذي يعذبه ضميره لعملية جبن ارتكبها في شبابه وذهب ضحيها ابن عمه فاراد ان يكفر عن هذا العمل ، فتحدى العاصفة وتحدى المطر وتحدى الثلج ومـات وبينه وبين القمة امتار قليلة ، وبينه وبين بيته والنار والدفء ، وبين اولاده وامرأته اميال .. مات ويده تتحسس الهدايا ... عيد الميلاد سيطل في اليوم التالي وقد اقسم ان يقضي عيد الميلاد في البيت .

في هذه القصة استطاع حليم ان ينفرد بين كتاب القصة الحديثة بهذه اللمسات الانسانية ، واستطاع بتجربته لحياة القرية الواقعية ان يقدم هذا الاطـار الانساني ، هذه العفوية في اسلوب يصخب بهذا التمرد وهذا العناد ... انما يستمر ولا يعود ... ففي نفسه شعور بانه اقوى من الثلج . اقوى من الانسان الجبان في داخله ، فهو المصير ، يقرر ذاته بذاته ...

في « توأمان » يضع حليم نفس الاطار السابق في « لن يقف الثلج في وجهي » ، حول حوادث تقام في المدينة وفي مجتمع وجو ثقافي رياضي ، هذا الاطار .. اطار النداد والتمرد والانتصار ... الانتصار على اي شيء ، على نفسه ، على ضميره على حبه ... فيه هـذا التمرد الانساني على توأميته ، تمرد يبدأ من صفارة الحكم ، وينتهي بصدر عصام يقطع الخيط. في « توأمان » بداية وفيها نهاية ، نهاية انتصار نفسه على انانيته لا انتصاره للكأس ولا للرقم القياسي . ينتصر « سامي ضو » على نفسه وعلى حبه ، ويغيب من الملعب محمولاً على اكتاف جورج ورفاقه ... وآمال تركض ، تشق طريقها بين النـاس ، تغيب في عينيه .. ويمسح العرق المتصبب من جبهته ..

في « وجه جديد » نعود الى القرية ، هذه القرية التي عاشها حليم طفولة وعرفها شباباً .. نعود الى القرية في نفس الاطار القديم ايضاً .. القروي الساذج الذي يعيش وفي خيـاله حلمه الوحيد ان يرزق بولد ، تحس بهذا الحلم الكبير ينمو بعفوية حلوة ... « فغالباً ما كان يربت على بطنها ويقول مبتسماً بفرح يا ملعون ، ما اطيقك .. اخرج .. اخرج يا ملعون .. لقد رأيتك ، يلعن اباك يلعن امك ، اخرج .. اخرج ، لقد رأيتك » (ص ٨٢٠) .. تموت رفيقة حياته ولم يرزق بولد ، ويتزوج من فتاة صغيرة ، وتراب زوجته لم يجف بعد ، وخيال هذا الولد في رأسه وفكره وحياته .. ويبني كل شيء من اجل ابنه ... وتكبر الدنيا في عينيه وتكبر اماله ، ثم تنهار وهو يوفر كل قرش ، ويخرج نفسه من اكواز الذرة ، من متع الدنيا الصغيرة ، ولحظة تنهار احلامه ، تنهار دنياه كلهـا ، وتضيع هذه الامنية الكبيرة في حياته .. ورغم ان نهاية القصة متوقعة غير ان ارتكازها كوحدة فنية هي في التصوير البـارع لهذا القروي ، لهذا الاب الذي يبحث عن طفل بأي ثمن ..

« تراب صدري » تقف وحدها موقفاً فردياً متميزاً عن باقي المجموعة ، في ضجة تحفز القلق عند حليم . انها قصة الانسان الذي يود ان يعرف مشكلة كل انسان يمر امامه فيحلها ، وهو نفسه لا يفهم مشكلته الخاصة ، الانسان الشاب الذي لا يرى الا و « في البـاب صدر ارتيت ابيض تصطخب فيه موجتان تكادان ان تعبرا حاجز الثوب » في حانة من حانات الليل « عشرات مثلنا يدخلون ويخرجون » ... يتمرد على انه مـا استطاع ان يكبح حباً وهو تلميذ وفي جيبه عشر ليرات. لم يستطع ان يحيل من حلمه ،من حبه الكبير زواجاً وهو طفل .. يحبو على رصيف الشباب. في « تراب صدري » (وقد عالجتها في رسالة نشرت في الاديب نوفمبر ١٩٥٧) تتبلور حكاية الانسان المأساة في القرن العشرين ، الانسان الحديث ، انسان الصراع وشباب الواقع ..

وفي « الصمت والمطر » التي تحمل هذه المجموعة اسمها يحاول حليم بركات اسلوباً جديداً ففي جو القصيرة الوثابة – وهي ظاهرة عامة في كتابه – يقترب – عن تعمد او غير تعمد من الاسلوب المسرحي .

وقصة « سيمفونيه غضبى » كما قال جبرا عنها في مقدمته ، انما سيمفونية تجرف في طريقها – كالطوفان نفسه – الاخضر واليابس ، تجرف اباه ، وفداه ، وعمته وحتى نفسه . فالحركة الاولى ، حركة مضطربة واهنة .. تمهيد للصخب الذي يتبع في الحركات الثلاثة .. بداية الضيـاع والقلق .. تحفز لمزيد من الضجيج في الحركات الاخرى .. وسيأتي المطر ليغسل كل شيء ويجرف كل شيء في الحركة الثانية . سيغرقه ، وسيغرق ام رضوان ، لن ينام معها بعد اليوم ، اما اباه فـيزيد من نقمته وحقده وكراهيته له ما دام يكبل حريته ، ما دام يقلص من شخصيته .. فيها ثورته على هذه الرجعية ، على هذه المفاهيم الضيقة ..

قصص « حليم بركات » بحاجة الى دراسة جدية وعميقة ، وليس الى مجرد مناقشة كما هو الحال في هذا المقال ، لتكشف الجانب العميق ، الجانب المخلص الجدي ، والعمل الفلسفي بين سطوره القلقة وعبقرية كلماته ، وعلى الدارس ان يفهم حليم بركات كانسان اولاً ، ثم يحـاول ان يفهم قصصه ككيان في ذات طابع وجودي يرتكز على فلسفة انسانية سليمة ..

كمبريدج – انكلترا **رياض نجيب الريس**

مواكب الحرية في مصر الاسلامية

تأليف محمد عبد المنعم خفاجي — ١٦٠ صفحة
دار سميس للطباعة بالقاهرة

منح الاستاذ الخفاجي المكتبة العربية ما يزيد عن « مائة مؤلف » .. فلم يترك ناحية من نواحي البحث الا وله فيها كتاب او كتب ، فقد كتب عن التصوف ، والتاريخ والادب ، والبلاغة ، والشعر وسائر علوم اللغة العربية وهو في كل ذلك صاحب فضل مشهود . ولعـل اصدق وصف له قول استاذنا الكبير « محمود التداوي » في معرض الحديث عن « الخفاجي » : « إنه يُرى مهموم البال ، خامل الجسم اذا مر عليه اسبوع لا يخرج فيه كتاباً » .

وهذا كتابه « مواكب الحرية في مصر الاسلامية » ترى فيه نهجـاً جديداً ، ومسلكاً فريداً في دراسة « التاريخ » لعلك معي ايها القارىء في ان التاريخ سرد الوقائع ، وذكر الحوادث التي يحفل بها الزمن في عصر ما من عصوره المختلفة . وليس لمؤلف التاريخ الا ان يقص ويسرد ما كان من مشاهد ، ويذكر ما يقدم كتابه من وقائع ، ويدبج ما يريد من تراجم في « اسلوب علمي واقعي » فان استخلص بعد ذلك العبر من الحوادث ، او قارن واقعة بواقعة كان ذلك فضلاً منه ، وتجديداً في التأليف يعزى بمتابعة بحوثه بما يضيفه من خلاصات تعوض جفاف المادة ، وسرد الوقائع وتراحم التواريخ . « تلك هي القاعدة التي اتبعها ويتبعها الكتاب والمؤرخون » ، ولكنك في هـذا السفر ترى الكتابة التاريخية الادبية بما فيها من خيال مبتكر واستنباط عقـلي ، وفكرة بارزة ، وحكمة واضحة ، ومقارنات بين الحوادث تربط القديم منها بالجديد .

وهذه الناحية اولى مناحي التجديد في دراسة التاريخ المصري منذ الفتح الاسلامي لمصر حتى عهد الشرقاوي وعمر مكرم والسادات من ابطـال المقاومة الشعبية للغزو الفرنسي لبلادنا العربية المناضلة .

واليك مثلا ما عرض له المؤلف من مواقف الاختلاف في الوقائع بين الباحثين .. وما يبرزه لنا من دراسة لتلك الخلافات « أثبت المؤرخ «جاك تاجر » في كتابه « مسلمون واقباط » ان الحاكم امر العبيد السودانيين بحرق القاهرة وأثبت ذلك بعض الباحثين » .

فتناول الاستاذ خفاجي هذا الرأي بالتفنيد فقـال في صفحة ٥٢ من كتابه ما يلي :

« امـا القاهرة فكانت مقر جيش الخلافة ودواوين الدولة ، وكانت محاطة من كل جانب بالحصون ، وكانت فيهـا قصور الخلافـة ومكتبتها وكنوزها ، مما يجعلنا نؤكد انالحاكم إنما امر بحرق الفسطاط لا القاهرة ،

اذ ان القاهرة لا يطلق عليها اسم « مصر » إنمـا الفسطاط هي التي يطلق عليها ذلك ... ثم قال « ولو كان الذي احرق هو القاهرة لقال السيوطي: امرهم ان يحرقوا القاهرة بدل قوله « ان يحرقوا مصر » وهنـاك نص يؤكد ان لفظ « مصر » كان يطلق على الفسطاط لا على القاهرة هو قول ابن حجر في كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر » (كان القاضي النعمان يسكن مصر – اي الفسطاط – ويغدو منها الى القاهرة في كل يوم) .

وما ابدع المقارنة التي يعقدها الاستاذ الباحث بين الحوادث في حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٤ وحريقها في ٢٦ يناير عام ١٠١٨ وحريقها في اكتوبر عام ١١٦٨ .

وكتاب الاستاذ خفاجي لم يتتبع الحوادث والايام يوماً بعـد يوم او واقعة بعد واقعة ولكنه افتن في التأليف في التاريخ كأنه يؤلف فيه منذ اثنى عشر قرناً ، وابتكر طريقة هي في نظري اسمى طرق التربية الاستقلالية التي ينشأ عليها المواطن ، لا يرى في تاريخ بـلاده إلا مهرجانات للحرية ، ومواكب للبطولة . وتلك هي الناحية الثانية من مناحي التجديد في دراسة التاريخ المصري منذ الفتح الاسلامي لمصر حتى عهد الشرقاوي وعمر مكرم والسادات من ابطال المقاومة الشعبية .

فالمؤلف بهذا النهج إنما يهدف الى ان يعلم المواطن مفاخر آبائه ، ويحي تراث شهدائه ، ويتبع يقتفي خطى قواده وزعمـائه وبذلك ليس الاستاذ خفاجي في هذا الكتاب مؤرخاً يسرد ويدال ، ولكنه مرب يعلم ويلهم ..

القاهرة — محمد أبو النصر غانم

المشعل الخالد

شعر لأمين شنار – صفحة ٩٦ – مطبعة الشرق بالبيرة
رام الله بالاردن

امين شنار احد شعراء الاردن الشباب ، الذين يعملون جادين في سبيل رفع مستوى الحركة الادبية في هذا البلد ، « والمشعل الخالد » هو باكورة انتاجه ، والديوان بسيط ، ولكن دفتيه تنطويان على نفس غنية وقلب كبير ، وروح كانت حائرة ، وقد وجدت سبيلها للاطمئنان .

ضم الديوان إحدى وعشرين قصيدة ينتقل قارئها بين ١ – حدة الشعور وعذوبته ٢ – فتور الحيرة وجمود الالفاظ ٣ – هو كافر بالواقع في غير ثورة ولا عنف ٤ – هو مؤمن بالماضي الذي يجب ، في اعتقـاده ، ان يكون المستقبل صورة صادقة له .

إمـا في حدة الشعور ومرارته فتتمثل في قصيدته (لقاء على درب) حيث يقول :

في طريق الكفاح كان لقانا — عندمـا لاح فجره ودعانا

إلى ان يقول :

يا لها ساعة على العمر عزت — تعدل العمر كله والزمانا
هي ميلادنا الجديد ... وفيها — ضمنا الدرب والتقت وجهتانا
مهدنا نسجه الازاهير بيضاً — ودمانا الاطيار حمراً حسانا
وردنا منهل الهدى قد رضعنا — منه اشراقة . لمرت في دمانا

الى ان يقول ..

أنا يا اخت قد عرفت طريقي وتقحمتهـا وان أتوانى ..
أنا في امتي انتفاضة عز وإباء تفجـرت بركانا

وهو في قصيدته (العام الجديد) انسان يستشرف المستقبل ، ويود لو يكشف عمـا يخبيء الغيب ، وما يلتف في ظلمات المجهول . وهو بهذا مستبشر ضارع ، اسمعه وهو يتحدث الى الضياء :

يا ضياء الامل العذب النضير
اسكب الفرحة في القلب الكبير ..
في عيون جمدت فيها الدموع
في الربى السود وفي ضيم الربوع

وللنكبة الفلسطينية نصيب من قريحة شاعرنا . فقد اخذت تجامع لبه . وأيار هو الشهر المشؤوم الذي تمت فيه المؤامرة الكبرى عـلى تسليم فلسطين وهـا هو شاعرنا يهتف على لسان طفل لاجيء في قصيدته « حديث ايار » :

« امي الحنون
ماذا تراه يثير ايارُ
في اللاجئين فان اتى ثاروا
في وجهه وكأنه العارُ
من اين نحنُ وهل لنا دارُ
كانت — لنا — وربى وازهارُ »

ويتمثل الفتور ، والتقهقر ، وكأنما نفس الشاعر لم تستطع ان تتحمل الكفاح وتلقي على عاتقها مسؤولية شق الطريق للحياة الافضل ، ونقب جدار الليل علّه يتفتق عن صبح زاه زاهر ، تستحم في شمسه النفوس . وتخلع عنها رداء الامس الخليق المنسوج من خيوط المهانة والذلة والاستكانة . ففي قصيدته : « ثلج ونار »

رب رحماك قد عصاك عبيدك
ها هم في الختام تحت الجليد ...
في هوان النوى وذل القيود
وتعاموا ولم يرعهم وعيدك
فاهدهم وليفض على الارض جودك

ومن قصيدته « ميلاد شاعر » :

خيّم الشر على الارض وساد
وتهادى في دياجيها الفساد
فاهدها اللهم منهاج الرشاد

وفي قصيدته «صور من العيد» لنسمعه وهو مستكين خائر :

رباه ليس لنا رجاء
إلاك أنت أيا قدير
فأنر سبيل العاملينـا
لرضاك ، واهد الحائرينا
يا رب أنت ولينا أنت النصير
فانصر جنودك وارعهم يوم الفداء

اما جمود الالفاظ حتى لكأنها قد شاخت وهرمت ، ولم تعد تصلح للعصر الذي نعيش فيه عصر الاقمار الصناعية . فيبدو في قصيدته — اسراء — التي يحكي فيها رواية الاسراء نظماً جافاً وكأني به يكتب الشعر ليكون نثرة او بياناً . فهو لم يراع الناحية الجمالية للشعر ، فهي يشرح مبدأ وينشر عقيدة بصورة نظم . وكأن الاستاذ امين شنار اراد ان يتبع طريقة الزهاوي في نظمه العلوم الحديثة شعراً . ويتمثل هذا في قصيدة « إشراقة الايمان » ففيها عجز عن ان يمزج الفكرة بالشعر مزجاً فنياً متكاملاً متفاعلاً كما عجز عن ان يجمع بينها . والى القاريء هذه الابيات من القصيدة عن الانسان الحديث :

قاده تفكيره السطحي والعلمي في عنف الى سود المصاير
قرر الفكر له شر سـلوك وسلوك المرء حسب الفكر دائر

اما المستقبل الذي يتطلع اليه ويرجوه دائماً ان يكون صورة صادقة عن الماضي فتتمثل في قصائده ، اسراء ، وذكرى الهجرة ، وفجر ورمال . وقصائد اخرى يعرضها لنا في قالب قصصي منظوم . فمن قصيدته — ذكرى الهجرة — :

أيا رب قد سرنا فبارك مسيرنا لإحياء ماض زانه العز زاهر
أيا رب قد صحت ارادة ثلة مجاهـدة من مؤمنين مغاور

والحديث عن الديوان تفصيلاً يطول . ولكني اكتفي بهذا القدر من الملاحظات معترفا اني اغلقت قسماً لا بأس به من القصائد . وقد حاول الشاعر ان يكتب قصيدة تمثيلية وقد نجح او كاد . والسر في ذلك هو ان التمثيلية يستوعب تسعة اعشار ادوارهـا شخص واحد . واني اذ اعتذر لصديقي الشاعر ان كنت قسوت عليه ، أتمنى له مزيـداً من التقـدم والاستمرار .

الاردن — رام الله

توفيق صرداوي



ظهر حديثاً

● من تاريخنا المعاصر – مقالات في الادب – تأليف محمد عبد المنعم خفاجي – ٤٠٨ صفحات – حجم كبير – منشورات رابطة الادب الحديث – دار العهد الجديد للطباعة [?]

● بول ايلوار . مغني الحب والحرية – تأليف كلود روا – ترجمة عبد الوهاب البياتي واحمد مرسي – ٧٦ صفحة – منشورات مكتبة المعارف في بيروت – [لم يذكر اسم المطبعة]

● ايام حياتك – مسرحية في ثلاثة فصول – تأليف وليم ساروبان ترجمة وتقديم الدكتور عبد القادر القط – ١٢٨ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة الانجلو المصرية مطبعة مصر – [?]

● الفتـــاة خارج القضبان – للشاعرة البلغارية اليزابيت باغريانا – ترجم الشعر الى الفرنسية الكاتب البلغاري نيقولاي دونتشيف – ترجمة محمد كامل صالح – مع مقدمة بقلم شوقي بغدادي – ١٤٤ صفحة – مطبعة الجمهورية بدمشق .

● رؤياي – الطبعة الثانية – تأليف عارف العارف – ١٣٠ صفحة – دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● نداء التاريخ – فصول تمثيلية للمسرح المدرسي مستقاة من التاريخ العربي – تأليف جميل الجبوري – ٧٢ صفحة – حجم كبير – مطبعة دار السلام ببغداد .

● رياح آسيا – ملحمة شعرية لبابلو نيرودا – ترجمة ميشال سليمان – قدم لها عبد الوهاب البياتي – ٩٦ صفحة – منشورات مكتبة المعارف في بيروت [لم يذكر اسم المطبعة]

● السفر الى الكواكب – تأليف جوناثان لورتون ليونارد – ترجمة اسماعيل حقي – تقديم وتصدير الدكتور احمد زكي – ٢٨٠ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● الجامعة الاميركية والمعركة في سبيل الوجدان العربي – بقلم الدكتور نبيه امين فارس – ١٤ صفحة – حجم كبير – طبعة خاصة عن مجلة الابحاث التي تصدرها الجامعة الاميركية ببيروت .

● أنا أحيا – رواية – تأليف ليلى بعلبكي – ٣٢٨ صفحة – حجم كبير – منشورات وطبع دار مجلة شعر ببيروت .

● صور من الفكر العربي وتاريخ الاسلام – تأليف محمد عبد المنعم خفاجي – ١٩٦ صفحة – حجم كبير – منشورات رابطة الادب الحديث – دار العهد الجديد للطباعة [?]

● على صعيد الكفاح – تأليف عبد الرزاق الهاشمي – ٣٢٠ صفحة – حجم صغير – مطبعة النجاح بغداد .

● قصة غرامين وقصص اخرى – تأليف جان سالة – ٩٨ صفحة – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● رسوم الاطفال – تأليف جوليت بوتونيه – ترجمة خالد قوطرش – وعبد الرحمن حمور ومحمود جلال – ١١٦ صفحة – حجم كبير – مزين بالرسوم – عدد خاص من مجلة المعلم العربي التي تصدرها وزارة التربية والتعليم بدمشق – مطبعة الجمهورية السورية دمشق .

● المشكلات الانفعالية للمرض – تأليف ايرين جوسلين – ترجمة الدكتور السيد محمد خيري المدرس بكلية الاداب بجامعة عين شمس – مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم – ١٠٢ صفحة – الكتاب رقم ٤٢ من سلسلة دراسات سيكولوجية – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة النهضـــة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر [?] .

● انسان الجزائر – شعر لعلي الحلي – ٧٢ صفحة – حجم صغير – لوحة الغلاف بريشة ستـــار الدوري – منشورات دار الفكر الجديد ببغداد – مطبعة المعارف ببغداد .

● الشارة القرمزية – قصة – تأليف ناثانييل هوثورن – ترجمة جـــاذبية صدقي – ٣٥٢ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة الانجلو المصرية [?] – [لم يذكر اسم المطبعة]

● زكي مبارك بين رياض الادب والفن – عرض ونقد وتحليل – تأليف فاضل خلف – تقديم احمد ابو بكر ابراهيم مفتش اللغة العربية بالكويت – ١٨٨ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة الآداب بالجماميز [?] – المطبعة النموذجية [?] .

● نداء البعيد – مجموعة شعرية – لجورج غانم من « الثريا » – ١٢٨ صفحة – لوحـــة الغلاف بريشة قيصر الجميل – منشورات حلقة الثريا ببيروت – دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● فليعم الرخاء – تأليف روبرت بريتي – ترجمة حسين كامل سليم – تصدير حسن جلال العروسي – ٣٤٠ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر [?]

● الشوق واللقـــاء – مجموعة قصص – تأليف فاضل السباعي من رابطة الاصدقاء – اللوحات بريشة جورج مصور – الخطوط بقلم ابراهيم الرفاعي – ١٤٠ صفحة – منشورات الاصدقاء – مطبعة الشرق بحلب .

● ذكرى السكاكيني – مجموعة المراثي التي قيلت في ذكرى الفقيد خليل السكاكيني – تصدير عبد الحميد ياسين وعيسى الناعوري وفايز علي الغول – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – المطبعة العصرية بالقدس .

بدورها لمثل هذه العوامل الهدامة ان تستفيد الى حد بعيد ، من الوسائل والتدابير التي وضعها هذا الفريق من الخبراء الزراعيين كبلدان الشرق الاوسط واميركا الجنوبية .

وتتلخص هذه التدابير المتخذة في حرث الارض حرثاً عميقاً بشكل يكثر معه التلع بدلاً من الحرث الناعم . وكلما خشن وجه التربة وغلظ اشتدت مقاومتها لعمل الاحتكاك الذي يحدثها الريح فيها . فالتلع والاتلام المتراصة هي من العوامل التي تحول دون تآكل التربة .

وقد ظهر من الاختبارات التي اجريت في هذه الناحية ان نفاذ سكة المحراث الى عمق يتراوح بين ٨ – ٩ قراريط يتوقف قبل كل شيء على درجة الرطوبة الموجودة في الارض . الا ان تدبيراً من هذا النوع هو تدبير موقت يركن اليه عند الضرورة . وقد ظهر كذلك ان الاتلام اذا تباعدت المسافة بينها الى ٢٧ قيراطاً زادت في خشونة الارض وخففت عنها مخاطر الاحتكاك والتآكل بنسبة ٧٥ ٪ .

وقد تبين من هذه الدراسة التي قامت على اساس من التعاون بين خبراء وزارة الزراعة وخبراء الارشاد الزراعي في ولاية كنساس ان النجاح موقوف على الادوات المستعملة والسرعة التي تتم فيها عملية الحرث وعلى معدل عمق الاتلام وتفاوت المسافة بين الواحد والآخر .

وقد استطال هذا التعاون حول هذه الاختبارات الزراعية مدة سنتين بين مختلف المهندسين من كلا الطرفين . وقد تمكنوا من تسجيل نتائج مرضية للغاية من حيث تثبيت التربة .

وقد ظهر كذلك ان المزيد من السرعة في الجرارات الزراعية اي فوق ٣،٥ اميال في الساعة ، يزيد من صلابة الارض وخشونة اديمها ويؤول بالتالي الى صيانتها وحفظها . كذلك اتضح ان التلع المتلاصقة والاتلام المتراصة هي اكثر فائدة . وعلى كل فقد ظهر في بعض الحالات الطقسية الخاصة ان الاتلام المتباعدة والتلع المتفرقة هي افيد واجدى في بعض الاحيان .

والنتيجة التي يطلع بها المزارع من هذه الدراسة المقارنة هي الاخذ بمبدأ احداث الاخاديد في الارض والاكثار من التلع للحؤول دون تفتت التربة وتآكلها .

في كلمات...

● اعلن جراح اميركي سبق له ان ابتكر صماماً قلبياً يعمل الآن بنجاح في مئات القلوب البشرية بانه قد وضع تصميماً لقلب كامل من البلاستيك سيجري تجربته قريباً على الحيوانات. وهذا الجراح – واسمه الدكتور تشارلز هوفنيجل بجامعة جورجتاون في وشنطن – يواصل عمله الآن لبلوغ اليوم الذي يصبح فيه بالامكان استبدال قلوب المرضى الذين لا يمكن شفاؤهم جراحياً بهذا القلب الصناعي . ومما يذكر ان صمام البلاستيك الذي ابتكره الدكتور هوفنيجل عام ١٩٥٢ قد ركب حتى الان في ما يزيد عن ٤٠٠ قلب بشري في مستشفى جورجتاون فقط .

● اذاع الدكتور روبرت ولكنز احد اطباء مستشفى بوسطن التذكاري خبر اكتشاف عقار جديد يسمى « كلوريتيازيد » يستطيع ان يكشف عن اسباب ضغط الدم المرتفع الذي يتعرض له بعضهم دون غيرهم من الناس . وقد جرب العقار الجديد بنجاح تام على ٥١ مريضاً مصابين بضغط الدم العالي وممرضين له بعد ان كان هؤلاء المرضى عولجوا من قبل بالادوية التي تساعد على هبوط ضغط الدم . والعقار الجديد يسبب مثل هذا الهبوط سواء استعمل لوحده او داخلا في تركيب العقاقير الموصوفة لهبوط الضغط . والصفة التي يتميز بها هذا العقار الجديد بانه يسبب هبوط الضغط في الاشخاص الذين لا يتسبب ضغطهم عن مرض عضوي .

● نجح ثلاثة من علماء الطب في نيومكسيكو في علاج حالات الدوسنتاريا الاميبية العتيدة ، الشائعة في المناطق الدافئة في آسيا وافريقيا بمركب جديد يجمع بين نوعين من العقاقير المضادة للجراثيم هما «تتراسيكلين» و «نيستاتين» وقد اطلق على هذا المركب اسم « ميستكلين » وتتراوح فترة العلاج بهذا العقار بين ستة ايام واربعة اسابيع يشفى بعدها المريض شفاء تاماً .

● صرح الدكتور شيشيستر بجامعة ايلينوس الجنوبية ، بان التجارب التي اجراها دلت على ان التعرض للاشعاعات الذرية يقضي على مناعة الانسان ضد الامراض المعدية .

● اذاع راديو موسكو ان العلماء السوفيات صنعوا قلباً ورئة صناعيتين ، امكن استخدامها في العمليات الجراحية الخاصة بامراض القلب . وان معهد الاجهزة والآلات الجراحية صنع نماذج جديدة لاجهزة يمكن ان تستخدم في رتق الاوعية الدموية والاعصاب والامعاء ، ويجري العمل الان لصنع كلية صناعية .

● صرح طبيب امضى نحو ستين عاماً في دراسة سرطان الرئة بانجميع الاصابات تقريباً بسرطان الرئة تأتي من تلوث الجو لا من التدخين او مشدات النساء او المزامير . وقال هذا الطبيب وهو البروفسور فريدريت بابيوس انه ثبت بصورة لا تقبل الشك ان مادة « بنزبرين » تسبب السرطان وان هذه المادة موجودة في الدخان الناتج عن احتراق الفحم الحجري الى درجة كبيرة بحيث تسبب ٩٠ ٪ من الاصابات بالسرطان. وقال انالاسباب الاخرى كدخان المازوت والبنزين والسكاير والحرائق على مختلف انواعها تزيد في تلويث الهواء ولكن تأثيرها لا يذكر اذا قيس بتأثير احتراق الفحم .

● يقول الدكتور موهلر الاستاذ بجامعة انديانا بوليس ان اضافة مادة الفلورين الى الاطعمة التي نتناولها يزيد النمو في الجسم ، بدليل وجود هذه المادة في معظم انسجة الجسم والقلب والكليتين.. كما ان الفلورين يقاوم تآكل الاسنان وتلفها ولا يصيب الجسم .

● يؤكد فريق من الجراحين بأن على الاطباء ان يعيدوا النظر في القول القائل بترك عضو جف دمه او نشف . ففي اجتماع حديث عقده الاخصائيون بجراحة العظام الاعضاء في الاكاديمية الطبية في نيويورك ، أكد هذا الفريق ان تطعيم الاوردة الدموية في سيقان الطاعنين بالسن جنب ٧٥ ٪ منهم بتر هذه السيقان . وقد قام هذا الفريق من الاخصائيين بجراحة العظام ، وكلهم يعملون في مستشفى مدينة كليفلاند بدراسة صور خمسين مريضاً من المرضى المصابين بنشوفة شرايين الدم في سيقانهم فاصبحت كأنها مفقودة. وقد لجأ هذا الفريق في آخر الامر الى تطعيم هؤلاء المرضى فكانت النتيجة ان ٣٥ منهم عادوا الى حالتهم الطبيعية الاولى ، بينهم ٣١ لم تعد تبدو عليهم اي اعراض قط. وثلاثة منهم اخذوا بالتحسن في بادىء الامر ثم فقد مفعول الطعم . واضطر واحد منهم لاجراء عملية البتر واصبح اثنان منهم يرجون ومن اصل المرضى الخمسين ١٢ مريضاً لا غير لم يظهر عليهم اي تجاوب للطريقة الجديدة .

● ثبت من التجارب التي اجريت على العقار

الجديد (كومادين) المستخدم لعلاج مرض القلب ضد الجلطات الدموية ، انه نجح ايضاً في شفاء كثيرين من مرض الربو .

● اعلنت مصلحة الصحة العامة الاميركية نبأ اكتشاف طريقة تشخيص جديدة تساعد على مكافحة الموت او الافعاد الناجين عن اصابة القلب بمرض حمى الروماتزم . والطريقة الجديدة هي محاولة اكتشاف تهريب الدم من الصمام الفاصل بين تجويفي القلب الايسرين . وقد اكتشف هذه الطريقة علماء معهد القلب الاميركي وتتلخص هذه الطريقة بحقن هرمون اسمه « نوربينفرين » بمجرى العروق الدموية على التقلص ، بكميات دقيقة فيرتفع ضغط الدم في الجزء الايسر من القلب ، ويصار الى مراقبة هذا الارتفاع وتسجيله . فاذا كان هناك اي تهريب في الصمام يهون اكتشافه جداً اذ يرتفع الضغط في التجويف القلبي اليساري ارتفاعاً كبيراً بالنسبة لضغط الدم في الشرايين .

● وصف الدكتور جون هيلر ، مدير معهد السرطان الوطني ، لقاحاً تم الوصول الى صنعه ، بانه صان ٨٠ بالمئة من الحيوانات التي حقنت به ضد السرطان .

وقال الدكتور هيلر امام لجنة المخصصات البرلمانية ، ان هذه النتيجة تظهر ان تطوير اللقاح لحقن الناس به « اصبح قريباً جداً » . واضاف هيلر ان برامج الابحاث تعد تقدماً عظيماً لم يكن معروفاً في حقل السرطان .

● يؤكد الدكتور التسكول في كلية الطب في جامعة هارفرد ان خلاصة الغدد الصنوبرية المستخرجة من البقر تستعمل اليوم لفائدتها الثابتة في تطبيب المصابين بالامراض العقلية . وقد مضى على الدكتور المذكور ست سنوات وهو يختبر هذه الطريقة العلاجية الجديدة ويتبين نتائجها ومفعولها بعد تنقية الخلاصة الغددية من مادة البروتين . وحقن المريض بهذه الخلاصة يفيده جداً من حيث ايض السكر في الجسم وكيمياء الدم فيشعر المريض بتحسن محسوس . ويرى الدكتور التسكول انه لا يزال بحاجة الى المزيد من التجارب لهذه الخلاصة قبل ان يتمكن نهائياً من التوصية بها والاعتماد عليها .

ويتضح ان خلاصة الغدد الصنوبرية في ١٥ رأس بقر تكفي لعلاج يوم واحد .

● اكتشف الدكتور جيمس جريس ان الانسجة المصابة بالسرطان تحتوي على مادة غريبة لا توجد في خلايا الانسجة العادية .. يمكن بعد معرفة خصائص هذه المادة اكتشاف دواء للقضاء على السرطان دون ان يؤثر في الانسجة الاخرى السليمة .

● ذكرت مجلة فورشين الاميركية انه قد اكتشف عقار يؤخذ بالفم في شكل اقراص لمنع الحمل وقد دلت النتائج التي اجريت على ٢٥٠ سيدة في مدينة بورتريكو على نجاح هذا العقار الجديد من هرمون تتعاطاه المرأة في اقراص لمدة ٢٠ يوماً من كل شهر . وتضيف المجلة انه يجب اجراء التجارب على ٥٠٠ سيدة لمدة ٥ سنوات لتصبح نتائج هذا العقار نهائية .

● تمكن العلماء الاميركيون من عزل نوعين جديدين من الفيروسات التي يعتقد بانها المسؤولة عن عدد كبير من امراض جهاز التنفس التي تصيب الاطفال . وقد يؤدي هذا الاكتشاف الى اكتشاف لقاح يحمي منهما . وهذان الفيروسان يشبهان الانفلونزا ولكنهما مستقلان عنها .

● اكتشف البروفسور كارل بول لنيك بجامعة ويسكونسين الاميركية عقاراً جديداً لمنع الجلطة الدموية . وقد اطلق على هذا العقار اسم (ديكومارين) وهو يستخرج من البرسين المعطن كما استخرج من نفس النبات عقار آخر اطلق عليه اسم « وارفارين » ذو فائدة مزدوجة اذ يستخدم كسم للفيران التي تعبث بالمحصولات الزراعية ، كما انه افضل عقار لمنع تجلط الدم ، ويمكن تناوله اما بطريق الفم او الحقن .

● يؤكد الدكتور تيودور دافيد من اطباء مدينة فيلادلفيا ان بالامكان بعد اليوم معالجة جرحى الحرائق بالايونات بالكهرباء اذ ثبت بالاختبار انها اجدى وانفع من المخدرات التي كانت تستعمل من قبل للتلطيف . وبعد ان قضى الدكتور تيودور دافيد سنتين متواليتين في معالجة ٧٥ مريضاً بالايون المشحون سلبياً اخذ يؤكد اليوم ان استعمال الايون مرتين لمدة ٢٠ دقيقة الواحدة يغني تماماً عن الحاجة الى المخدرات . والهواء المؤين سلبياً هو الهواء الذي شحنت ذراته بكهرباء سالبة بواسطة مولد كهربائي ساكن . والطريقة الجديدة هي التي يعتمد عليها الآن في معالجة جروح الحرائق . الا ان هذا العلاج لا يفيد البتة في الحرائق المدية عن عمل المركبات الكيماوية .

● صرح الدكتور جون ماكايكل ، اخصائي القلب ، بانه ليس ثمة علاقة بين اكل الدهنيات وامراض القلب ولا صحة للاعتقاد بان الاكثار من المأكولات الدسمة يسبب امراض القلب . وقال ان بعض الشعوب الافريقية وغيرها التي تعيش على الخضروات تصاب ايضاً بامراض القلب .

● يقول الدكتور فردريك ستار احد اساتذة الطب في جامعة هارفرد بان حامض الاريثيدون المستخلص من السردين قد يساعد في تجنب امراض القلب والنزيف الدماغي . فهذا الحامض يساعد في منع تجمعات مادة الكوليستيرول الدهنية داخل الاقنية الدموية . وهذه التجمعات هي المسؤولة المباشرة في الكثير من الحالات عن النوبات القلبية الناتجة عن انسداد مجرى الدم انسداداً كاملاً او عن تخفيض كمية الدم الدائرة في الاقنية التي تغذي عضلة القلب ذاتها .

● دلت الدراسات الطبية التي اجريت اخيراً على مائة من المرضى الذين تقل اعمارهم عن الاربعين عقب اصابتهم بنوبات قلبية مفاجئة ، على ان نسبة مرتفعة جداً منهم كانت ترهق نفسها بالعمل الى حد كبير ، اذ كان فريق منهم يجمع بين يديه عملين او اكثر بينما يعمل الفريق الآخر

اكثر من ٦٠ ساعة في الاسبوع في عمل واحد. ويقول الدكتور هنري روسيك الذي قام بهذه الدراسة ، ان جميع المرضى الذين درس حالتهم كانوا بلا استثناء رجالاً ، يقومون بأداء اعمال اكثر مما يستطيعون أداءه فعلاً. وعلى عكس الرأي القائل ان امراض القلب قد تكون راجعة الى حياة الترهل والاسترخاء والامتناع عن القيام بتمرينات رياضية بصفة منتظمة ، يقول الدكتور روسيك انه وجد ان اكثر هؤلاء المرضى كانوا ممن يزاولون الالعاب الرياضية بانتظام . ويؤكد الطبيب ان الضغط والاجهاد والارهاق ذات أثر أبعد كثيراً من الوراثة او التدخين او الاكل في الاصابة بامراض القلب .

• في ماديسون بولاية وسكنسن توصل العلماء الى تطوير مادة كيماوية توقف نمو الخلايا السرطانية ووصفوا هذا الاكتشاف بانه تقدم رئيسي في البحث المستمر عن مادة باستطاعتها قتل الخلايا السرطانية . اما الدواء الجديد واسمه «فايف فليورو راسل» فهو يجعل مادة الفلورين تلتحم باحدى المواد التي يفرزها جسم الانسان والتي تنمو بواسطتها خلايا السرطان . ويؤدي هذا الالتحام الى مركب كيماوي عضوي يوقف نمو السرطان .

• قال عالمان اميركيان انه لم يكتشف بعد دواء يقضي على اثر الاشعاعات الذرية. فقد صرح الدكتور اتوود من خبراء الطاقة الذرية في مختبر اوك ريدج قائلا : اني لا اعتقد ان المركب الذي قالت الانباء ان بعض العلماء قد اكتشفوه سيكون ذا فائدة بالنسبة الى الانسان . وقال الدكتور يشوع ليدربرغ استاذ علم التناسل في جامعة وسكنسن انه لا يوجد دواء لمقاومة الاشعاع في الوقت الحاضر .

• نشرت صحيفة « برلنغسكي » الدانمركية ان روسيا قد اوقفت تجاربها النووية بسبب كارثة وقعت اثناء التجارب الاخيرة في الشهر الماضي . ومعروف ان روسيا قد اعلنت في ٣١ مارس الماضي قرارها بوقف التجارب النووية وقالت ان ذلك لخدمة السلام العالمي . وقالت الصحيفة انها حصلت على معلوماتها هذه من مصادر دبلوماسية واسعة الاطلاع في موسكو . ولكنها لم توضح طبيعة « الكارثة » بل اكتفت بالقول ان الكارثة هذه قد اسفرت عن اشعاع ذري قريب جداً من الخطر . وان هذه الكارثة كانت السبب الحقيقي والوحيد لاعلان روسيا قرار وقف التجارب النووية في الشهر الماضي . ذلك لانها لم تستطع ان تجازف باية تجربة اخرى الى ان تنجلي لديها اسباب الكارثة النووية . وقالت الصحيفة ان سبب الكارثة خطأ في تقدير الظروف الجوية . ومعروف ان الحكومة السويدية قد اشتكت في المدة الاخيرة من تزايد الاشعاع الذري في فضائها بصورة لم يسبق لها مثيل .

• اعلن عالمان يابانيان ان تحليل المطر الذي سقط فوق اليابان يدل على ان الاتحاد السوفياتي قام مؤخراً بتفجير سلاح نووي مثلث المراحل نتج عنه كميات كبيرة من التساقط الذري المشع الضار جداً . اما العالمان المذكوران فهما الاستاذان نوبوفوزا سايتو ويونوسوكي يوكوياما التابعان لجامعة طوكيو . وظهر من تحليلها وجود كميات كبيرة من معدن اليورانيوم لاول مرة في المطر اما الانفجار المثلث فهو عبارة عن انشطار فالتحام فانشطار وهو يستخدم معدن اليورانيوم ٣٨ .

• اعلنت سلطة الطاقة الذرية ان الغبار الذري فوق بريطانيا ازداد كثيراً خلال مدة قصيرة في الشهر الماضي . ويعتقد بان سبب ذلك يعود الى التجارب الذرية الاخيرة التي اجراها الاتحاد السوفياتي .

• اعلن المستر هيوبرت همفري عضو مجلس الشيوخ الاميركي ان محطات مراقبة الاهتزازات الارضية الاميركية قد سجلت حدوث انفجار شديد خارق الطبيعة في الاراضي الروسية وذلك في ٢٥ مارس الماضي . اي قبل ستة ايام من اعلان روسيا وقفها للتجارب النووية امام مجلس السوفيات الاعلى . وقال عضو مجلس الشيوخ همفري ان محطة التسجيل في نيفادا قد التقطت هذا الانفجار على بعد ٥٦٥٠ ميلا من مكان حدوثه وان روسيا لم تعلن نبأ الانفجار. وجاء في برقيات من ولاية مونتانا الاميركية والسويد والهند ان محطات التسجيل فيها قد التقطت نفس الانفجار في ٢٥ مارس وان المنطقة التي يرجح حدوث الانفجار فيها لم تقع فيها هزة ارضية واحدة منذ ٤٠ سنة مما يرجح ان يكون الانفجار نتيجة حادث ما. ولم يوضح عضو مجلس الشيوخ همفري اذا كان الانفجار نوويا .

ولكنه اكد ان المعلومات المتوفرة تثبت ان الانفجار حصل في روسيا في شمالي الاورال خارج منطقة المناجم المعروفة باسم بوكروفسكي اورالسا. والجدير بالذكر ان الحكومة الروسية اصدرت قراراً باغلاق المناطق الجنوبية امام الاجانب من دبلوماسيين وصحفيين .

● اعلن نهرو ، رئيس وزراء الهند في البرلمان ان الهند ستصبح في عام ١٩٦٠ احدى كبريات الدول المنتجة للنظائر المشعة في العالم ، وقال انه يوجد بالهند ستماية من علماء الذرة وسوف ينضم اليهم في العام القادم ٣٠٠ عالم آخر . واضاف ان اول ما تحرص عليه الهند هو استخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية .

● لقي الدكتور مارك ميلز وهو من اكبر علماء الذرة الامير كيين حتفه في حادث تحطم احدى طائرات الهليكوبتر فوق منطقة التجارب الذرية في المحيط الهادي .

● اعلن الرئيس ايزنهاور استعداد الولايات المتحدة للنظر باممان في امر وقف التجارب النووية اذا اثبتت تجارب شهر يوليو القادم انه بالامكان صنع قنبلة نظيفة اي اخف اشعاعاً ذرياً من غيرها من القنابل النووية . وقال ان وقف التجارب لن يتم الا بعد ان تتوصل الولايات المتحدة الى معرفة ما تريد معرفته من سلسلة التجارب المقررة في المحيط الهادي . وقال اذا نتجت عن سلسلة التجارب هذه معلومات كافية فانه عندئذ يعلن موقف الولايات المتحدة وسيكون هذا الموقف مستقلاً بها ولا علاقة له باي اتفاق دولي .

● قال السناتور الكسندر ويلي ان اجراء انفجارات ذرية تحت ثلوج القطب الجنوبي قد يكشف عن مصادر غنية بالمعادن .

● ذكرت وكالة تاس السوفياتية ان صاروخاً جغرافياً طبيعياً اطلق من مكان ما في القسم الاوروبي من الاتحاد السوفياتي ارتفع الى مسافة ٤٧٣ كيلومتراً في الفضاء. وقالت ان الصاروخ اطلق في ٢١ فبراير الماضي استناداً الى بيان اصدرته اللجنة السوفياتية للسنة الجغرافية الطبيعية. واضافت تقول انه صاروخ ذو مرحلة واحدة وزن ١،٥٢٠ كيلوغراماً ولم يلبث ان عاد الى الارض في مكان اعد من قبل . واستطردت تاس تقول ان الصاروخ مزود باجهزة خاصة تمنعه من الدوران حول محوره وقد عاد حاملاً معه اول معلومات عن توزيع الالكترونات في الفضاء على ارتفاع ٤٧٣ كيلومتراً ومعلومات عن الضغط الجوي على ارتفاع ٢٦٠ كيلو متراً .

● اطلقت الولايات المتحدة جرماً اصطناعياً ثالثاً على صاروخها جوبيتر الثالث التابع للجيش في ٢٦ الشهر الماضي . ويبلغ طول الجرم الاصطناعي الجديد الاسطواني الشكل مترين ونصفاً . ومعروف ان صاروخ جوبيتر هو الذي وضع تصميمه العالم الالماني الاصل فون براون . ويذيع الجرم الاصطناعي الاميركي الثالث على موجة طولها ١٠٨ ميغاسيكل وهي نفس الموجة التي كان يذيع عليها الجرم الاصطناعي الروسي الاول .

● اعلنت المصادر العلمية ان الجرم الروسي الثاني ، قد سقط حول الساعة الثانية من فجر ١٤ الشهر الماضي في المحيط الاطلسي قرب الشاطىء الشرقي للولايات المتحدة حيال جزر الهند الغربية ، بعد ان دار حول الارض ٣٢٠٠ مرة ، وقضى خمسة اشهر ونصفاً في الفضاء . وقد جاء النبأ الاول عن سقوطه من باخرة هولندية في المحيط الاطلسي ، شاهد بحارتها جسماً مشتعلاً في الفضاء يهبط بسرعة ، ويجر وراءه الدخان . حتى ذاب .

● نشرت جريدة محربة للعالم السوفياتي فارفاروف تصريحاً قال فيه ان روسيا ستطلق قريباً جرمها الاصطناعي الثالث كي يدور حول الارض والقمر على السواء وبذلك يكون جرماً مزدوجاً .

ومما قاله العالم ان سرعة الجرم ستكون اكثر من ١١ كيلومتراً في الثانية في حين كانت سرعة الجرمين السابقين ٨ كيلومترات .

● اعلنت البحرية الاميركية انها حلت مشكلة اطلاق القذيفة الصاروخية بولاريس التي تصل الى مدى الف ميل من غواصة تحت الماء .

● اعلن ادغار ديتوبلير مدير خطوط الملاحة الاوروبية الاميركية بانه سيجري التوقيع قريباً على عقود لبناء اربع سفن من عابرات المحيط حمولة الواحدة منها ١٢٠ طن . وعندما تدخل هذه السفن في الخدمة ستكون اكبر سفن تجارية تمخر المحيط الاطلسي .

● تمكنت الجهات المسؤولة في سلاح الطيران الاميركي من صنع آلة تصوير جوية تمكنها اخذ الصور وتدوين المعلومات عنها في نفس الوقت . وتقوم هذه الآلة بتدوين المحلة والسرعة والارتفاع التي اخذت فيها الصورة كما وتدون جميع المعلومات الضرورية الاخرى على الفلم ذاته عند مرور الطائرة فوق المنطقة التي يجري استكشافها .

● استحدثت شركة بريطانية اسلوباً جديداً لانارة الشوارع يمتاز بجعل كل مصباح وتوابعه وحدة قائمة بذاتها بحيث يصلح للتركيب والتركيز في اي مكان من الشارع . وقد نجح هذا الاسلوب نجاحاً تاماً فأقره المجلس البريطاني للتصاميم الصناعية وجرى تطبيقه في اكرا ومدينة الكاب وارماغ وليدز وبلاكبول وكوفنتري ودونكاستر . وقد اطلقت الشركة على هذا الاسلوب اسم « اسلوب الكويت » لانارة الشوارع نظراً لانه طبق للمرة الاولى في الكويت عام ١٩٥٤ .

● افتتحت في ٢٨ فبراير الماضي بموسكو السينما البانوراما (مير) . وهي تختلف عن السينما العادية والسينما ذات الشاشة الواسعة بان المتفرج يخال نفسه مشتركاً في الاحداث الجارية على المسرح . وفي قاعة هذه السينما التي تتسع لـ ١٢٢٦ شخصاً شاشة محدودبة عرضها ٣٠ متراً وعلوها ١٢ متراً . وصنعت الشاشة من الواح بيضاء من مادة بلاستيكية وضعت بشكل عامودي . كما صنعت الجدران والسقف من مواد تمتص الصوت .

● قامت شركة فورد لصنع السيارات بتجربة نموذج طوله حوالي المتر لسيارة بدون عجلات تسير على طبقة رقيقة من الهواء فوق الطريق . ويرفع هذه المركبة عن الارض مجار دقيقة من الهواء المضغوط اما في طوربينات غازية او في محركات نافورية . ويقول مهندسو شركة فورد انه قد يكون بامكان هذه المركبة ان تقطع مسافات طويلة بسرعة مستمرة تصل الى ٣٢٠ كيلومتراً في الساعة وهي سرعة لا يمكن بعد للسيارات العادية تحقيقها ويعتقد العلماء ان محركاً بقوة ٩٠ حصان بخاري يمكنه رفع سيارة وزنها طن واحد وتسيرها بسرعة ١٦٠ كلم في الساعة .

● عرضت هيئة الاذاعة البريطانية جهازاً يطلق عليه اسم « فيرا » وهو جهاز الكتروني للتسجيل يستطيع ان يسجل الصور التلفزيونية والصوت على شريط ممغنط .

● جهزت البحرية الاميركية المنظار الراديو التابع لها في وشنطن بعدسة جديدة اطلق عليها اسم « العين الياقوتية » تمكن من تقريب صورة

الكوكب الزهرة عشر مرات ، وهو اقرب الكواكب السيارة الى الارض . وقد تشارك في صنع الجهاز كل من مختبر الابحاث البحري وجامعة كولومبيا . وهذا الجهاز يضخم الموجات الكهربائية الدقيقة المتساقطة على الارض من الفضاء الخارجي . وقال الدكتور تشارلز تونز احد اساتذة الفيزياء في جامعة كولومبيا ان هذا الجهاز الجديد المبني حول ياقوتة صناعية يعتبر الخطوة الاولى نحو امكانية زيادة حساسية المناظر الاليكترونية مئة ضعف . وقال ان مدى المناظر الاليكترونية الحالية يصل الى ٢٠٠٠ مليون سنة نور (وسنة النور هي المسافة التي يقطعها النور خلال سنة بسرعة ١٨٦ الف ميل بالثانية الواحدة) . ويبعد كوكب الزهرة عن الارض مسافة ٤١ مليون و ٦٠٠ الف كيلومتر عندما يصل الى اقرب نقطة من الارض في مداره . ويهدف المنظار الجديد الى محاولة معرفة درجة الحرارة على سطح الكوكب وعن طول النهار فيه وعن طبيعة ارضه . وقال الدكتور تونز ان هذا المنظار سيزيد من معلوماتنا عن الاوضاع والاحوال في الكوكب وامكانية وجود الحياة فيه .

● اعلن المعهد التكنولوجي بامريكا ان اكبر محاولة تجري حتى الان لحل غموض الاشعة الكونية ستبدأ في شهر يونيو القادم بواسطة اجهزة الكترونية والات تسجيل متصلة بعضها مع بعض فوق مساحة تمتد ٢٫٥٠٠ فدان في مكسيكو الجديده .

● أظهرت العينات التي التقطت من قاع جنوب شرقي المحيط الهادىء وجود كميات كبيرة من معدن المنغانيز في تلك المنطقة . وقد قامت بهذا الاكتشاف مؤسسة « سكريبز » التابعة لجامعة كاليفورنيا والتي تقوم بدراسات اوقيانوغرافية كقسم من برنامج السنة الجيوفيزية .

● صوّر علماء المحيط السوفياتيون ، الذين يدرسون حفرة كيرماديك شمالي نيوزيلاندا ، قاع المحيط الهادىء على عمق ٩٩٦٠ متراً . وكانت كل سنتيمتر مكعب من الة التصوير تتحمل الف كيلوغرام من الضغط . وقد جرى هذا التصوير النادر من الباخرة السوفياتية العلمية « فيتياز » . وفي كل عملية غطس كانت الالة تلتقط ٢٠ صورة . وقد التقطت بالاجمال ٢٢٠ صورة تظهر الحياة الغامضة في قاع المحيط على مسافة كبيرة من فلاديفو ستوك الى جزر زيلندا الجديدة .

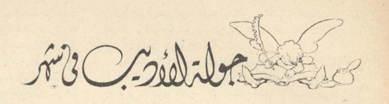
● قالت جريدة نيويورك تايمس ان علماء الاثار الدانمركيين في البحرين قد عثروا على هيكل عظمي موجود في تابوت يعتقد انه دفن تحت الارض منذ ٢٦٠٠ سنة . وقالت الجريدة في رسالة بعث بها اليها سام بوب بروير من المنامه ان هذا الاكتشاف قد يؤدي الى معرفة تاريخ الجزيرة منذ ٥٠٠٠ سنة . ويترأس البعثة البروفسور غلوب ويديرها بول كيروم . وقيل ان الادلة قد قامت على ان الجزيرة كانت مركزاً هاماً للتجارة التي تربط بين الحضارة السامرية في بلاد ما بين النهرين وحضارة وادي اندوس في الهند . وقد عثرت البعثة الدانمركية على كثير من الاواني الفخارية والبرونزية والادوات التي لها قيمة علمية تاريخية كبيرة .

● اعلنت جريدة الشعب الصينية انه تم العثور على بقايا حيوان ضخم كان يعيش قبل نحو ٥٠٠٠٠٠٠ سنة . وقالت الجريدة ان بقايا هذا الحيوان الذي وجد في مقاطعة انهواي حيث يصب نهر هواي في بحيرة هنتفس كانت بحالة جيدة وخصوصاً النابين وبعض اسنانه .

● كشف علماء الآثار في ارمينيا وهم يجرون اعمال الحفر في المناطق الجافة من بحيرة سيفان ، عن ثلاث عربات تشبه الخيمة في شكلها وهي ترجع في تاريخها الى ٣٠٠٠ سنة . وقد اكتشفت هذه العربات داخل مقابر جدرانها واسقفتها من الصخر . وتبين من الكتابات التي وجدت منقوشة على هذه الاثار ، ان قبائل من ولاية «اوريتا» هي التي كانت تسكن هذه المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد .

● قرر سلاح البحرية الاميركية ارسال منطادين في الخريف المقبل يحمل كل منهما آلة تصوير قطر عدستها ٤١ سنتيمتراً الى علو ٢٤ الف متر لاخذ صور واضحة للقمر . وتمكن ربط آلة تلفزيون لاقطة بهذه العدسة لارسال الصور الى الارض . وهذا المشروع هو قسم من مساهمة الولايات المتحدة في برامج السنة الجيوفيزية وتعود الصعوبة الكبرى في التقاط صور واضحة للقمر الى عجز آلات التصوير الارضية عن اختراق « الضباب » الجوي المحيط بالارض . وقال الرير ادميرال راوسون بينيت رئيس قسم الابحاث في البحرية الاميركية ان البحرية تجري مشاريع علمية اخرى منها ابحاث في طبقات الجو العليا بواسطة صواريخ لدراسة الايونوسفير . وستنطلق البحرية الاميركية اكثر من ٧٠ صاروخاً من قاعدة بورت تشرشل في كندا اثناء السنة الجيوفيزية ، منها ١٧ صاروخاً بامكانها الوصول الى حوالي ٢٠٠ ميل فوق سطح الارض . ومن هذه المشاريع ايضاً برنامج خاص بالدراسات الاوقيانوسية لمعرفة الاراضي القطبية وبالابحاث الخاصة بالكائنات الحية التي تعيش على الاف الامتار تحت سطح مياه المحيط . ومنها ايضاً ابحاث تتعلق بقياس عمق المحيط المتجمد الجنوبي وتحركات قطع الجليد .

● يعتقد بعض العلماء الاميركيون ان كمية الاكسوجين وبخار الماء وثاني اكسيد الكربون الموجودة على سطح المريخ اقل مما ذكرته تقارير علماء الفلك من قبل . وتدل مراقبة سطح المريخ بالتلسكوب على ان الجو هناك مماثل للجو المحيط بالكرة الارضية ولكنه اكثر شفافية .



كلمة المجمع العلمي العراقي في ذكرى عادل زعيتر

بقلم الدكتور مصطفى جواد

الموت ضرب من الهجرة * يسكن الفضائل والبراعات في السموات . وبالموت يتلاشى كل شيء دنياوي سوى الصنيع الحسن والأثر الباقي على الزمن ، واسعد الناس في الدنيا من اذا مات كان كالطائر اجتاز منظراً جميلا او مر على رياض مونقة منذ عهد قريب ، واكرمهم من ترك في المجتمع فراغاً لا يملأه احد غيره . والموت هو الذي يطبع الروسم الحقيقي على سير الرجال ، وان موت الحكيم درس عظيم وفيه موعظة للناس . وان في موت الفاضل تعساً للمعرفة لا ينعشها منه الا حلول فاضل مكانه . والموت والخلود اذ فهما حق الفهم كانا كافيين في توجيه وجود الانسان واعماله في هذه الدنيا . والعاقل الفاضل تستشف له اعماله في الحياة فيرى ما سيفعله الناس عند وفاته من أسف على غيبته ، وتفجع بموته وتعديد لآثاره ووصف لمناقبه ونعت لمآثره ، وان فقيدنا الاديب الكبير العلامة محمد عادل — تغمده الله تعالى برحمته واضفى عليه برد رأفته — كان من اعلام العلم والادب في دنيا العرب . واحفد الناس الى اكتساب الفضائل واسرعهم الى نيل الكمال بجليل الاعمال وأسماهم في نشر العلوم والآداب فلذلك كان حقاً على اولي الفضل والعارفين له ان يمجدوا ذكراه فقد ترك بموته فراغاً في المجتمع العربي والمجال العلمي والميدان الثقافي لا يسده احد . وان ذلك مع دلالته على نبالته فقد ضاعف الفاجعة بفقده وكاد يحيل التعزي والتآسي في مصيبته :

وكيف التعزي عن اخي العلم والنهى ... وفي موته ؛ قطع لسبل الفضائل

ولكننا امرنا بالصبر عند المصائب والاسترجاع عند النوائب والاستدفاع عند البلايا والاستسلام عند المنايا .

ولقد زاول الفقيد فيما زاول من الوان العلم وفنون الثقافة فن الترجمة . والترجمة في نظر العلماء اعسر من التأليف واصعب مرمى فلا يكفي في الناقل ان يتقن اللغة الاجنبية بل يعوزه تمكنه من لغته وتضلعه منها . والمترجم ينبغي له ان يفهم ويتصور ويحس قبل ان يترجم . ولقد ترجم في ايام نهضة العرب الاخيرة عشرات كتب ومئات رسائل فكانت على ثلاثة اضرب :

الاول — نقل من لا يحسنون لغتهم العربية ولا اللغة الاجنبية فجاءت الترجمة مسخاً من الممسوخ وعدواناً على المعارف الانسانية وتطفلا خبيثاً على مأدبة العلوم والفنون .

والضرب الثاني : نقل من يحسنون اللغة الاجنبية ولا يحسنون اللغة العربية فقد جاءت ترجمتهم عرجاء شوهاء اساءوا بها الى العلوم والفنون والآداب العامة والى اللغة العربية خاصة لتهاونهم بها وتشويههم اياها والغريب في امرهم انهم الزموا انفسهم في اللغة الاجنبية ما لم يلزموها اياه في اللغة العربية . فكأن العربية نهب صيح في حجراته ، مقسم بين غزاته او كأنها لغة باد اهلوها فاصبحت يتيمة لا حامي لها ولا معين ولذلك وجدناهم يستفظعون كل غلط من اللغات الاجنبية ويفعلون ما يشاؤن باللغة العربية غمطاً لحقها وغمصاً لكرامتها .

والضرب الثالث : ترجمة من اتقنوا اللغتين وفازوا بالحسنيين ، واكرموا المعارف الانسانية وكرموها واغنوا العربية وعظموها وهم قليل والكرام قليل وقد كان الفقيد رحمه الله في طليعتهم وفرطهم . هذا الى تبحره في علم الحقوق ، ودقائق القانون ، وتوفره على افادة الدارسين عليه وتعليم المختلفين اليه وكان علم الحقوق هو الذي بعثه على ان يعطي الالفاظ حقها ، وحداه على ان يرعى للمعاني صدقها ، والمعارف الانسانية متضامة ومتضامنة، متكاتفة متناصره يؤيد بعضها بعضاً ويفيض بعضها على بعض من نوره وبهائه، ورونقه وروائه . والعلم دوحة وانواعه فروعها .

ولما ذاعت فضائله — رحمه الله — واشتهر علمه وانتشرت تآليفه ، وزكا ادبه وبعد صيته ، واحمدت مساعيه، ودار في فلك المعارف كوكبه، اختاره المجمع العلمي العراقي عضواً يتجمل به ويتحلى باسمه ، وينوه بفضله ، وينبه على جلالة محله من العلم والادب وجهاده في خدمة العربية وافادة العرب وكان ذلك ايضاً تشجيعاً له على مواصلة المساعي العلمية واستدامة الحركة الادبية على قلة الساعين في البلاد العربية ، ونزرة المشجعين وندرة المكافئين وانبتات الرفقاء واعياء الفضلاء في طريق العلم والمعرفة والفنون والآداب .

لست في مقام تعداد الآثار التي تركها الفقيد العلامة الراحل ، ولا في سبيل الاحاطة بسيرته الحافلة بالمآثر فلها من هو اعظم بها مني . وانما اود ان اشير الى لون من الوان علومه وضرب من ضروب ثقافته وهو النقل اي الترجمة فمن الكتب النافعة الممتعة البارعة التي نقلها — رحمة الله عليه ورضوانه — كتاب بسمارك وكتاب نابليون لاميل لودفيك الكاتب المشهور وكتاب الآراء والمعتقدات ، وروح الثورات والثورة الفرنسية وكتاب « روح السياسة » تأليف الدكتور الاجتماعي المؤرخ — كوستاف لوبون «وكتاب حضارة العرب وكتاب حياة الحقائق للمؤلف نفسه. وكتاب العقد الاجتماعي المسمى ايضاً « مبادىء الحقوق السياسية » ، للكاتب الاجتماعي الكبير « جان جاك روسو » وكتاب « اصل التفاوت بين الناس » للكاتب عينه وكتاب « حيدر بامات » الموسوم بمجالي الاسلام وهو دائرة معارف .

وقد جاءت ترجمته واضحة مبينة مطردة ولا ريب في ان اختيار اللجنة الدولية ، المؤلفة لنقل التآليف الانسانية الرائعة اختيارها اياه مما دل دلالة رشيدة على انه كان بارعاً وسيع الباع في العلم والادراك ، مستوعباً لعلم الحقوق والاجتماع والادب . فضلاً عن تضلعه في العربية وافتنانه في التعبير بها عن جملة العلوم والفنون ، ولقد كان — رحمه الله — ينتقي الكلمات العربية انتقاء ليعبر بها عن كلمات فرنسية يعز على غيره الاهتداء الى ما يقابلها في العربية حق المقابلة ، انه كان عدّاً لاخصاب اللغة العربية ولكن هذا العد قد انقطع وبالحري قد قطع لان الموت حال دون مده واطراده وليس لنا في المنون حيلة ولا حول ولا قوة الا بالله القوي العزيز .

ان العربي ليعتز حقاً بالآثار العلمية والآثار الادبية التي تركها فقيدنا المحترم المكرم حياً وميتاً، إنها تشبه الرياض المونقة والمناهل الرائقة وكيف

(*) اقيمت في مدينة نابلس حفلة تأبين كبرى للفقيد الكبير عادل زعيتر في ١٤ مارس الماضي كما سبق ان اشرنا الى ذلك في برقيات الاديب .

لا يعتز بهذا الظفر اللغوي العلمي الادبي في الترجمة السهلة السمحة التي تجتذب القـارىء اجتذاباً وتستهويه استهواء فيلتقي في قراءته الشوق والروعة ويجتمع فيها الطلب والعجب من الافـادة والاجادة احاسن الآثار واجل معقول من المنقول ولكن هيهات حالت المنية دون الامنية ، وبت الاجل اكرم العمل فليس لنا الا استنزال رحمة الله على روحه وذكر فضـائله ومناقبه وهذا اقل الكفاء وانزر الوفاء لمثله من ذوي العبقريات رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ومثواه انه ارحم الراحمين .

بغداد **مصطفى جواد**

نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الثاني

كلمة المهجر في ذكرى عادل زعيتر

بقلم نظير زيتون

العمامة العربية الباذخة البيضاء . تنعى سيدها الخطير . واليراعة الثرّة الصافية الزهراء . تبكي كوثرها النمير . والعروبة المتوثبة الطامحة ببصرها الى العلاء . تندب بدرها المنير . والكتاب المسطور بالطيب والثناء . يشهق جزعاً على البيان الاثير ، والادب النضير . والوطنية الابية النبيلة الشماء . تستقطر الدموع حزناً على اللواء النصير ، والنداء الجهير ، والبأس المرير .

ألا قولوا إذن قضى عادل زعيتر ... وقولوا زمجرت العاصفة الحمقـاء العمياء، فهوت الدوحة الباسقة الهدباء. وسكتت البلاغة عن الهتاف والغناء . وجف المداد فلا اريج ولا بهاء . وانطوى الكتاب المعطار. فوجم الحرف والرواء ، ونشغ العرفان والضياء ...

ويا له من مأتم شامخ باذخ يضرب أجنحة العقبـان ، ويزحم مناكب الشهبان ... انه مأتم من مآتم الفصحى والبيان ، وفجيعة من فجائع العـلم والعرفان . والحلوم والاذهـان . ورزيئة من رزايا النبل والاحسان . والقلب والوجدان . وجرح من جراحات النضال والبنيان . وجنازة من جنائز الغطاريف الاعيان . يواكبها قحطان وسحبان ولقمان . الى جانب المجد الولهان ، والتاريخ الاسوان ...

يا «عادل» الراحل حنانيك . ويا لهف الفصحى عليك . وقد نورت لها الحرف بضياء من عينيك. وسقيتها سحراً . بفيض من راحتيك . وكسوتها دراً . من بحر في اصغريك . وعاطيتها خمراً. بومضات بينات في ناظريك. وسغنتها عطراً . بندى من كفيك . وجلوتها بدراً. بشعاع يرف حواليك. وناديت لها الخلود سفراً . فاستجاب رضياً ، لبيك ...

ويا للبطولة والسخـاء في عزمٍ تقفه على امتك . وعلمٍ تنذره للغتك . فتعاليت بقوميتك . وتساميت بثقافتك وانسانيتك . وكرّمت نفسك وامتك بمروءتك وحميتك ، وعانقت المجد غضيراً ، بزهدك وصوفيتك . فكنت آيةً للعاقلين . وكنتَ مثلاً للعـاملين . وكنت نبراساً للسائرين . وعلماً للفاتحين ...

وما الفتح ان ندكّ الحصون والقلاع . ونقود الجيش الى الكفـاح والقراع . وانما الفتح الاغر الساحر ، تعمير القلوب والعقول والضمائر . وتطهير النفوس من اهواء الصغائر والمعاثر ، وتحرير النزعات من الرواسب الهواجر . فننهل العلم احراراً . ونستقبل النور اطهـاراً . ونعيش للامة ابراراً . وللحق جنوداً وانصاراً .

وما الفتح الا التضحية والمروءات . والبذل والمكرمات . والتسامي الى ارفع البطولات . هذا هو الفتح البنّاء . وهذه هي البطولة الزهراء . وهذه هي الانسانية الشمّاء . التي يتصاغر امامها كل نضار وثراء . وكل مجد وكبرياء ...

ولقد كنت يا « عادل » سيفاً من سيوف هذا الفتح الاغرّ . اذ كنت للوطن العربي ذلك الابن الابر . وللعلم ذلك الينبوع الاثر . وللنبل ذلك البطل الامر . وللتضحية ذلك الثغر الاسر ...

بلى ، وعلمّتنا ايضاً بما حملت من رسالة رفيعة المنال . ان العظـامية الموروثة وهم وضلال . اذا لم تقترن بالعصامية المشبوبة الحلال . ام المضاء والطماح والنضـال . وحاديتنا الى الخير والجمال والكمال . فما نمتَ على عظامية تليدة وقد نشأت في البيت العريق . وافترشت النسب الفتيق . بل توثبت ايضاً للمجد الطريف ، وبنيت كما بنى السادات الغطاريف . وعشت كما شاء لك الخلق الرفيف . والعقـل الحصيف . والقلب التريف . والمجد اللفيف .

ولنا في حياتك يا « عادل » عبرٌ واعظات . وكلماتٌ خالدات . وآياتٌ بليغات . وامثولات ساطعات .

كنت المحامي المنطيق المقوال . فأبيتها الا دفاعاً عن مظلوم بريء طاهر الاذيال . يستنقذون به مجرماً فضفاض السربال . خفـاق النعال . والا عن وطنٍ كريم يتناهبه الانذال. ويفتك به الوغد المختال . والاجنبي المحتال. والعدو اللئيم التصال . الوقح السؤال . والا عن حقٍ عزيز المنال. ضائع بين الاستخفاف والاهمال . يتعاوره الغراب والسرحال . والا عن قضية عادلة استهان بها الظلم المتجرف وصال وجال . فكلت له باوسع مكيال . وكأنه في غشاء من نبال . وجاهدت وجاهدت غير مغترٍ بمـال . وغير طامع في نوال . وغير متراجع عن نضال . وانثنيت اريحياً همـاماً باذخ المآثر والمقال . وكأنك للحق ميزانه المتمال . وللمروءة روضها العسال . وكأنك ضربت لزملائك اروع الامثال .

ورأيناك في معهد الحقوق في القدس استاذاً علاّمة يلقن الطلبة امتع الدروس . يروى بها ظمأً كاسفاً في النفوس . ويشبع نهماً جـارفاً في الرؤوس . وينسج لهم من العلم خير اللبوس . ويطوف عليهم من نهى العبقرية باشهى الكؤوس ، فـاذا هم والفضل لمن صقلهم وصاغهم ، شموس واي شموس . كنت تبني امة وديارا . وما همك ان تجمع لؤلؤا ونضاراً . ومن كان غنياً بخلقه وعلمه . سخر بالمال وغُنمه. فكان على زهادته الزاهدة اغنى الكاسبين ، واكبر الشاكرين ...

مع هذا مـا اهتديت الى نفسك ورسالتك . ولا تلمست طريقك في حيـاتك ولا قنعت بكل وثباتك ، فرحت تجوب عالماً كبيراً بعميق نظراتك ، ورهيف حصافتك وزكانتك ، حتى انشقّ لك الحجاب عن ابعد غاياتك . وكان ، أن دفعك حبك لامتك العربية وللفصحى وللعرفـان ، الى ما هو ابعد من المحاماة ، واوسع من التدريس . فما وقفت مواهبك الثرة الفياضة على بقعة محدودة ، ولا على فئة معدودة ، بل اراد لك الفضل وعلو الهمة ، ان تجتاز الحدود والتخوم والاسوار . وان تطوي الجبال والسهول والقفار . والانهار والبحار . مطلاً على دنيا العرب بانفس كنوز الافكار . وكأنك طلعت عليها بابهى الاقمار . وكحلت عينيها بفتنة الاسحار

(*) كلمة المهجر ، في الحفلة الكبرى المقامة في نابلس، تكريماً لذكرى فقيد العلم والادب عادل زعيتر .

في نوار ، وسقتها اليها عربية النجار . عربية الشعار والدثار . عراء الطلعة هيفاء في اكليل من الغار . نجلاء هدباء كحلاء تفترق بوضاءتها الابصار . وتشيع الجلال والوقار . بحلاها الابكار . فيا ليراعك من يراع مغموس في الشفق المعطار . ويا لخيالك من خيال قزحي تجسد في الحرف الزهار . ويا لقريحتك من قريحة مشبوبة بقبس من طلاسم الاسرار ...

اننا لا نعرف بين عمالقتنا من يضاهيك في مخر البحار والمحيطات والغوص على فرائد اللآلىء المكنونات الغاليات . ولولا نفر من الاقدمين الذين نقلوا الى العربية كنوز اليونان والفرس والهند ، ولولا نفر من رواد النهضة الفكرية الحديثة الذين حملوا الينا بدائع المؤلفات العلمية العصرية، لقلنا انك سيد المترجين الى اللسان المبين . وفارس المتقدمين والمتأخرين ، في البيان الصافي الرزين ، حتى يخيل لنا ان الكتاب عربي اصيل . لا منقول ولا دخيل ، على ما في الترجمات الثقافية الاجنبية من صعوبات ومشقات واصطلاحات ومستحدثات ، وعلى ما تقتضيه الامانة في الترجمات ، من تحقيقات وتدقيقات ، ومن تبصر واناة ومراجعات ومطالعات . وتبحر في العلوم والثقافات ، فضلاً عن تضلع من ام اللغات ، حتى يستوي الاصل والترجمة دقة وبلاغة وبياناً ورحاً . فاذا وضعتهما في ميزان ما رجحت كفة على اخرى ، بلى ولا نغالي ولا نظلم احداً اذا قلنا ان ترجماتك لترجح دائماً بياناً واشراقاً ونفساً ، كما رجحت كفة ابن المقفع في كليلة ودمنة ...

ولكن اين هذا التراث النزير ، من تراثك العظيم الغزير ، واين هذا الجدول الصغير ، من عبابك الفياض النمير . بل اين ترجمة القصة والرواية والادب الهف الخفيف ، من ترجمات التاريخ والفلسفة والحقوق وسائر ابواب العلوم والثقافة وادب التجويد والتظريف . وهذه الترجمات الدقيقة الناصعة التي تشتمل على اروع ما دونه الفكر الغربي الحديث ، وعلى اجل ما اوحت به العبقرية الخلاقة في حقب النهضة والابداع الاروبية ، هذه الترجمات الزاخرة تضيق بها حتى المجامع العلمية في اكثر من جيل ، فما القول وقد توفر عليها عادل زعيتر وحده ، ونهض بها وحده . وتبناها وحده ، وتيسرت له وحده . بفضل ما اوتي من ملكات ادبية وعلمية وايمان سخي عزوم عام . وهكذا تسنى له ان يجترح في هذا المضمار اعجوبة الاعاجيب. وان يفتح هذا الفتح الخصيب الغريب ، فينقل باجادة تقصر عنها كل اجادة اكثر من ثلاثين مؤلفاً فريد الموضوع معنى ، ضخم الحجم مادة ، يحتاج صاحبها الى عتال نمرود العضلات لحملها ونقلها، والى عقد من السنين لمطالعتها واستيعابها ؟

وليست ترجمة الكتب التاريخية والفلسفية والحقوقية والثقافية عملاً ادبياً يسهل تأديته على كل من يحذق لغتين . لا . ليست هذه الترجمات بالامر اليسير ، الا اذا كان المترجم نفسه ملمّاً بالعلوم والفنون التي ينقلها . وهذا يدلنا على ان عادل زعيتر، نديد لأولئك المؤلفين الاعلام العظام. اذ وسع ثقافتهم وآدابهم وتضلع منها ، فلا غرابة في ان يؤديها بامانة واجادة وابانة حتى كأنها الاصل وتلك الفرع، ولا بدع بعد هذا ان تتسع الصدارة لعادل زعيتر وان يجلس في متكأ الشرف الى جانب اقطاب الفكر والعرفان مثل مونتسكيو ، وجان جاك روسو، وغوستاف لوبون ، وفولتير ، وارنست رينان ، واناتول فرانس ، وسيديو ، وبوتول ، واميل درمنغام ، وايسمن ، واميل لودفيغ وسوام .

ولكن هل اجلسته امته العربية التي صبّ في بحرها كل ما تبجس في فكره وفي جنانه وفي روحه من ينابيع الخير والحب والصدق والوفاء والانسانية ، هل انزلته منزلته من الصدارة والجبارة ؟ هل اجلسته امته العربية التي نذر لها كل مواهبه وقواه ، فسكب في لجيج ظلمتها شلالاً متدفقاً بالرواء والنور ، هل اجلسته واحلّته في متكأ الشرف بين الاعلام ، كما يحق له ان يجلس ويحل ، مكللاً بالغار ؟

قد نعذر الامة . ولها عندنا الف عذر . انها لا تزال تعسل وتهوم . انها لم تستكمل بعد عناصر قوتها وتفتحها وتيقظها ولكن ما هو عذر بعض المتدكترين الذين ابى عليهم الحسد وضعف النفسية الا ان يتحاملوا ويتجنوا ويغمزوا من قناته ، وهو المجلي الذي اقذى بغباره عيوناً تتكحل بالعلم والمعرفة ... وما هو عذر نفر من الصحافيين كانوا يكيلون لاسخف الكتب ضروب التقريظ والتهليل ، ويتغاضون عن كتبه الثمينة ? لله من الاجحاف وقلة الانصاف . ويحنا ، كم نقسو على عباقرتنا ونوابغنا واعلامنا ، ويحنا ، كم نزهد في رسل العرفان والنور ، وكم نجحدهم ونعقهم، ويحنا كم نظلم انفسنا ونجور عليها ، اكراماً للغرور . وللدينار الزمور ؟

وعلى ذكر العلامة الفرنسي الخالد غوستاف لوبون مؤلف كتاب حضارة العرب الذي ترجمه عادل زعيتر , اروي هذه الحادثة والاصح هذه الكارثة ، وفيها ما يضحك ويبكي ، وفيها عبرة وذكرى ...

ما عرف العرب في كل العصور مؤرخاً انصفهم وروى حقيقتهم ، كما صنع غوستاف لوبون عندما وضع سفره التاريخي العظيم في تأثيل الحضارة العربياً وتمجيد الفتوحات العربية ، حتى يتهمه من لا يعرف المؤلف النزيه المتحرر انه يتزلف للعرب ويتملقهم ، بعدما صوّر الحضارة العربية بريشه المبدع الفنان . وصاغ للعرب لا تاجاً من العقبان ، مرصعاً بالجواهر الحسان ، بل تاجاً عبقرياً عبهري البيان . منضداً بالفراقد والشهبان . كأن فيه نفساً من جبريل ورضوان ، وريحاً من الجنان . نعم صاغ

غوستاف لوبون للعرب تاجاً عبقرياً ابدياً يزري بتاج كسرى انو شروان. واباطرة الرومان ، وسائر التيجان ، ثم جاء عادل زعيتر ، فالقى على هذا التاج اسمى ما يزخر في الانسان ، من خلجات الجنان ، ومهره بانقى ما يفيض في الوجدان، من حب وحنان . وبعثه للعربية بافصح لسان، واعذب بيـــان . وكان له بدل الفضل فضلان . فهل رددنا لغوستاف لوبون تحيته الهتوف الهتون بمثلها ؟ او هل رمقناه بايماءة تقدير او بسمة شكر او لفتة كريمة ، وهي ازهد ما في اضعف الايمان؟ لا والله ، تنكرنا له وتجاهلناه، فات المؤرخ العظيم وفي قلبه حسرة من عقوق العرب .

واتفق بعدئذ ان اسندت محافظة دمشق الممتـــازة الى الوجيه الكبير الاستاذ نصوح الايوبي (١٩٥١) فاندفع وهو المثقف النبيل الخلق ، الى تكريم مؤرخ العرب غوستاف لوبون ، واطلق اسمه على شارع من شوارع دمشق الكبيرة . اعترافاً بفضله واحياء لذكراه . ثم دارت الايام الغافلة وتولى الزعيم فوزي السلو رئاسة الدولة السورية ، ولم يلبث ان اصدر امراً بتعريب الاسماء والالفاظ الاجنبية التي تعلون بها الحوانيت التجارية ودور الملاهي وسواها — استكمالاً للاستقلال وحفاظاً على العربيـة ! — ولما استعرض اسماء الشوارع في دمشق ، وقع نظره على غوستاف لوبون فما ان اشتم فيه حروفاً اجنبيـــة ، حتى امر بحذفه حالاً ، دعماً للاستقلال وحفاظاً على العروبة ... وهكذا اساء من حيث لا يدري اشنع الاساءة الى من أحسن اعظم الاحسان الى العرب ...

ولا شك ان عادل زعيتر العربي ، مترجم غوستاف لوبون الفرنسي ، كان من هذه الناحية على الاقل ، احسن حظاً من زميله الاجنبي ، فما اساءوا اليه باطلاق اسمه على شارع من شوارع المدن العربية ، حتى اذا عثر بالبلاد الزمن فوقعت السلطة في قبضة حاكم جاهل ، لم يقرأ ولم يتثقف ، امر بنزع اسمه ، بحجة انه غير معروف ...

اعود فاقول ان لنا في حياتك يا عادل العملاق، عبراً واعظات ، وكلمات خالدات ، وآيات بينـات . وامثولات ساطعـات . العبرة الواعظة في هـذا الجحود ، في هـذا العقوق الذي يلقـاه العبقري في دنيـانا ، دنيـا التطبيل والتزمير وحرق البخور والتدجيـل ، دنيا الانتهاز والانتكاص والزحف على اللحى. وما كان ابعدك عنها يا عادل. والعبرة الواعظة في هذا الاستهتار، في هذه اللامبالاة التي نقابل بها اعلامنـا العلماء ، وائمتنا الادباء . وهم من يعلم الجميع، في الطليعة فضلاً ونبلاً وتأثلاً . وهم الذروة عندما تحصى الذرى. وهم المفاخر عندما يشار الى الجواهر. وهم النور عندما نفتقد البدور ، وما كنت يا عادل ، الا الذروة فضلاً ونوراً .

والعبرة الواعظة ايضاً ان يداجي النجـاح اولئك الافذاذ الاساطين . وان يحالف مراراً جماعـــة المتطفلين الواغلين . والمخـــامرين الساخرين الهازلين . والضواطير المكابرين ، الذين بكل واد يهيمون . ولكل صنم يسجدون ، وفي كل موكب يسيرون . عفواً يا عادل . هذا اذا قسنا النجاح بالمظهر اللامع ، لا بالمخبر الجامع . وبالعارض البارق . لا بالجوهر الفائق. وبالخرز النظيم ، لا بالدر اليتيم . وبالومضة الخاطفـــة ، لا بالشعلة القدسية الهاتفة ، وقد كنت والحمد لله ، المخبر والجوهر والشعلة البكر . واعذرهم اذا لم يقدروك ، فهم لم يعرفوك لينصفوك ... امـا اذا كنت لم تتمجمع في المجمع اللغوي العربي ، على اسف من الحق ومن صديقـك الوفي الجريء الاستاذ وديع فلسطين ، فلا تعجب ، ولا تعتب ، اذ كنت (مجمعاً) قائماً برأسه ، مستقلا بنفسه . منيعاً بأسه... وبعد ، فما على الحب المتغدن الريان، اذا جاوزته الدجاجة العوراء ونقدت الزؤان ؟

ولنا في حياتك كلمات خالدات . وآيات بينـات . فمن آياتك المثالية ان الرجل الرجل هو من عرف حقيقة رسالته فأداها . وسار بغايته الى اقصى مداها . وارتفع في اعماله الى مستواها . وان شر ما يفسد الرسالة . ان نتوخى من ورائها الجعالة ، ولو شربنا الثمالة ، وهبطنا الى الحثالة . وقبحاً لرسالة نقيسها بالتجارة والدلالة. لا بالاشراق والاصالة . ومن آياتك الذهبية ان الرجل الرجل هو من عرف نفسه فصانها وما سامها . وصقلها ورعاها، فتألقت وفاح شذاها ، ورددت الحياة رجع صداهـا . وان اجهل الجهل ، ان نتعمد الجهل ، ونستقطره ترياقاً وهو السم في الاصل . وما سخر الدهر بقوم رجعوا الى العقل في القول الفصل .

وان الكبرياء ما كانت قط حلية العظماء ، وانمـــا هي مطية الاغرار السخفاء . ومصيبة الكبرياء هذه الياء . فاقطع الذنب وخذ بالرأس الوضاء . ان كنت من الشهام الالباء . وان نبوة القلم ، شر من زلة القدم. انها شجة تفيض بالدم . جرحها لا يلأم . ولو سكب عليه الف بلسم . وهيهات ان يجدي الندم . بعد خرق الهمم . وان الثوب تنسجه اليدان . اما الانسان فنسيج من الرحمان . فاحرص على الانسان. ولا تحفل ببرد يحوكه التدجيل والبهتان . ومن آياتك الصادقات ، ان الرجل الرجل هو الذي ينظر الى غده . لا الى ما يقع في يده . وان بعض الذهب مهما بص وتألق ، لا بد ان يطأطيء يوماً امام كلمة حق .

ولنا في حياتك ايضاً امثولات ساطعات تهيب بنا الى اقتفاء الخطوات . والتسامي في الغايات . فمن امثولاتك ، انصرافك عن السياسة وتجرباتهـا ومغرياتها، بعدما هبطت الى الردغة فولغ فيها من ولغ وابتذلها من ابتذل، واستدر ضرعها المحموم جوع نغوم ، وخبث رؤوم .

ومنها عفة في انفة . ونبالة في اصالة . ورصانة في فطانة وزكانة . ووفاء في سخاء . ومضاء في لأواء في عطاء. وحمية مستبسلة في دماثة متهللة . وهتاف عذب في لسان عضب في صدر رحب . وسريرة نقية في جهيرة ابية . وصفاء روح في عزم وطموح . ويد معطار . في خطو جبار . وعين تشرئب الى

النجوم ، في كف تلاطم الغيوم، وتحنو على الامل المكلوم . ومنها انصباب عنيد على تأدية الرسالة الثقافية الى ابناء العروبة ، لا يثنيك عنها جهد جاهد، وصبر مجاهد ، وجلد مجالد ، ونساكة عابد وقدر معاند .

ويا لشرف الرسالة ، ويا لمجد الرسالة ، اذ اراد لك القدر ، ان تفيض روحك الطاهرة وتستشهد علياً بين القرطاس والقلم ، وبين البلاغة والكلم . وبين المحراب والعلم ، وان تلفظ انفاسك العبقة سنياً بين الصدّاح والالم . وبين الغلاب والشمم ، وبين المشارف القمم ، فاذا انت نسيكة العرفان . واذا انت ذبيحة الاحسان . واذا انت ضحية الايمان . ترتفع الى الملأ الاعلى على جناح من الاستعزاز والرضوان . وتفوز بالخلود في الجنان . ذلك تقدير العلي العزيز المنان . رب ما يكون وكان .

وحسبك في دنياك يا ابن نابلس البار نابلس منبت الشهامات والبطولات . حسبك يا ابن العروبة الابر انك ما كنت قارون مال ونشب ، بل قارون علم وادب . في دنيا العرب . فكان تراثك وقفاً مشاعاً ، وكان هدياً وشعاعاً . للناس جماعاً .

هذه الكلمة ارادها القدر تشييعاً ورثاء ، وكنت اريدها عياناً ولقاء . اطرحها بين يديك هتافة صداحة نفاحة فياحة ، فأبى الشؤم الا ان تكون آهة نواحة ، ونجوى سياحة . وعزاؤنا وقد عز العزاء ، في اخيك المجاهد العربي الوفي . والاديب المحلق النبي ، والخطيب الالسن الالمعي ، اكرم زعيتر العبق الليق ، فهؤلاء وصل الله حياً بميت ، ليس باخيك فحسب ، بل انه تلميذك وربيبك الطابع على غرارك ، والمتقفي لآثارك ، وآية فخارك . ألا في ذمة العلم والادب والعرب يا عادل . ألا في خفرة الله . وعلى روحك الزكية الف سلام ، يا لألأة الاقلام ...

نزيل حمص نظير زيتون

السينما اليوم هي المسرح الحديث

بين نقاد السينما ضجة ولغط . هنالك فريق يعتقد ان السينما باعتبارها فنا من الفنون الجميلة قد خرجت عن رسالتها وتعثرت عندما اصبحت ناطقة . ومنذ تلك اللحظة اخذ الفن السينمائي يحبو حبواً يتعثر بالحرف والكلمة . فالاوساط الفنية التي ترى في التمثيل هيكلاً قدسياً له جلاله تأبى بعناد ان ترى في السينما وشائج تشدها الى المسرح شداً وثيقاً . فالتمثيل الذي يقوم اصلاً في فيض من الكلام يجد طريقه القويم على المسرح .

وقد رأت السينما ان لا تبقى صامتة فاصبحت الآن قادرة على التكلم بشكل مرض . وقد آن الاوان ، بعد التحسينات العظيمة التي ادخلت على السينما – كاتساع الشاشة والامكانيات العظيمة التي حققتها – لننظر في ما اذا لم تكن اليوم شكلاً من اشكال المسرح بل ومن احسنها على الاطلاق .

والامر قلما يسلم به على هذا الشكل . فقد سئل احد مؤرخي السينما الافلام السينمائية العشرة الاكثر نجاحاً وتوفيقاً التي اخرجتها السينما منذ اختراعها لليوم فكانت الافلام العشرة التي عينها كلها من التي سبقت عهد السينما الناطقة اي تم اخراجها قبل عام ١٩٢٨ . ومن هذه الافلام « اضواء المدينة » و « حجرة الدكتور كاليجاري » و « تنويم » .

ويرى كثيرون ممن يشاهدون الافلام السينمائية ان السينما هي ، اصلا فن يقوم على البصر ، وان عنصر النطق الاساسي فيها هو الحركة . اما الحركة في السينما فتقوم بتبدل الصورة او المشهد او بتتابع مطرد لهذه الصور . وتصبح هذه الصور والمرئيات ذات دلالة اكبر بالتآلف بينها واتقان اتصالها وغير ذلك من الوسائل الفنية .

كانت السينما صامتة . اذ كان يعجزها النطق بعد ان اعجزها السبيل اليه. وصحيح ان فنية السينما الصامتة قد تطورت وانه غالباً ما احسن استخدامها بشكل جميل . ولكن لماذا يجب ان يبقى الصمت لغة السينما الى الابد ؟ اما السبب الذي لاجله طلعت السينما بلغة غير لغة الكلام فمرده للحاجة الشديدة لعوض آخر . اما ان يكون هذا قد ساعد على اغناء السينما فامر لا يختلف فيه اثنان . اما اقصار السينما على الفن الصامت والتمثيل الصامت فامر يشبه محاولة اقصار التمثيل المسرحي على الايماء لا غير .

والنظرية التي تقول بان المسرح شيء والسينما شيء آخر وجدت لها انتشاراً مدة طويلة . وقد عجزت هذه النظرية عن الاخذ بعين الاعتبار التطور المتصل الذي اخذ به فن السينما وانتقاله من الصمت الى استعمال الشاشة الحديثة والكثير من فن المسرح . وقد ذهب احد الخبثاء من النقاد هو جيمس اغات ، الى التعبير عن هذا الوضع بما يلي : ان هاوي المسرح شيء وهاوي السينما شيء آخر تماماً ولن اسمح قط ان تتعدى السينما بافلامها على المسرح بتمثيلياته . فالفارق بين السينما والمسرح هو عنصر المناظر والمشاهد فالمسرح الذي يحدثنا عن الاشياء بدلاً من ان يرينا اياها يستدعي حتماً نتيجة لذلك في هاوي المسرح قدراً من بسطة الخيال وسمته ، بينما السينما التي ترينا كل شيء وتبسط امام عيوننا كل المشاهد لا تحتاج الى مخيلة ولا الى خيال قطعاً .

هذا الكلام الظريف من اغات ، ظاهره صواب وباطنه بطل . فمن المسلم به كحقيقة اولية ان مشاهدة الشيء هي اوقع بكثير في النفس وابعث على التحسس من الحديث عنه والاخذ بوصفه، اذ ان الكلام بدون انقطاع على المسرح كثيراً ما يكون مبعثاً للسأم ومقتلة للخيال . فالحديث ، اي هذا العامل الذي يشوق والذي يقدم العمـــل وينهض به يمكن ان يجري في الافلام السينمائية وفي المسرحيات على السواء . فالافلام تلهب الخيال اذا كان الموضوع الذي تحييه او تقصه مثيراً للخيال .

هوليس البرت

الناقد السينمائي لمجلة ساترداي ريفيو

فنانان افريقيان

كلاهما من اصل افريقي ... ساعدتها اليونسكو على السفر الى الخارج للتأمل والدرس. اما الاول فقد خرج من افريقيا للمرة الاولى في حياته ، بينما زارها الثاني للمرة الاولى ايضاً .

فهـــذا جون بيجرز ، رسام اميركي قضى ستة شهور في غانا ونيجيريا ، وذاك فيلكس ايدبور نحات نيجيري يدرس منذ ثمانية شهور في المملكة المتحدة وبلجيكا وفرنسا .

وايدبور في الثلاثين من عمره ، وبدأ يمارس فن النحت في الثامنة من عمره وفي سن الثانية عشرة كان يكسب قوته من حرفته . لقد عرض اعماله اكثر من مرة في نيجيريا واخيراً اقيم معرض لاعماله في المعهد الامبراطوري بينما كان هو يوالي دراسته الفنية في لندن بفضل منحة قدمتها له اليونسكو . وقد بلغ هذا المعرض نجاحاً كبيراً ، ورحب به النقاد من مختلف البلاد ، واثنوا على فنه اجل الثناء .

واما الفنان بيجرز فيشغل حالياً منصب عميد كلية الفنون الجميلة في جامعة تكساس الجنوبية في هوستون ، بعد ان تولى وظيفة التدريس في كثير من المدارس الاميركية. وقد شغف بيجرز بالفن الافريقي طوال حياته ، بحيث كانت رحلته الى نيجيريا وغانا بمثابة حج كريم وعود الى منابع الوحي في قلبه . وانصت معي اليه يقول :

« عندما زرت افريقيا كنت اتمنى لقاء عامة الشعب هناك والكشف عن اصل ابداعهم الفني ، فقد كنت اعرف اننا اذا لم نعرف شعباً معرفة مباشرة فلن نستطيع ان ندرك فناً من فنونه . نعم، لقد اردت ان احيا مع الناس. وفي هؤلاء لمست هذه القوة التعبيرية التي يتسم بها النحت الافريقي . هـــذا التعبير الحر التلقائي الذي يصحب حركات الناس هناك اذا ساروا او تحدثوا. وكنت في الوقت نفسه اريد دراسة العلاقـــات التي يمكن ان تربط بين الافريقيين والاميركيين من اصل افريقي . كنت اريد مثلا ان اعرف ما اذا كنت اجد هناك هذه الروح المنطلقة للجسد التي نلاحظها لدى الجماعات الصغيرة في جنوب الولايات المتحدة ، واجواء الجماهير والاسواق (حيث يتبادل الناس مع بضائعهم عواطف صداقة وافكار جديدة) . كل هـــذا وقعت عيني عليه في غانا ونيجيريا ... وتملكني شعور قوي عميق بانني اعيش بين اهلي وعشيرتي . وهكذا عرفت ان الفن الافريقي فن حي ، ولم اعد ارى في اعمال الفن مجرد قطع باردة اثرت في اول العصر في بيكاسو وغيره من كبار الفنانين ، بل اجساداً حية جعلها اتصالي باصحابها اليفة الى روحي كل الالفة .

« بل لقد ادركت ان هذا الفن الافريقي الغني هو فن ديني اوحت به عاطفة صوفية عميقة . واثر هذا الادراك في نفسي تأثيراً عميقاً ، فقد جعلني افكر في العلل التي تبرر بها الصور الفنية الافريقية . بل ليحملني ذلك على القول بان الفن التأثيري - لا الفن الواقعي - كفيل وحده بالتعبير عن الروح » .

ويؤكد الفنان النيجيري الاصل ايدبور مشاعر زميله بيجرز ، فهو يقول ان معظم الفنون في افريقيا قد اوحت بها الشعائر السرية القديمة، وكان النحت يمثل ارواح الاجداد . اما الاقنعة فقد صنعت اساساً للاعياد التقليدية كعيد الحصاد مثلا ، بينما كانت بعض التماثيل البرونزية تتسم بالطابع الزخرفي دون غيره . ثم يقول ايدبور: وحتى القرن الماضي ، كان الفنانون يعملون برعاية الموسرين الذين كانوا يقتنون اعمالهم الفنية وينقلونها الى المعابد احياء لذكرى ابطالهم التقليديين . ومن ثم كان الفنانون الافريقيون في عصمة من البطالة ، وعلى الاخص خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر حيث كانوا يتمتعون باحترام الجميع وتقديرهم .

وسئل ايدبور عن تأثير الفن الغربي في الفن الافريقي فقـــال : ان تجربتي قد اقنعتني بجدوى الدراسة في الغرب للفنـــان الافريقي بشرط الا يتأثر بفن الغرب فيفقد اصالته ومصادر وحيه وخصائص ثقافتـــه التقليدية . واضاف يقول : ان المنحة التي قدمتها لي اليونسكو قد هيأت لي ان احقق غايتين – الاولى معرفة الوسائل الفنية الجديدة ، والثانية تعريف الاوربيين بمظاهر الفن الحديث في افريقيا الغربية .

(تتمة المنشور في الصفحة ٧)

الانسانية . هذا فهم تاريخي للقومية . ان الذي لم يكن ، ثم كان ، هو الشعور بالقومية...اي وعي الانسان حقيقة القومية.امامن وجه انها عوامل نفسية ، فقد كانت القومية دائماً وابداً قوام الوجدان في صميمه . كانت منذ ان كان الانسان ، ولن تضمحل الا باضمحلال نوعه . اللطيفة البشرية لا تقبل . من جهة النفس ، غير ارض واحدة... واقتصاد واحد ... وتاريخ واحد ... ولغة واحدة . من اللاممكن ان نصل الى يوم ، لا يتكلم فيه الانسان لغة – ام واحدة، او يتكلم فيه جميع لغات العالم كانها لغته – الام.

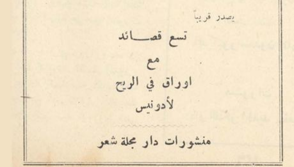
هذا هو منطق النفس . ان يكون هذا المنطق قد اتخذ عدة اشكال ، على مر العصور ، فانه لا ينفي حتمية تلك الاسانيد الوجدانية ، في لطيفتنا التي تظل هي هي . هناك جوهر لا يتغير ، وهو ذاته علة الوجود ، الذي يجب عليه ان يتغير . وقد أخطأ التطوريون ، عندما اخذوا الانسان فقط من الناحية التاريخية ، اعني التطورية ، ولم يأخذوه من الناحية الوجدانية الثابتة نهائياً . هناك اطارات صامدة نعجز عن زحزحتها . تلك الاطارات هي التي تحدد الانسان . هي التي تكوّن النوع البشري . فالتاريخ لا يرينا اطلاقاً ان الانسان ، من وجه انه انسان ، استطاع في يوم من الايام ان يرتبط حقاً باكثر من ارض واحدة ، او اقتصاد واحد ، او تاريخ واحد. او لغة واحدة. لم يرنا التاريخ انساناً تمكن من ان ينتسب الى عائلتين معاً ، او من ان يحب وطنين معاً،او من ان يؤمن بدينين معاً.الانسان ذو عفاف واحد . كل القوة في العفاف الواحد . تلك هي الانسانية الصحيحة . والقومية هي التجسيم التام لتلك الانسانية الصحيحة . ولا شك في ان كلمة الامة مأخوذة من كلمة الام التي هي صورة الامة الحسية . وكما ان الانسان لا يرجع الا الى ام واحدة ، اي الى رحم واحد . هكذا ايضاً من جهة القومية، فانه لا يرجع الا الى امة واحدة .

نقر بان الانسان لم يشعر ، في العصور الماضية ، بحقيقة القومية . تلك الحقيقة لم تنطلق ، في اية مرحلة من مراحل التاريخ ، انطلاقها في المرحلة الراهنة . ولكن هـذا لا يعني ان القومية ليست اصيلة في الطبع البشري وملازمة له . القومية ليست حدثاً تاريخياً فقط . القومية ظاهرة انسانية . هي مماثلة . في جوهرها ، للانسانية عينها . جميع الشعوب تتعادل فيها كما تتعادل في الانسانية . ان تلبسها بمظاهر مختلفة ، عبر التاريخ ، وفقاً للتنظيم السياسي الذي كانت تخضع له ، لا يعني مطلقاً انها مرحلة فقط . اجل ، هي لم تبرز في ضمير الشعوب ، دفعة واحدة في كل مكان ، ولكنها ابعد بكثير من العهد الذي يحدده لها بعض المؤرخين ، كاوائل القرن الثامن عشر مثلاً . لا شك في ان المدارس ، والصحف ، والصراع مع المحتلين ، في زمننا الحاضر . وفعل المبادىء التقدمية... كل هذا ساعد على ايقاظ الشعور بالقومية عندنا. ورفض الخضوع للغير ارضاً ، واقتصاداً ، وتاريخاً ، ولغة . ولكننا نخطىء اذا وقفنا عند هذا الحد . نخطىء اذا حصرنا القومية في زمان معين ومكان معين... اي عندنا في الشرق. القومية ليست شيئاً جديداً في تاريخ الشعوب. انها شرش أصيل ملازم منذ البداية . بدونها ما كان للشعب تاريخ . وبدونها لن يكون للانسانية تاريخ .

نحن لا ننكر ان البشرية تسير بخطوات سريعة نحو مجتمع عالمي . ان المفكرين الباحثين ينادون به ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ليحققوا بذلك السلام بين الشعوب. لقد ادرك كل واحد منا ان المجتمعات لا تستطيع بعد الآن ان تعيش منعزلة. اسباب الاتصال توافرت، وتنوعت ، وتعددت، حتى ربطت اجزاء العالم ربطاً وثيقاً بعضها ببعض ، مما جعل مطلق جزء في العالم يؤثر في الاجزاء الباقية . وجود وباء واحد في رقعة من رقع الارض يهدد الرقع الاخرى ، اذا لم يحصل التعاون في سبيل قمع الداء . ومن هنا الشعور المتزايد ، يوماً بعد يوم ، بضرورة تعزيز هيئة الامم المتحدة التي تمهد لتفاهم مشترك بين الامم في القضايا العالمية. نحن لا ننكر هذا . ولكن اين هذا من القول بان القومية مرحلة ستضمحل ؟ واين التناقض الكائن بين القومية والانسانية ؟ وماذا يمكن ان تكون تلك الانسانية التي لا ترتكز على القومية؟ واين يمكن ان تتحقق اذا لم يكن ثمة قوميات؟ وهل تكونت الحضارة الانسانية الا بفضل الشعور القومي ، عبر التاريخ ؟ الحضارات الاولى (من تاريخ مصر، الى بلاد بابل ، الى الاشوريين، الى الكلدانيين، الى مادي وفارس ، الى العبرانيين ، الى بزوغ المدنية الاوروبية الحديثة الذاهبة من اليونان ، الى الرومان ، الى التاريخ العربي ...الخ) هذه الحضارات التي تفخر بها الانسانية ، هل هي الا حضارات قوميات ؟ وما هي اميركا، وروسيا،والصين،في وقتنا الحاضر؟ هل هي غير امبراطوريات قومية؟

ان الذين ينادون بالانسانية، على حساب القومية ، يجهلون ان الانسانية جوهر عام لا قيمة له اذا لم يتجسد في وجود خاص . لقد ظنوا انهم يستطيعون بذلك ان ينقحوا الانسانية من القومية العنصرية. ونحن لا ننكر ان القومية العنصرية تتنافى مع الانسانية الصحيحة . نحن لا نقول بالقومية العنصرية . قوميتنا هي قومية اشتراكية ، في روحها ، لانها قومية انسانية . القومية العنصرية لا تتفق مع الجوهر الانساني . هي تخريب للانسانية . هي قتل لها وافناء . ولكن هذا لا يعني ان بمقدور الانسانية ان تكون غير قومية . ان تنقيحها من العنصرية لا يمكن ان يحصل الا بفضل شعور قومي صحيح . الانسانية غاية . والغاية هي دائماً بحاجة الى واسطة . الغاية هي واسطة ثانية لغاية اخرى . يعني انه لا فرق اساساً بين الغاية والواسطة الا من حيث التسمية فقط . وهكذا نُري هذا البحث ، وفقاً لما اثبتناه بصدد ابعاد الزمان ، كيف اننا ننحو منحى غائياً في فهم القومية . ان الانسجام الذين نعثر عليه ، بين مظاهر الحياة ، ليس دفعاً من الوراء . بقدر ما هو جذب من الامام. نخطىء اذا قلنا بان القومية هي فقط نتيجة عوامل تاريخية طبيعية . القومية ليست فقط امتداداً من تحت . القومية تجسيد من فوق . هي غاية ذات اصول في الملأ الاعلى ، تتجسم في طبيعة الانسان ، وفق نظام يستند الى الارض ، والاقتصاد، والتاريخ، واللغة . وليس ادل على ذلك من كلمة امة عينها ، التي ترجع الى جذر امّ . وامّ يعني قصد ، وصبا الى ... ومنها الامام الذي يعني الاقتداء بـه ، والخط الممدود على البناء كي يستقيم البيت . ويعني ايضاً الطريق الواضح. هذه المعاني تفيد ان الوجدان القومي ينبثق من الفلك الاعلى الذي تقدر قيم الاشياء بالنسبة اليه . والفلك الاعلى لا يتطور . لا يتغير . انه ثابت الى الابد ، لانه الحقيقة ذاتها .

كمال يوسف الحاج





١٥ – مـارس ١٩٥٨ – احتفلت غزة رسمياً بقيام مجلسها التشريعي على اساس اشتراك الفلسطينيين به ومساهمتهم بادارة شؤون القطاع.

– اقترح الاتحاد السوفياتي عقد معاهدة دولية واسعة النطاق تنص على تدويل الاجواء العليا والغاء القواعد العسكرية القائمة في اراضي الدول الاخرى.

١٦ – تدور المعارك في اندونيسيا بين جيش الحكومة المركزية وجيش الثوار في حقول البترول قرب باكانبارو.

١٧ – اطلقت امريكا قمرها الصناعي الثاني «فانجارد».

– عاد الرئيس عبد الناصر الى القاهرة من الاقليم السوري.

١٩ – اذيع نص دستور الاتحاد العربي وينص على قيام الاتحاد بين العراق والاردن مع بقاء الباب مفتوحاً لانضمام دول عربية اخرى ويحتفظ كل عضو في الاتحاد بشخصيته الدولية وبنظام الحكم القائم فيه.

– قدم السيد عبد الله خليل رئيس وزراء السودان استقالته الى مجلس السيادة.

٢٠ – انتخب المجلس النيابي السوداني الجديد عبد الله خليل رئيساً للوزارة.

– القى الرئيس عبد الناصر خطاباً تاريخياً اعلن فيه انتصار القومية العربية في كل المعارك التي خاضتها حتى بدأت الوحدة العربية تتحقق وقال ان النصر يلقي على كواهل المنتصرين تبعات جساما.

٢١ – طالبت اليمن فرنسا باعادة شحنة الاسلحة التي سبقت ان صادرتها من الباخرة اليوغلافية «سلوفينيا» في ميناء وهران.

٢٢ – اقرت الجمعية الوطنية الفرنسية التعديلات الدستورية لتقوية السلطة التنفيذية والحد من السلطة التشريعية وبعد ان يقرها ايضاً مجلس الجمهورية سيعرض التعديل على الشعب في استفتاء عام كما ينص الدستور.

٢٣ – وصل موسكو الامين العام للامم المتحدة همرشولد وبدأ محادثاته بشأن مؤتمر الاقطاب والشرق الاوسط.

٢٤ – اذيع بلاغ في العربية السعودية يعلن ان الملك سعود سلم الى اخيه الامير فيصل ولي العهد المسؤولية التامة في تنفيذ جميع السلطات الادارية والخارجية والداخلية والمالية. وقد دعا الامير فيصل الشعب للتعاون معه.

– قدم الفريق عفيف البزري قائد عام القوات العربية في القطاع السوري استقالته.

٢٦ – اطلقت الولايات المتحدة جرماً صناعياً ثالثاً على صاروخها جوبيتر.

٢٧ – استقال المارشال بولغانين من رئاسة الحكومة السوفياتية وعين مجلس السوفيات الاعلى نيكيتا خروشوف رئيساً للحكومة مع بقائه سكرتيراً عاماً للحزب.

– اصدر الملك فيصل مرسوما بحل مجلس النواب العراقي.

– اتخذت لجنة الدفاع في مجلس النواب الالماني الغربي قراراً بتجهيز الجيش باربعة وعشرين صاروخا «ميتادور» ذات المدى البالغ الف كيلومتر.

٢٨ – انضمت الكنيسة الكاثوليكية في الجزائر الى الهيئات العالمية في ندائها لوقف المجزرة في الجزائر واستنكار العنف.

٢٩ – عقدت في بلدة كاراجيور جوفو اليوغلافية عدة اجتماعات بين زعيم الحزب الشيوعي المجري يانوس كادار والمارشال تيتو رئيس الجمهورية اليوغلافية.

٣١ – اعلن الاتحاد السوفياتي انه قرر توقيف تجاربه الذرية والهيدروجينية دون انتظار باقي الدول.

اول ابريل ١٩٥٨ – انتخب ارتورو فرنديزي رئيساً للجمهورية الارجنتينية.

– طلبت الجمهورية العربية المتحدة عقد جلسة لمجلس الامن للنظر في اعتداءات اسرائيل.

٢ – وصل نيكيتا خروشوف رئيس الحكومة السوفياتية الى بودابست على رأس وفد

٣ – اعلن ماكميلان رئيس الحكومة البريطانية ان بامكان الروس اجراء تجارب نووية سرية وكذلك اعلن الجنرال نورستاد القائد العام لقوات حلف الاطلسي.

٤ – رفض الرئيس التونسي الحبيب ابو رقيبة قبول اية مراقبة او حراسة دولية للحدود التونسية الجزائرية وابلغ الوسيطين الامريكي والبريطاني ان اغلاق الحدود كما تريد فرنسا سيعقد القضية الجزائرية.

٥ – اعلن الكولونيل حسن قاسم قائد سومطرا الشمالية في اندونيسيا ان عدداً من زعماء الاحزاب قد اعتقلوا في ميدان بعد ان استعادتها القوات الحكومية.

٧ – طالب محمد الخامس ملك المغرب بجلاء القوات الفرنسية من المغرب كشرط لتوقيع اي ميثاق عسكري.

٨ – اصدر الجنرال فان هورن رئيس هيئة الرقابة على الهدنة امراً الى اسرائيل بوقف اعمالها في الارض المجردة على حدود الاقليم السوري.

– صرح وزير الخارجية الامريكية دالس بان الولايات المتحدة في سبيل مماشاة الرئيس جمال عبد الناصر.

٩ – رفضت الحكومة الامريكية طلب الحكومة الاندونيسية لشراء اسلحة امريكية بقيمة ١٢٠ مليون دولار.

– اعلنت الامم المتحدة ان الجمهورية العربية واسرائيل وافقتا على نتائج التحقيق في منطقة الحولة.

١٠ – على اثر انتهاء زيارة نيكيتا خروشوف لبودابست صدر بيان سوفياتي مجري وقد دعا البيان الى عقد ميثاق عدم اعتداء بين دول حلف الاطلسي ودول حلف فرصوفيا.

١١ – قبل الاتحاد السوفياتي اقتراح الدول الغربية لعقد اجتماع على مستوى السفراء في موسكو يمهد السبيل لاجتماع الاقطاب وسلم وزير الخارجية غروميكو مذكرة بذلك الى الدول الغربية الثلاث.

١٣ – وافق المجلس الدائم لحلف الاطلسي على ان يبدأ سفراء الدول الغربية الثلاث في موسكو محادثاتهم مع الحكومة الروسية.

١٥ – بدأ في اكرا مؤتمر الدول الافريقية المستقلة وهي مصر والسودان والحبشة وليبيا وتونس وليبريا وغانا وتغيب افريقيا الجنوبية والغاية من المؤتمر رسم سياسة افريقية مشتركة والعمل لمساندة الدول الافريقية غير المستكملة استقلالها.

طبعت في
دار مجلة شعر
شارع فينيقيا - تلفون ٢٣٠١١ - ص ب ٣٢٢٢ - بيروت لبنان